

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَسْتَيْف  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ











مكتبة الأوقاف  
الجامعة لذري أخبار الأئمة الأطهار



# مَجْلَدُ الْأَخْوَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرَرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْمُجَنَّةُ فَخْرُ الْأُمَّةِ الْمُؤَيَّ

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمُجَلِّسِيِّ

”قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ“

الْمَجْزُوءُ الثَّالِثُ

دَارُ أَحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

بَيْرُوت - لُبْنَانُ

الطبعة الثالثة المصححة  
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

دار احياء التراث العربي

بـيروت - لبـنان - بنايـة كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب ٧٩٥٧/١١  
تلفون المستويـع: ٢٧٤٦٩٦ - ٢٧٣٠٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ - المنزل ٨٣٠٧١١ - ٨٣٠٧١٧  
كـبرقيـا: التـراث - تـلـكس LE/٢٣٦٤٤ تـراث



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد الموحدين و فخر العارفين محمد و أهل بيته الطاهرين الغر الميامين .

كتاب التوحيد : وهو المجلد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذهب الخاطيء الخاسر محمد المدعو باباقر ابن مروج أخبار الأئمة الطاهرين و محيي آثار أهل بيت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله أجمعين محمد الملقب بالتقي حشره الله تعالى مع مواليه شفعا يوم الدين .

### ﴿ باب ١ ﴾

﴿ ثواب الموحدين والعارفين ، و بيان وجوب المعرفة و علمته ﴾  
﴿ و بيان ما هو حق معرفته تعالى ﴾

١ - يد ، ثي : حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي ، عن علي بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي ، عن عبد الله بن حماد الأنصاري ، عن الحسين بن يحيى ابن الحسين ، عن عمرو بن طلحة ، عن أسباط بن نصر ، عن عكرمة ، <sup>(١)</sup> عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : والذي بعثني بالحق بشيراً لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً وإن أهل التوحيد ليشفعون فيشفعون . ثم قال ﷺ : إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار ، فيقولون : يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في

(١) بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء المهملة هو مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله كان من علماء العامة ، سمع من ابن عباس ، مات سنة ١٠٥ أو ١٠٧ على اختلاف ولم يرد من الإخبار أو علماء الرجال ما يدل على توثيقه .

دار الدنيا ؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت ؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عقرناها لك في التراب ؟ <sup>(١)</sup> أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك ؟ فيقول الله جل جلاله : عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم . فيقولون : ياربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا ؟ فيقول تبارك وتعالى : بل عفوي ، فيقولون : رحمتك أوسع أم ذنوبنا ؟ فيقول عز وجل : بل رحمتي ، فيقولون : إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا ؟ فيقول تعالى : بل إقراركم بتوحيدي أعظم ، فيقولون : ياربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء ، فيقول الله جل جلاله : ملائكتي ! وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي من المقرئين بتوحيدي ، وأن لا إله غيري : وحق علي أن لأصلي أهل توحيد ، ادخلوا عبادي الجنة .

بيان : قوله : وحق علي الظاهر أنه اسم أي واجب ولازم علي ، ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول ؛ قال الجوهرى : قال الكسائي : يقال : حق لك أن تفعل هذا وحقق أن تفعل هذا بمعنى ، وحق له أن يفعل كذا وهو حقيق به و محقق به أي خليق له ، وحق الشيء يحق بالكسر أي وجب . وقال : يقال : صليت الرجل نارا : إذا أدخلته النار وجعلته يصلها ، فإن ألقته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت : أصليته «بالألف» وصليته تصلية . وقال : صلى فلان النار يصل صلياً احترق

٢ - يد ، لى : الحسن بن عبد الله بن سعيد ، عن محمد بن أحمد بن حمدان القشيري عن أحمد بن عيسى الكلابي ، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ، <sup>(٢)</sup> عن أبيه

(١) عقر وجهه بالتراب أي مرغه ودسته فيه .

(٢) هو صاحب كتاب الجعفریات ، المترجم في ص ١٩ من رجال النجاشي بأنه سكن مصر وولده بها ، وله كتب برويه عن أبيه ، عن آباءه ، منها : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب الجنائز ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب الحدود ، كتاب الدعاء ، كتاب السنن والاداب ، كتاب الرقيا . أخبرنا الحسين بن عبيد الله قال : حدثنا أبو محمد سهل بن أحمد بن سهل ، قال : حدثنا أبو علي محمد بن محمد الاشعث بن محمد الكوفي بمصر قراءة عليه ، قال حدثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال : حدثنا أبي نكتبه انتهى . أقول : ويسمى الجعفریات الاشعثيات أيضا لرواية محمد بن محمد الاشعث ذلك ، وللعلمة النورى حول الكتاب و صاحبه كلام في ج ٣ من المستدرک ص ٢٩٠ .

عن أبيه جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام في قول الله عز وجل : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن الله عز وجل قال : ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة .

ما : شيخ الطائفة ، عن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، عن الصدوق بالإسناد مثله .

ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن إسحاق بن عباس بن إسحاق بن موسى ابن جعفر ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله .

٣ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي ، عن محمد بن عليّ ابن الحسين بن زيد ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد ثمن الجنة . الخبر .

٤ - ع ، ل : في خبر أسماء النبيّ وأوصافه عليه السلام : وجعل اسمي في التورية أحميد فالتوحيد حرّم أجساد أمّتي على النار .

٥ - ثويد : ابن الوليد ، عن سعد ، عن أحمد بن هلال ، عن ابن فضال ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله ، لأن الله عز وجل لا يعده شيء ولا يشركه في الأمر أحد .

بيان : لعلّ التعليل مبنيّ على أنّه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلّق بألوهيّته وكما له ووحديّته شيء إذ هذه الكلمة الطيّبة أدلّ الأذكار على وجوده و وحدانيّته ، واتّصافه بالكمالات ، وتنزّهه عن النقائص ، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لما كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً .

٦ - يد : ابن المتوكل ، عن الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً قال : قلت : وما هو ؟ قال : ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبية ، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ، ولعليّ عليه السلام بالإمامة . وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره . قال : قلت : فهذه

والله هي الكرامة التي لا يشبهها كرامة الآدميين . قال : ثم قال أبو عبدالله عليه السلام :  
اعملوا قليلاً تتنعموا كثيراً .

٧ - يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن زياد  
الكرخي ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنة .

يد : القطان ، عن السكري . عن الجوهري ، عن جعفر بن محمد بن عمار ، عن  
أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله مثله .

٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطاب ، عن ابن أسباط ، عن  
البطانى <sup>(١)</sup> ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : هو أهل التقوى و  
أهل المغفرة قال : قال الله تبارك و تعالى أنا أهل أن اتقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً ، وأنا  
أهل أن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أدخله الجنة . وقال عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى  
أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداً .

٩ - يد : السناني ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن  
سالم ، <sup>(٢)</sup> عن أبي بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى حرّم أجساد  
الموحدين على النار .

١٢ - ثو ، يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سيف ، عن أخيه

(١) بالباء المفتوحة والطاء المهملة المفتوحة والالف ثم الهمزة المكسورة ، هو علي بن أبي حمزة  
سالم المترجم في ص ١٧٥ من رجال النجاشي بقوله : علي بن أبي حمزة ، واسم أبي حمزة سالم البطاني  
أبو الحسن ، مولى الانصار ، كوفي . وكان قائداً بى بصير يحيى بن القاسم ، وله أخ يسمى جعفر بن أبي  
حمزة ، روى عن أبي الحسن موسى وروى عن أبي عبدالله عليهما السلام ، ثم وقف ، وهو أحد عمد  
الواقعة ، وصنف كتباً عدة ، منها : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب التفسير وأكثره عن أبي بصير ،  
كتاب جامع في أبواب الفقه . - ثم ذكر طريقه إلى كتبه . - وروى الكشي في ص ٢٢٥ من كتابه روايات  
تدل على ذمه جداً .

(٢) هو البطاني المتقدم .



عليّ، عن أبيه سيف بن عميرة، عن الحجاج بن أرطاة<sup>(١)</sup>، عن أبي الزبير<sup>(٢)</sup>، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: الموجبان: من مات يشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار.

١١ - ثو، لمي، يد: بالإسناد المتقدم عن سيف، عن الحسن بن الصباح، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: كل جبار عنيد من أبي أن يقول: لا إله إلا الله. بيان: إشارة إلى قوله تعالى: وخاب كل جبار عنيد.

١٢ - يد: أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الخوزي، عن إبراهيم بن محمد بن مروان الخوزي، عن أحمد بن عبد الله الجويباري - ويقال له: الهروي، والنهرواني، والشيباني - عن الرضا علي بن موسى، عن أبيه، عن آباءه، عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: ما جزاء من أنعم الله عز وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة<sup>(٣)</sup>.

١٣ - يد: وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: أن لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار.

بيان: قوله عليه السلام: ومن قالها كاذباً أي في الإخبار عن الإذعان لها والتصديق بها.

١٤ - ن، يد: محمد بن علي بن الشاه، عن محمد بن عبد الله النيسابوري قال: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عباس الطائفي بالبصرة، قال: حدثني أبي في سنة ستين ومائتين قال: حدثني علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة أربع وستين ومائة، قال: حدثني أبي

(١) حكى عن رجال الشيخ أنه عده من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وعن قريب أن حجاج بن أرطاة الكوفي القاضي أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ، والتدليس، من السابعة، مات سنة خمس وأربعين أي بعد المائة. انتهى. أقول: لم نقف في رجال الخاصة على ما يدل على توثيقه. (٢) لم نقف على اسمه وعلى ما يدل على توثيقه، نعم ربما يستفاد ما ورد في س ٢٧ و ٢٩ من رجال الكشي في ترجمة جابر بن عبد الله كون الرجل إمامياً حيث روى عن جابر حديث «على خير البشر، فمن أبي فقد كفر» ويأتي الحديث في محله. (٣) تقدم مثله مع صدر تحت الرقم ٢.

موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي محمد بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول الله جلّ جلاله : لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي .

١٥ - ن ، يد : محمد بن الفضل النيسابوري ، عن الحسن بن عليّ الخزرجي ، عن أبي الصلت الهروي<sup>(١)</sup> قال : كنت مع عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع ، وأحمد بن حرب ، ويعحي بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا : بحقّ آباءك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك ، فأخرج رأسه من العمارية - و عليه مطرف خزّ ذو وجهين - وقال : حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي الصادق جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي أبو جعفر محمد بن عليّ باقر علم الأنبياء ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين سيّد العابدين ، قال : حدّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : قال الله جلّ جلاله : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، و من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل [في] حصني ومن دخل في حصني أمن [من] عذابي

بيان : قال الجوهري : الشبهة في الألوان : البياض الذي غلب على السواد ، و قال : المربع : موضع القوم في الربيع خاصّة . أقول : يحتمل أن يكون المراد بالمربعة الموضع المتّسع الذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزّه ، أو الموضع الذي كانوا يجتمعون فيه للعب ، من قولهم : ربع الحجر : إذا أشاله ورفع له لإظهار القوّة ، و سمعت جماعة من أفاضل نيسابور أنّ المربعة اسم للموضع الذي عليه الآن نيسابور ، إذ كانت البلدة في زمانه عليه السلام في مكان آخر قريب من هذا الموضع و آثارها الآن معلومة ، و كان هذا الموضع من أعمالها و قرأها ، وإنّما كان يسمّى بالمربعة لأنّهم كانوا يقسمونه بالرباع

(١) اسمه عبد السلام بن صالح وهو ثقة عند الخاصة و العامة ، و من عدا الشيخ و العلامة في القسم الثاني من العلامة صرحوا بكون الرجل إمامياً ، ولكن الشيخ في رجاله و العلامة في القسم الثاني قالوا : إنه عامي .

الأربعة فكانوا يقولون : ربع كذا وربع كذا ، وقالوا : هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها . وقال الجوهري : المطرف و المطرف واحد المطارف ، وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام ، قال الفراء : وأصله الضمّ لأنّه في المعنى مأخوذ من أطرف أي جعل في طرفه العلمان ولكنهم استقلوا الضمّة فكسروه .

١٦ - نو ، مع ، ن ، يد : ابن المتوكل ، عن الأسدي ، عن محمد بن الحسين الصوفي ، عن يوسف بن عقيل ، عن إسحاق بن راهويه قال : لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك - وكان قد قعد في العماريّة - فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن عليّ يقول : سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب يقول : سمعت أبي أمبر المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جلّ جلاله يقول : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي . [قال] : فلمّا مرّت الراحلة نادانا : بشروطها وأنا من شروطها .

قال الصدوق رحمه الله : من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم .

١٧ - يد : أبو نصر محمد بن أحمد بن تميم السرخسي ، عن محمد بن إدريس الشاميّ عن إسحاق بن إسرائيل ، عن جريّب<sup>(١)</sup> عن عبد العزيز ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذرّ رحمه الله قال : خرجت ليلةً من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنّه يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظلّ القمر ، فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذرّ جعلني الله فداك ، قال : يا أبا ذرّ تعال ، فمشيت معه ساعة فقال : إنّ المكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلّا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً . قال : فمشيت معه ساعة ، فقال : اجلس ههنا

- وأجلسني في قاع حوله حجارة - فقال لي : اجلس حتى أرجع إليك ، قال : وانطلق في الحرّة حتى لم أراه و توارى عني فأطال اللبث ، ثم إنني سمعته يُكَلِّمُ وهو مقبل وهو يقول : وإن زني وإن سرق ، قال : فلمّا جاء لم أصبر حتى قلت : يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرّة ؟ فأني ما سمعت أحداً يردّ عليك شيئاً ، قال ذلك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال : بشراً متكاً أنه من مات لا يشارك بالله عز وجل شيئاً دخل الجنة ، قال قلت : يا جبرئيل وإن زني وإن سرق ، قال : نعم وإن شرب الخمر .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنه يوفّق للتوبة حتى يدخل الجنة .  
بيان : قال الجزري : فيه : المكثرون هم المقلّون إلا من نفخ فيه يمينه وشماله ، أي ضرب يديه فيه بالطاء ، النفخ : الضرب والرمي .  
أقول : يظهر من الأخبار أن الإخلال بكل ما يجب الاعتقاد به وإنكاره يوجب الخروج عن الإسلام داخل في الشرك ، والتوحيد الموجب لدخول الجنة مشروط بعدمه <sup>(١)</sup> فلا يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنة <sup>(٢)</sup> وأمّا أصحاب الكبراء من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذبوا في البرزخ وفي القيامة ، مع أنه ليس في الخبر أنهم لا يدخلون النار ، وقد ورد في بعض الأخبار أن ارتكاب بعض الكبراء وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك ، فلا ينبغي الاعتراض بتلك الأخبار والاجترأ بها على المعاصي ، و على ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلفه الصدوق قدس سره .

١٨ - ما : محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن علي بن بلال ، عن محمد بن بشير الدهان ، عن محمد بن سماعة قال : سألت بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له : أخبرني أي الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربك ، قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك .

١٩ - يد : أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الأنماطي ، عن أحمد بن الحسن بن غروان ،

(١) وفي نسخة : والتوحيد مشروط بعدمه .

(٢) سيأتي في أخبار البرزخ ما يدل على دخول المخالفين الجنة إذا لم يكونوا ناصبين كرواية زيدا الكناسي عن الصادق عليه السلام وغيرها . ط



عن إبراهيم بن أحمد ، عن داود بن عمرو ، عن عبد الله بن جعفر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بينما رجل مستلقي على ظهره ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول : والله إن لك لرباً هو خالقك اللهم اغفر لي ، قال فنظر الله عز وجل إليه فغفر له .

قال الصدوق رحمه الله : وقد قال الله عز وجل : أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . يعني بذلك أولم يتفكروا في ملكوت السموات والأرض وفي عجائب صنعها ولم ينظروا في ذلك نظر مستدل معتبر فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عز وجل من السموات والأرض<sup>(١)</sup> مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد ، وتسكينه إياها بغير آلة فيستدلوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنه لا يشبه الأجسام ولا ما يتخذ الكافرون إلهاً من دون الله عز وجل إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة فيعرفوا بذلك خالق السموات والأرض وسائر الأجسام ويعرفوا أنه لا يشبهها ولا تشبهه في قدرة الله وملكه ، وأما ملكوت السموات والأرض فهو ملك الله لها واقتداره عليها ، وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكروا في السموات<sup>(٢)</sup> والأرض [في] خلق الله عز وجل إياها على ما يشاهدونها عليه فيعلمون أن الله عز وجل هو مالكها والمقتدر عليها لأنهما مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه وملكه ، فجعل نظرهم في السموات والأرض وفي خلق الله لها نظراً في ملكوتها وفي ملك الله لها لأن الله عز وجل لا يخلق إلا ما يملكه ويقدر عليه ، وعنى بقوله : وما خلق الله من شيء يعني من أصناف خلقه فيستدلوا به على أن الله خالقها وأنه أولى بالإلهية من الأجسام المحدثثة المخلوقة .

٢٠ - يد : عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن أبي يزيد بن محبوب المزني ، عن الحسين ابن عيسى البسطامي ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن

(١) وفي نسخة . والارضين .

(٢) وفي نسخة : في ملكوت السموات .

أبي بشير العنبري ، عن جمران ، عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : من مات و هو يعلم أن الله حق دخل الجنة .

٢١ - يد : الحسن بن علي بن محمد العطار ، عن محمد بن محمود ، عن جمران ، عن مالك بن إبراهيم ، عن حصين ، عن الأسود بن هلال ، <sup>(١)</sup> عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف <sup>(٢)</sup> النبي ﷺ قال : يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد ؟ - يقولها ثلاثاً - قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : حق الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ، ثم قال ﷺ : هل تدري ما حق العباد على الله عز وجل إذا فعلوا ذلك ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم . أوقال : أن لا يدخلهم النار .

٢٢ - ن : أبو نصر أحمد بن الحسين ، عن أبي القاسم محمد بن عبيد الله ، عن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ، عن أبيه علي بن محمد النقي ، عن آباءه <sup>(٣)</sup> ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، عن النبي ﷺ ، عن جبرئيل سيد الملائكة قال : قال الله سيد السادات جل وعز : إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقرني بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي .

٢٣ - ن ، ع : في علل الفضل عن الرضا <sup>(٤)</sup> : فإن قال قائل : لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل ؟ قيل لعل كثيرة ، منها : أن لم يقر بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم ، فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ، وثوب بعضهم على بعض ، فغصبوا الفروج والأموال ، وأباحوا الدماء والنساء ، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم ، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل . ومنها : أن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ، ويزجر عن الظلم ، وينهى عن الفواحش ، ولا يكون

(١) وفي نسخة . عن الأسود بن بلال .

(٢) الردف بالكسر : الراكب خلف الراكب كالرديف والمتردف .

حظر الفساد والأمر بالصالح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الأمر والنهي ، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بالصالح ولا نهى عن فساد إلا الأمر ولا نهى . ومنها : أننا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمر باطنية<sup>(١)</sup> مستورة عن الخلق فلولا الإقرار بالله عز وجل وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد ، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين ، فلم يكن قوام الخلق وصالحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى ، أمر بالصالح ، ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافية ، ليكون في ذلك انترجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد .

فإن قال : فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله تعالى واحد أحد ؟ قيل : لعل ، منها : أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك ، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لعله إنما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم ، ولا يثبت عندهم أمر أمر ، ولا نهى ناه ، إذ لا يعرف إلا مربعينه ، ولا الناهي من غيره ؛ ومنها : أن لو جاز أن يكون إثنين لم يكن أحد الشريرين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر ، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله ، وفي أن لا يطاع الله عز وجل الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله وإثبات كل باطل وترك كل حق ، وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال ، والدخول في كل معصية ، والخروج من كل طاعة ، وإباحة كل فساد ، وإبطال كل حق ؛ ومنها : أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لابليس أن يدعي أنه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ، و يصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق .

فإن قال : فلم وجب عليهم الإقرار بالله أنه ليس كمثله شيء ؟ قيل : لعل ، منها : أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره ، غير مشتبه عليهم أمر ربهم و

(١) وفي نسخة : قد يفسدون بأمر باطنية .

صانعهم ورازقهم . ومنها : أنهم لو لم يعلموا أنه ليس كمثله شيء لم يدروا لعل ربهم  
وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آبائهم ، و الشمس والقمر والنيران ، إذا كان  
جائزاً أن يكون عليهم مشتبهة<sup>(١)</sup> وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعته كلها ، وارتكاب  
معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها ؛ ومنها :  
أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري  
على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ، ومن جازت  
عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناءه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيه ووعد  
ووعيده ونوابه وعقابه ، وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية .

٢٤ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وابن هاشم ، والحسن بن علي الكوفي  
جميعاً ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي حازم المديني ، عن سهل بن سعد  
النصاري قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل : وما كنت بجانب الطور  
إذ نادينه . قال كتب الله عز وجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس ، ثم  
وضعها على العرش ، ثم نادى يا أمة محمد : إن رحمتي سبقت غضبي ، أعطيتكم قبل أن  
تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا وأن  
محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة برحمتي .

٢٥ - سن : الوشاء ، عن أحمد بن عاصم ، عن أبي الحسن السواق ، عن أبان بن تغلب  
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث : من شهد أن لا إله  
إلا الله مخلصاً وحببت له الجنة . قال : قلت له : إنه يأتيني كل صنف من الأصناف فأروي  
لهم هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين  
فيسلب منهم لا إله إلا الله إلا من كان على هذا الأمر .

سن : ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبان بن تغلب مثله .

٢٦ - سن : صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن الصباح الحذاء ، عن  
أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : من شهد أن لا إله

(١) في نسخة : مشبهة .



إِلَّا اللَّهُ فليدخل الجنة ، قال : قلت : فعلى مَ تخاصم الناس إذا كان من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : إنه إذا كان يوم القيامة نسوها .

٢٧ - صح : عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي .

٢٨ - ضا : نروي أن رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال أبو جعفر عليه السلام : الخبر حق ، فولّى الرجل مديراً فلمّا خرج أمر برده ثم قال : يا هذا إن لا إله إلا الله شروطاً ألا وإنّي من شروطها .

٢٩ - غو : قال النبي ﷺ : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق . (١)

٣٠ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن عيسى بن محمد ، عن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام ، عنه ، عن أبيه عليه السلام (٢) قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل للجنة من ثمن ؟ قال : نعم ، قال : ما ثمنها ؟ قال : لا إله إلا الله ، يقولها العبد مخلصاً بها ، قال : وما إخلاصها ؟ قال : العمل بما بعثت به في حقّه وحبّ أهل بيته ، قال : فذاك أبي وأمي وإن حبّ أهل البيت لمن حقّها ؟ قال : إن حبّهم لأعظم حقّها .

٣١ - كنز الكرايجي : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح .

٣٢ - ضا : إن أوّل ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوحداية قال الله تبارك وتعالى : وما قدروا الله حقّ قدره . يقول : ما عرفوا الله حقّ معرفته .

٣٣ - ونروي عن بعض العلماء عليهم السلام أنه قال في تفسير هذه الآية : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلا الجنة . (٣)

(١) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد تحت الرقم ١٧ .

(٢) في الامالي المطبوع : عن جابر بن عبد الله الانصاري .

(٣) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد والامالي تحت الرقم ٢ .

- ٣٤ - وأروي أن المعرفة التصديق والتسليم والإخلاص في السر والعلانية .  
وأروي أن حق المعرفة أن تطيع ولا تعصي وتشكر ولا تكفر .
- ٣٥ - مص : قال الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لوسها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسرارهِ ومعدن نوره ، ودليل رحمته على خلقه ، ومطية علومه ، وميزان فضله وعدله ، قد غني عن الخلق والمراد الدنيا فلا مونس له سوى الله ، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله والله ومن الله ومع الله ، فهو في رياض قدسه متردد ، ومن لطائف فضله إليه متزود ، والمعرفة أصل فرعه الإيمان .
- ٣٦ - جمع : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله حق معرفته . قال : وما حق معرفته ؟ قال : أن تعرفه بلامثال ولا شبه ، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، لا كفوله ولا مثله ، فذاك معرفة الله حق معرفته .
- ٣٧ - جمع : قال النبي صلى الله عليه وآله : أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة .
- ٣٨ - أقول : روى الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن أبي عمير رفعه إلى أحدهم عليه السلام أنه قال : بعضكم أكثر صلاةً من بعض ، وبعضكم أكثر حجاً من بعض ، وبعضكم أكثر صدقةً من بعض ، وبعضكم أكثر صياماً من بعض ، وأفضلكم أفضلكم معرفة .
- ٣٩ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن الليث بن محمد العنبري ، عن أحمد بن عبد الصمد ، عن خاله أبي الصلت الهروي قال : كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهباء ، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله ، فلما صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا : يا ابن رسول الله حدثنا بحق آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين ، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد بن علي ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أخبرني جبرئيل الروح الأمين ، عن الله تقدّست أسماؤه وجلّ وجهه قال : إنني

أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ، عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي . قالوا : يا ابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله ؟ قال : طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام .

## ﴿باب ٢﴾

﴿علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه﴾

١ - ع : الحسين بن أحمد ، عن أبيه ، عن محمد بن بندار ، عن محمد بن علي ، عن محمد بن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - <sup>(١)</sup> قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : لم احتجب الله ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم <sup>(٢)</sup> فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار ، قال : فلم لا تدركه حاسة البصر ؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار ، ثم هو أجل من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أويضبته عقل ، قال : فحدّه لي قال : إنه لا يحدث ، قال : لم ؟ قال : لأن كل محدود متناه إلى حدّ فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متجزئ ولا متوهم .

٢ - ع : علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن الحسين بن الوليد ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين يهابونه ولا يعظمونه ، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أوّل مرّة عظّمه فإذا أتت عليه أيام و هو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مرّ به ولا يعظمه ذلك التعظيم .

يؤن : لعل المراد بالنظر الألفاظ الخاصة التي تستلزم غاية العرفان والوصول

(١) لم نجد له ذكراً في كتب الرجال .

(٢) لعل السؤال كان عن احتجابه تعالى عن القلوب ؛ أو حمل عليه السلام السؤال على ذلك ، وربما

يؤيد الأول سؤاله ثانياً بقوله : فلم لا تدركه حاسة البصر ؟ .

أي لو كانت مبذولة لعامة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهوانهم وبربرهم أو النظر إلى آمار عظمتها التي لا تظهر إلا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام كنزول الملائكة و عروجهم ومواقفهم ومنازلهم والعرش والكرسي واللوح والقلم وغيرها ؛ على أنه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزيل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العامة .

### ﴿باب ٣﴾

﴿ اثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده ﴾

﴿ وعلمه وقدرته وسائر صفاته ﴾

الآيات ، البقرة : الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ٢٢ «وقال تعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون ١٦٤ يونس : إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون ٦ «وقال : قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ١٠١

الرعد : الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر ويفصل الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون \* وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون \* وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك آيات لقوم يعقلون ٢-٤

إبراهيم : الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار \*

وسخر لكم الشمس والقمر دائمين وسخر لكم الليل والنهار \* وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ٣٢ - ٣٤

**الحجر :** ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين \* وحفظناها من كل شيطان رجيم \* إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين \* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون \* وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم به برازقين \* وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم \* وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين \* وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ١٦ - ٢٣

**النحل :** خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون \* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون \* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم \* والنخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ٤ - ٨ \* وقال تعالى : هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون \* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون \* وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون \* وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون \* وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون \* وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون \* وعلامات وبالنجم هم يهتدون ١٠ - ١٦ \* وقال تعالى : والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون \* وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين \* ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون \* وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون \* ثم كلي من كل

الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون ﴿٦٥﴾ والله خلقكم ثم يتوَفِّيكم ومنكم من يردُّ إلى أَرذلِّ العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إنَّ اللهَ عليمٌ قديرٌ ﴿٦٥-٧٠﴾ وقال تعالى : والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفالباطل يؤمنون بنبوءة الله هم يكفرون ﴿٧٢﴾ وقال تعالى : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴿٧٣﴾ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوف السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٧٤﴾ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً إلى حين ﴿٧٥﴾ والله جعل لكم ممَّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنناً وجعل لكم سراويل تقيكم الحرَّ وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . ٧٨-٨١ .

الاسرى : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴿١٢﴾ وقال تعالى : ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً ﴿١٣﴾ وإذا مستكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجيكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴿٦٦، ٦٧﴾

طه : الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴿١﴾ كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴿٢﴾ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴿٥٣ - ٥٥﴾  
الانبيا : أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴿١﴾ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاًجاً سبلاً لعلهم يهتدون ﴿٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴿٣﴾ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴿٣٠-٣٣﴾

**المؤمنون :** وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإننا على ذهاب به لقادرون ✽ فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ✽ و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للأكلين ✽ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها و لكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ✽ و عليها وعلى الفلك تحملون ١٨-٢٢ » وقال تعالى : وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ✽ وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ٧٩ ، ٨٠ » وقال تعالى : قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون ✽ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ✽ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ✽ سيقولون لله قل أفلا تتقون ✽ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ✽ سيقولون لله قل فأنّى تسحرون ٨٤ - ٨٩

**النور :** ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه والله عليم بما يفعلون ✽ والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ✽ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ✽ يقبّل الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ✽ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ٤١ - ٤٥

**الفرقان :** ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ✽ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ✽ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً ✽ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ✽ لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً و أناسي كثيراً ٤٥ - ٤٩ » وقال تعالى : وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح أجاج و جعل بينهما برزخاً و حجراً محجوراً ✽ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً و كان ربك قديراً ٥٣ ، ٥٤ » وقال تعالى : تبارك الذي جعل في السماء بروحاً و جعل

فيها سراجاً وقمراً منيراً ✽ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ٦٢، ٦١

الشعراء: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ✽ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٨، ٧

القصص: قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتاكم بضياء أفلا تسمعون ✽ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ✽ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٧١ - ٧٣

العنكبوت: خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ٤٤  
« وقال تعالى: ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحياه به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ٦٣ » وقال تعالى: « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون ٦٥ »

الروم: ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ✽ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ✽ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ✽ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ✽ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ✽ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ✽ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ٢٠ - ٢٦ » وقال عز وجل: « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٤٦ » وقال تعالى: « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ✽ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ✽ »



فانظر إلي آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ٤٨ - ٥٠ « وقال تعالى : « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ٥٤

لقمان : خلق السموات بغير عمد ترونها وأتقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم \* هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ١١٠ ، ١١١ « وقال تعالى : ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسمخ الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير \* ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير \* ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور \* وإذا غشيهم موج كالأظلم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ٢٩ - ٣٢

التنزيل : أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض العجز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ٢٧

فاطر : الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير \* ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ١ ، ٢ « وقال تعالى : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ١١ « وقال تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود \* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ٢٧ ، ٢٨

يس : و آية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكولون \* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون \* ليأكلوا من ثمره وما

عملته أيديهم أفلا يشكرون \* سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون \* و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون \* و الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم \* والقمر قد رنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون \* و آية لهم أننا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون \* وخلقنا لهم من مثله ما يركبون \* و إن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون \* إلا رحمة منا و متاعاً إلى حين ٣٣ - ٤٤ \* و قال تعالى : أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون \* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون \* ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ٧١ - ٧٣ \* وقال سبحانه : أولم ير الإنسان أننا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ٧٧

**الصفات :** فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إننا خلقناهم من طين لازب ١١  
**الزمر :** خلق السموات والأرض بالحق يكو الليل على النهار ويكو النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار \* خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنبي تصرفون ٥ ، ٦ \* وقال تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلككم ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهييج فتراه مصفرّاً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب ٢١

**المؤمن :** هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب ١٣ \* وقال تعالى : الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون \* ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنبي تؤفكون \* كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون \* الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوراً ركب فأحسن صوركم و رزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين \* هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين

له الدين الحمد لله رب العالمين \* قل إنني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين \* هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون \* هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ٦١ - ٦٨ \* وقال عز وجل : الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون \* ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون \* ويرى آياته فأي آيات الله تنكرون ٧٩ - ٨١

السجدة : قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين \* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين \* ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين \* فقضين سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ٩ - ١٢ \* وقال تعالى : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد \* ألا إنهم في مغبة لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط ٥٣ ، ٥٤

حمسق : فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ١١ \* وقال تعالى : ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم إذا يشاء قدير ٢٩ \* وقال سبحانه : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام \* إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور \* أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير \* ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ٣٢ - ٣٥

الزخرف : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم \* الذي جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون \* والذي نزل

من السماء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدةً ميتاً كذلك تخرجون \* والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون \* لتستولوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وإنا إلى ربنا لمنقلبون ٩ - ١٤

الاجاثية : إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين \* وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون \* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ٣ - ٥ وقال تعالى : الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون \* وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ١٢ ، ١٣ وقال سبحانه : وقالوا ماهي إلا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ٢٤

الذاريات : وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٢٠ ، ٢١ وقال جل وعلا : و السماء بنيناها بأيدينا وإنا ملوسعون \* والأرض فرشناها فنعم الماهدون \* ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ٤٧ - ٤٩

الطور : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون \* أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ٣٥ ، ٣٦

الرحمن : الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ٣ \* إلى آخر الآيات

الواقعة : نحن خلقناكم فلولا تصدقون \* أفأرأيتم ما تمنون \* أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون \* نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين \* على أن نبذل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون \* ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون \* أفأرأيتم ما تحرثون \* أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون \* لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهمون \* إنا لمغرمون \* بل نحن محرومون \* أفأرأيتم الماء الذي تشربون \* أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون \* لو نشاء لجعلناه حجاجاً فلولا تشكرون \* أفأرأيتم النار التي تورون \* أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون \* نحن جعلناها تذكرة

ومتاعاً للمقوين \* فسبح باسم ربك العظيم ٥٧ - ٧٤

الطلاق : الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن  
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ١٢

الملك : الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت  
فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و  
هو حسير \* ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ٣-٥ وقال  
تعالى : أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل  
شيء بصير ١٩ \* وقال سبحانه : أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجئوا في  
عتوٍ ونفور ٢١ \* وقال تعالى : قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار و  
الأفئدة قليلاً ما تشكرون \* قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ٢٣ ، ٢٤  
\* وقال سبحانه : قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين \*  
قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ٢٩ ، ٣٠

المرسلات : ألم نخلقكم من ماء مهين \* فجعلناه في قرار مكين \* إلى قدر  
معلوم \* فقد رنا فنعم القادرون \* ويل يومئذ للمكذّبين \* ألم نجعل الأرض كفاتاً \*  
أحياء وأمواتاً \* وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً \* ويل يومئذ  
للمكذّبين ٢٠ ، ٢٨

النبأ : ألم نجعل الأرض مهاداً \* والجبال أوتاداً \* وخلقناكم أزواجاً \* و  
جعلنا نومكم سباتاً \* وجعلنا الليل لباساً \* وجعلنا النهار معاشاً \* وبنينا فوقكم  
سبعاً شداداً \* وجعلنا سراجاً وهاجاً \* وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً \* لنخرج  
به حبّاً ونباتاً \* وجنّات ألفافاً ٦-١٦

النازعات : أنتم أشد خلقاً أم السماء بنينا \* رفع سمكها فسوها \* وأغطش  
ليلها وأخرج ضحيتها \* والأرض بعد ذلك دحيا \* أخرج منها ماءها ومرعيها \* و  
الجبال أرسيا \* متاعاً لكم ولأنعامكم ٢٧ - ٣٤

عبس : فلينظر الإنسان إلى طعامه \* إنا صببنا الماء صبّاً \* ثم شققنا الأرض

شَقًّا \* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنَبًا وَقَضْبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا \* وَحَدائقَ غَلْبًا \* وَفَاكِهَةً  
وَأَبًّا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ٢٥ - ٣٢

الغاشية : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَتْ \*  
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نَصَبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ مَسَطَحَتْ ١٧ - ٢٠

١- ج : عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ولوفكر وافي عظيم القدرة، وجسيم النعمة  
لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنَّ القلوب غليظة والأبصار مدخولة،<sup>(١)</sup>  
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ؟ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَسَوَّى لَهُ الْعِظَمَ وَالْبَشَرَ، انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صَفَرِ جَسْتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تَنَالُ  
بِلِحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَضُنَّتْ عَلَى رِزْقِهَا،<sup>(٢)</sup>  
تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جَحْرِهَا وَتَعْدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وَرُودِهَا  
لِصُدُورِهَا<sup>(٣)</sup> مَكْفُولُ بَرَزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَقْفِهَا، لَا يَغْفُلُهَا الْمُنْشَأَنُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَلَوْ  
فِي الصِّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ، لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، وَفِي عُلُوقِهَا وَفِي سَفَلِهَا،  
وَمَا فِي الْجُوفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضِيتَ مِنْ خَلْقِهَا  
عَجَبًا وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا،  
لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطَرٌ، وَلَمْ يَعْنه عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ، وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ  
لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطَرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطَرُ النَحْلَةِ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ  
كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ  
وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً، كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيحُ وَالْمَاءُ، فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ  
وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفْجُورِ هَذِهِ الْبَحَارِ  
وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقُلَالِ، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّغَاتِ وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ  
لِمَنْ أَنْكَرَ الْمَقْدَّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لاختلاف صورهم  
صَانِعٌ، لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حِجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقَ لِمَا دَعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءُ مَنْ غَيْرِ بَنَاءِ

(١) وفي نسخة : والبيصائر مدخولة .

(٢) وفي نسخة من الكتاب والاحتجاج المطبوع : كيف صبت على رزقها .

(٣) وفي نسخة : لصدورها .

أو جناية من غير جان؟! وإن شئت قلت: في الجرادة إذ خلق لها عينين حراوين، وأسرج لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، ترهبها الزراع فيه زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعا مستدقة، فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعا وكرها، ويعفر له خذا ووجها، ويلقي بالطاعة إليه سلما وضعفا، ويعطي له القياد رهبة وخوفا، فالطير مسخرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسي قوائمها على الندى واليبس، قد راقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب. وهذا عقاب وهذا حمام، وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدد قسمها قبل الأرض بعد جفوها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

أيضاح: مدخولة أي معيوبة من الدخل. بالتحريك. وهو العيب والغش والفساد. وخلق أي شق. والبشر: ظاهر جلد الإنسان. ولا بمستدرك الفكر إما مصدر ميمي أي بإدراك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف<sup>(١)</sup> أي بإدراك الفكر الذي يدركه الإنسان بغايه سعيه، أو اسم مكان والباء بمعنى في أي في محل إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. كيف دبّت أي مشيت. وضمت بالضاد المعجمة والنون أي بخلت، وفي بعض النسخ: صبّت بالصاد المهملة والباء الموحدة على بناء المجهول، إما على القلب أي صب عليها الرزق، أو كناية عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنها صبّت على الرزق، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصباغة وهي حرارة الشوق. لصدرها الصدر - بالتحريك - رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد أي تجمع في أيام التمكّن من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تخفى في شدة الشتاء لعجزها عن البرد. والمنان: هو كثير المن والعطاء. والديان: القهار والقاضي والحاكم والسائس و

(١) في بعض النسخ: إلى الموصوف الخاص، والمراد بالفكر الذي يدركه الإنسان

المُجازي . والصفا - مقصوداً - جمع الصفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت . و  
الجامس : اليابس الجامد ، قال الخليل في كتاب العين : جمس الماء : جمد ، وصخرة جامسة  
لزمت مكاناً . انتهى . والضمير في علوها وسفلها إمّا راجع إلى المجازي ، أو إلى النملة أي  
ارتفاع أجزائها بدنّها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة . وقال الجوهري : الشراسيف :  
مقاطئ الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن ، ويقال : الشرسوف : غضروف  
معلّق بكلّ ضلع ، مثل غضروف الكتف . لقضيت من خلقها عجباً القضاء بمعنى الأداء أي  
لأديت عجباً ، ويحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدة تعجبك ، و  
يكون عجباً مفعولاً لأجله . ولو ضربت أي سرت ، كما قال تعالى : إذا ضربتم في الأرض .  
غاياته أي غايات فكرك . إلا سواء أي في دقة الصنعة ونغوض الخلقة ، أو في الدلالة على  
الفاطر وكمال قدرته وعلمه . والقلال بالكسر جمع قلّة بالضم ، وهي أعلى الجبل . زعموا  
أنهم كالنبات أي كما زعموا في النبات ، أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب إلى الزارع  
وإن نسب إلى ربّه تعالى . لما وعوا أي جمعوا وحفظوا . وأسرج لها حدقتين أي جعلهما  
مضيئتين كالسراج ، ويقال : حدقة قمرأ أي منيرة ، كما يقال : ليلة قمرأ أي نيرة بضوء  
القمر . بهما تقرض بكسر الراء أي تقطع . والمنجل - كمنبر - : حديدة يقضب بها الزرع ،  
شبهت بها يداها . والذب : الدفع والمنع . في نزواتها أي وثباتها . وخلقها كلّها الواو  
حالية . سلماً بالكسر وبالتحريك أي استسلاماً وانقياداً . وأرسي أي أثبت أي جعل لها  
رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأرضي اليابسة والندية . والهطل : تتابع المطر .  
والديم بكسر الدال وفتح الياء جمع الديمّه بالكسر ، وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا  
برق . والجذوب : قلّة النبات والزرع .

٢ - ج : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ومن كان في  
هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى . قال : فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف  
الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك  
أمراً هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى . قال : فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلاً .  
بيان : لعل المراد على هذا التفسير : فهو في أمر الآخرة التي لم ير آثارها أشدّ  
عمى وضلالة .



٣ - ج : روي عن هشام بن الحكم أنه قال : كان من سؤال الزنديق الذي أتى أباعبدالله عليه السلام قال : ما الدليل على صانع العالم ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها ، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده . قال : وما هو ؟ قال : هو شيء بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشيئية ، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا يغيره الزمان .

قال السائل : فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً ، قال أبو عبدالله عليه السلام : لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد مناً مرتفعاً<sup>(١)</sup> فإننا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم ، لكننا نقول : كل موهوم بالحواس مدرك بهاتحده الحواس شتملاً فهو مخلوق ، ولا بد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين : إحدیهما النفي إذ كان النفي هو الإبطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون ، و أن صانعهم غيرهم وليس مثلهم ، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم<sup>(٢)</sup> في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر ، وسواد إلى بياض ، وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لاحتاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها .

قال السائل : فأنت قد حددته إذا ثبتت وجوده ، قال أبو عبدالله عليه السلام : لم أحددته ولكن أثبتته ، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة . قال السائل : فقله : الرحمن على العرش استوى ؟ قال أبو عبدالله عليه السلام : بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش ، بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن العرش محل له ، لكننا نقول : هو حامل للعرش وممسك للعرش ، ونقول في ذلك : ما قال : وسع كرسيه السموات والأرض . فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته ، ونفينا أن يكون العرش والكرسي

(١) وفي نسخة : لكان التوحيد عننا مرتفعاً .

(٢) وفي نسخة : إذ كان مثلهم شبيهاً لهم .

حاوياً له وأن يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق . بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ولكنّه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول ﷺ حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل ، وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها .

يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة اثبتناها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة .

بيان : قوله عليه السلام : وأنه شيء بحقيقة الشيئية المراد بالشيئية إمّا الوجود ، أو معنى مساوق له ، وعلى التقديرين فالمراد إمّا بيان عينية الوجود ، أو قطع طمع السائل عن تمثيل كنهه تعالى بل بأنه شيء وأنه بخلاف الأشياء . والجسـ بالجم - : المس . قوله : فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً أي يلزم مما ذكرت أنه لا تدركه الأوهام أن كل ما يحصل في الوهم يكون مخلوقاً ، فأجاب عليه السلام بما حاصله أن مرادنا أنه تعالى لا يدرك كنه حقيقته العقول والأوهام ، ولا يتمثل أيضاً في الحواس ، إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين ، ولو كان كما توهمت من أنه لا يمكن تصوّره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده وتوحيده وسائر صفاته تكليفاً بالمحال ، إذ لا يمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصوّر ذلك الشيء ، فهذا القول مستلزم لنفي وجوده وسائر صفاته عنه تعالى ، بل لا بد في التوحيد من إخراجِه عن حدّ النفي والتعطيل وعن حدّ التشبيه بالمخلوقين ، ثم استدلل عليه السلام بتركيبهم وحدوثهم وتغيّر أحوالهم وتبدل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزّه عن جميع ذلك ، غير مشابه لهم في الصفات الإمكانية ، وإلا لكان هو أيضاً مفتقراً إلى صانع لا شراك علّة الافتقار .

قوله : فقد حدّدته إذا ثبت وجوده أي إثبات الوجود له يوجب التحديد ، إمّا

بناءً على توهمهم أن كل موجود لابد أن يكون محدوداً بحدود جسمانية أو بحدود عقلانية ، أو باعتبار التحدُّد بصفة هو الوجود ، أو باعتبار كونه محكوماً عليه فيكون موجوداً في الذهن محاطاً به . فأجاب عليه السلام بأنه لا يلزم أن يكون كل موجود جسماً أو جسمانياً حتى يكون محدوداً بحدود جسمانية ، ولا أن يكون مركباً حتى يكون محدوداً بحدود عقلانية أو لا يلزم كون حقيقته حاصلة في الذهن أو محدودة بصفة فإن الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن ، والوجود ليس من الصفات الموجودة المتغيرة التي تحدُّبها الأشياء .

٤ - ج : عن هشام بن الحكم قال : دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق : يا ابن أبي العوجاء أمصنوع أنت أم غير مصنوع ؟ قال : لست بمصنوع ، فقال له الصادق عليه السلام : فلو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فلم يجر ابن أبي العوجاء جواباً وقام وخرج .

يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر والفقيمي ، عن هشام مثله . بيان : لما كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضرورياً نبه عليه السلام بأن العقل يحكم بديهياً بالفرق بين المصنوع وغيره ، وفيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعاً ؟ (١) .

٥ - ج : دخل أبو شاكر الديباني وهو زنديق (٢) على أبي عبد الله عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمد دلّسني على معبودي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اجلس - فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها - فقال أبو عبد الله عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة ، فناوله إيّاها ، فقال

(١) لا يخفى أن الرواية غير مسوقة للتنبيه على ما ذكره ، بل إلزام له بالترجيح بالمرجح فإن اختياره عدم المصنوعية مع جواب مصنوعيته قول بلا دليل . ط

(٢) الزنديق بالكسر من الثويّة ، أو القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية أو من يظن الكفر ويظهر الإيمان ، أو هو معرّب عن دين أي دين المرأة . قاله في القاموس . وفي المصباح : المشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتسكع بشريعة ويقول بدوام الدهر والعرب تمير عن هذا بقولهم : ملحد ، أي طاعن في الأديان . انتهى . ونقل عن مفاتيح العلوم : أن الزنادقة هم المانويّة وكانت المزدكيّة يسمون بذلك . أقول : والظاهر أن الزنديق معرّب لزند دين ، والزند اسم لكتاب المجوس جاء زردشت الذي يزعم المجوس أنه نبي ، أو معرّب لزندى أي المنسوب إلى زند فاخذ كلمة واحدة و زيد عليه القاف وله نظائر .

أبو عبد الله عليه السلام : ياديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضة ذائبة ، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائعة ، فهي على حالها لم يخرج <sup>(١)</sup> منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولم يدخل <sup>(٢)</sup> فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها لا يدري للذكر خلقت أم للأُنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مذبذباً ؟ قال : فأطرق ملياً ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنتك إمامٌ وحجةٌ من الله على خلقه ، وأنا تائبٌ مما كنت فيه .

٦ - يد : ابن المتوكل : عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن أبي إسحاق الخفاف ، عن عدة من أصحابنا أن عبد الله الديصاني أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له ، فلمّا قعد قال له : يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما اسمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه ، فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ قال : لو كنت قلت له : عبد الله كان يقول : من هذا الذي أنت له عبد ؟ فقالوا له : عد إليه فقل : يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك ، فرجع إليه فقال له : يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : اجلس وإذا غلام صغير إلى آخر الخبر .

بيان : قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة . وتقرير استدلاله عليه السلام أن ما في البيضة من الأحكام والإتقان والاشتغال على ما به صلاحها وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السّياليين - والحال أنه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها ، ولا يدخلها جسماني من خارج فيفسدها ، وهي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس - يدل على أن له مبدء غير جسم ولا جسماني ، ولا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها ، والإفساد إلى ما يدخل فيها ، لأن هذا شأن أهل الحصن الحافظين له وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة .

(١) في الاحتجاج المطبوع : لا يخرج .

(٢) في الاحتجاج المطبوع : ولا تدخل .

٧ - ج : عن عيسى بن يونس قال : كان ابن أبي العوجاء<sup>(١)</sup> من تلامذة الحسن البصريّ فأنحرف عن التوحيد ففيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لأصل له ولا حقيقة ، قال : إنَّ صاحبي كان مخلاً يقول : طوراً بالقدر وطوراً بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه ، فقدم مكة تمرّاً وإنكاراً على من يحجّ ، وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره ، فأتى أبوعبدالله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال : يا أبوعبدالله إنَّ المجالس بالأمانات ، ولا بدّ لكلّ من به سعال أن يسعل أفثأذن لي في الكلام ؟ فقال الصادق عليه السلام : تكلم بما شئت ، فقال : إلى كم تدوسون هذا البيدر<sup>(٢)</sup> ، وتلوذون بهذا الحجر ، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر ، وتهرولون حوله كهرة البعير إذا نفر ؟ إنَّ من فكر في هذا وقد علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل في نفسك رأس هذا الأمر وسنامه ، وأبوك أسه ونظامه . فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنَّ من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ ولم يستعذبه ، وصار الشيطان وليّه ، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحشّهم على تعظيمه وزيارته ، وجعله محلّ أنبيائه ، وقبلة للمصلّين له ، فهو شعبة من رضوانه ، وطريق يؤدّي إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، ومجتمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحقّ من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر ، الله المنشئ للأرواح والصور . فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله<sup>(٣)</sup> فأحلت على غائب . فقال أبوعبدالله عليه السلام : ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ، ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم .

(١) عده السيد المرتضى رحمه الله في كتابه الإمالى ممن كان يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول في جملة أهله دمه وماله ، وكان في الباطن زنديقاً ملحداً ، وكافراً مشركاً ، وقال : حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجاء قال - لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والى الكوفة من قبل المنصور ، وأحضره للقتل ، وأيقن بمفارقة الحياة - : لان قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة .

(٢) البيدر : الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس ويدقّ .

(٣) في الإمالى : ذكرت يا أبوعبدالله .

فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كل مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلأ منه مكان ، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه ، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

ثي : ابن مسرور ، عن ابن عامر ، عن عمه ، عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي ، عن الفضل بن يونس مثله .

ع : الهمداني والمكشبي والورّاق جميعاً ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الفضل مثله .  
٨ - يد : الدقاق ، عن حمزة بن القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن داود بن عبد الله ، عن عمرو بن محمد ، عن عيسى بن يونس مثله ، وزاد في آخره : والذي بعثه بالآيات المحكّمة والبراهين الواضحة ، وأيده بنصره ، واختاره لتبليغ رسالته صدّقنا قوله : بأنّ ربّه بعثه وكلمه . فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه : من ألقاني في بحر هذا ؟ وفي رواية ابن الوليد : من ألقاني في بحر هذا ، سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة . قالوا : ما كنت في مجلسه إلّا حقيراً ، قال : إنّه ابن من خلق رؤوس من ترون .

بيان : الطوب بالضمّ : الآجر . وطعام وخيم : غير موافق ، واستوخمه أي لم يستمرأه . ولم يستعذبه أي لم يدرك عذوبته . وحاصل ما ذكره عليه السلام : أنّه تعالى إنّما استعبدهم بذلك لختبرهم في إطاعتهم له ، والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول أكثر ، مع أنّ لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشراف لكونه محلّ الأنبياء وقبلة المصلّين وسابقاً في الخلق على جميع الأرض ، وقد أشار عليه السلام بقوله : فهو شعبة مع الفقرات التي بعدها إلى ما جعل الله فيه من الكمالات المعنويّة والأسرار الخفيّة حيث جعله محلّاً لقربه ورضوانه ، ومهبطاً لرحماته وغفرانه ، وما أفاض عليه من أنوار جبروته ، وأخفى فيه من أسرار ملكوته . والاستواء : الاعتدال . والوريد : هو العرق الذي في صفحة العنق وبقطعه تزول الحياة ، ففي التشبيه به دون سائر الأجزاء إشعار بكيفيّة قربه بأنّ قربه قرب بالعلّيّة والتأثير ، وفيما بعدها من الفقرة إشارة إلى جهة أخرى من قربه وهي

الإحاطة العلمية . والخمرة بالضم : حصيرة صغيرة من السعف أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألعب به كالخمرة فألقيتموني على جمرة ملتئمة .

٩ - ج : و روي أن الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول نجونا وهلكت .

١٠ - ن ، م ، ج : و بالإسناد ، عن أبي محمد عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى :  
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا . الآية : جعلها سائمةً لطبائعكم ، موافقةً لأجسادكم ،  
لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة  
طيب الريح فتصدع هاماتكم ،<sup>(١)</sup> ولا شديدة النتن فتعطبكم ،<sup>(٢)</sup> ولا شديدة اللين كالماء  
فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم<sup>(٣)</sup> وأبنيتمكم ودفن موتاكم ،  
ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتماسكون ، وتماسك عليها أبدانكم<sup>(٤)</sup> ،  
وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم<sup>(٥)</sup> وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل  
الأرض فراشاً لكم ، ثم قال : و السماء بناءً يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها  
شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم . ثم قال : وأنزل من السماء ماءً يعني المطر ينزله من  
علا ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ،<sup>(٦)</sup> ثم فرقته رذاذاً ووابلاً وهطلاً  
وطلاً لتنشفه أرضكم ،<sup>(٧)</sup> ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فتفسد أرضكم  
وأشجاركم وزروعكم وثماركم . ثم قال : فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم يعني مما  
يخرجه من الأرض رزقاً لكم . فلا تجعلوا لله أنداداً أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي  
لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ، وأنتم تعلمون أنها لا تقدر على شيء من هذه  
النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم .

(١) جمع الهامة وهي الرأس .

(٢) أي فتهلككم .

(٣) في العيون : دوركم .

(٤) في العيون : وبنياكنم .

(٥) في العيون : لدوركم .

(٦) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة . والهوة في الأرض .

(٧) نشف الماء في الأرض : ذهب وجري وسال .

بيان : الهضاب جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الأرض ، أوجب خلق من صخرة واحدة . والرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر . والهطل : المطر الضعيف الدائم ، وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر . والطل : المطر الضعيف ، أو أخف المطر وأضعفه ، أو الندى ، أو فوقه ودون المطر . كل ذلك ذكرها الفيروز آبادي .

١١ - يد ، لى ، ن : العطار ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له : يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم ؟ فقال : أنت لم تكن ثم كنت ، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كوئك من هو مثلك .  
ج : مرسل مثله . \*

١٢ - يد ، ن : ماجيلويه ، عن عمه ، عن أبي سمينة محمد بن علي الكوفي الصيرفي ،<sup>(١)</sup> عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام <sup>(٢)</sup> قال : دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام : أرايت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإياكم شرعاً سواء ، ولا يضرنا ما صليتنا وصمنا وزكينا وأقررنا ؟ فسكت . فقال أبو الحسن عليه السلام : إن يكن القول قولنا - وهو كما نقول -<sup>(٣)</sup> ألستم قد هلكتم ونجونا ؟ قال : رحمك الله فأوجدني كيف هو وأين هو ؟ قال : ويلك إن الندى ذهبت إليه غلط هو أين الأين وكان ولا أين ، وهو كيف وكيف كان ولا كيف ، فلا يعرف بكيفوفية ولا بأينونية ولا بحاسة ولا يقاس بشيء ، قال الرجل : فأذن

(١) هو محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولاهم الصيرفي ، هكذا عنوانه النجاشي

في ص ٢٣٤ من رجاله وقال : ابن اخت خلاد المقرئ ، وهو خلاد بن عيسى ، وكان يلقب محمد بن علي بأسمينة ، ضعيف جداً ، فاسد الاعتقاد ، لا يعتمد في شيء ، وكان وردم وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ونزل على أحمد بن محمد بن عيسى مدة ، ثم تشهر بالغلو فحفي ، وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم وله قصة الخ

(٢) غير معلوم حاله .

(٣) وفي نسخة : وهو قولنا وكما نقول .



أنه لاشيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس ، فقال أبو الحسن عليه السلام : ويلك لماعجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقننا أنه ربنا ، وأنه شيء بخلاف الأشياء . قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان . قال الرجل : فما الدليل عليه ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : إنني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ، ودفع المنكاره عنه ، وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به ، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، ومجرى الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات علمت أن لهذا مقدراً و منشئاً قال الرجل : فلم احتجب ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الحجاب على الخلق <sup>(١)</sup> لكثرة ذنوبهم فأمّا هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار ، قال : فلم لاتدركه حاسة البصر ؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم ، ثم هو أجل من أن يدركه بصر ، أو يحيط به وهم ، أو يضبطه عقل . قال : فحدّه لي ، فقال : لاحدّه ، قال : ولم ؟ قال : لأن كل محدود متناه إلى حد ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متناقص ، ولا متجزئ ولا متوهم ، قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم ، <sup>(٢)</sup> أ يكون السميع إلّا بالأذن ، والبصير إلّا بالعين ، واللّطيف إلّا بعمل اليدين ، والحكيم إلّا بالصنعة ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن اللّطيف منّا على حدّ اتّخاذ الصنعة ، أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئاً فيلطف في اتّخاذه فيقال : ما اللّطف فلاناً ؛ فكيف لا يقال للخالق الجليل : لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركب في الحيوان منه أرواحها ، وخلق كل جنس متبائناً من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضاً ؟ فكل له لطف من الخالق اللّطيف الخبير في تركيب صورته ، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند

(١) في نسخة من التوحيد : ان الاحتجاب عن الخلق .

(٢) في التوحيد : لطيف سميع . بترك العاطف في الجميع .

ذلك : إن خالقنا لطيف ، لا كلطف خلقه في صنعتهم ، وقلنا : إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى ، من الذرة إلى أكبر منها ، في برها وبحرها ، ولا تشبه عليه لغاتها ، فقلنا عند ذلك : إنه سميع لأباً ذن ، وقلنا : إنه بصير لا يبصر لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، ويرى ديبب النمل في الليلة الدجنة ، ويرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها <sup>(١)</sup> وفراخها ونسلها فقلنا عند ذلك : إنه بصير لا يبصر خلقه ، قال : فما برح حتى أسلم . وفيه كلام غير هذا .

ج : رواه مرسلًا عن محمد بن عبد الله الخراساني إلى آخر الخبر .

بيان : أوجدني أي أفدني كيفيته ومكانه ، وأظفرني بمطلبي الذي هو العلم بهما . هو أين أين أي جعل الأين أيناً بناً على مجعوليّة الماهيات ، أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف . والكيفيّة والأينويّة الاتّصاف بالكيف والأين . قوله : فأذن أنه لاشي . هذا السائل لما كان وهمه غالباً على عقله زعم أن الموجود ما يمكن إحساسه فنفي الوجود عنه تعالى بناً على أنه عَلَيْهِ السَّلَام نفى عنه أن يحس فأجاب عَلَيْهِ السَّلَام بأنك جعلت تعالى عن أن يدرك بالحواس دليلاً على عدمه ، ونحن إذا عرفناه بتعالى عن أن يدرك بالحواس أيقنا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء ، إذا المحسوسيّة تستلزم أموراً كل منها مناف للربوبيّة على ما برهن عليه في محله . قوله : فأخبرني متى كان الظاهر أنه سأل عن ابتداء كونه ووجوده ، ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى ، فعلى الأول حاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَام أن ابتداء الزمان إنما يكون لحادث كان معدوماً ثم صار موجوداً وهو تعالى يستحيل عليه العدم ، وعلى الثاني فالمراد أن الكائن في الزمان إنما يكون فيه بتغيّر وتبدّل في ذاته وصفاته لأن الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر ، وهو متعال عن التغيّر في الذات والصفات . قوله : فلم احتجب توهم السائل أن احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب ، فأجاب عَلَيْهِ السَّلَام بأننا غير محجوبين عنه لا حاطة علمه بنا ، وكنه ذاته وصفاته محجوبة عنا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانيّة الإمكانية ، ويحتمل أن يكون

المراد أن عدم ظهوره تعالى على عامة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنما هو لذنوبهم التي حالت بينهم وبين تلك المعرفة ، وإلا فهو تعالى قد تجلّى لأوليائه فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس ، والجواب عن الإحساس ظاهر ، إذ الفرق بينه وبين خلقه وهو كونه غير جسم ولا جسماني ولا حاصلاً في جهة ومكان هو الذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته . قوله : فحده يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانية ، فحاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الحدّ نهايةً لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره ، ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلةً للتقسيم فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجاً إلى أجزاءه فيكون ممكناً فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً ، أو احتمال النقص ينافي الكمال الذي يحكم الوجدان باتّصاف الصانع به . والسحماء : السوداء . والدجنة بكسر الجيم أي المتغيّمة المظلمة . و سيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء . قوله : وفيه كلام غير هذا أي قيل : إنه لم يسلم ، أو في الخبر تتمّة تركناها .

١٣ - لى : أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : دخل أبو شاكر الديصانيّ على أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له : إنك أحد النجوم الزواهر ، وكان آباؤك بدوراً بواهر ، وأمهاتك عقيدات عباهر ، وعنصرك من أكرم العناصر ، وإذا ذكر العلماء فبك تنسّى الخناصر فخبّرني أيّها البحر الخضمّ الزاخر ، ما الدليل على حدث العالم ؟ فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : يستدلّ عليه بأقرب الأشياء ، قال : وما هو ؟ قال : فدعى الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بيضة فوضعها على راحته ثمّ قال : هذا حصن ملموم ، داخله غرقى رقيق ، تطيف به فضة سائلة وذهبة مائعة ، ثمّ تنفلق عن مثل الطاووس أدّخلها شيء ؟ قال : لا ، قال : فهذا الدليل على حدث العالم ، قال : أخبرت فأوجزت ، وقلت فأحسنّت ، وقد علمت أن لا تقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا ، أو سمعناه بآذاننا ، أو لمسناه بأكفّنا ، أو شمّمناه بمنّاخرنا ، أو ذقناه بأفواهنا ، أو تصوّر في القلوب ببيافنا ، واستنبطناه الروايات إيقاناً ، فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح .

يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن منصور ، عن هشام بن الحكم مثله .

بيان : قال الجوهري : العقيلة : كريمة الحي ، والدرّة : عقيلة البحر . وقال الفيروز آبادي : العبر : الممتلي الجسيم والعظيم الناعم الطويل من كل شيء كالعباهر فيهما وبهاء الجامعة للحسن والجسم والخلق . انتهى . والعنصر : الأصل . قوله : فبك تثنى الخناصر أي أنت تعدّ أو لا قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم ، وإنما يبدء في العدد بالخنصر . والثني : العطف . والخنضم بكسر الخاء وفتح الضاد المشددة<sup>(١)</sup> الكثير العطاء . وقال الجوهري : زخر الوادي : إذا امتدّ جداً وارتفع ، يقال : بحر زخر . وقال : كتيبة ملمومة : مضمومة بعضها إلى بعض . وقال : الغرقى : قشر البيض التي تحت القيص ، والقيص : ماتلق من قشور البيض . قوله تثني : وهي لاتنفع شيئاً بغير دليل أي هي عاجزة تتوقف إدراكها على شرائط فكيف تنفي ما لم تدركه بحسبك<sup>(٢)</sup> كما أن البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح ، ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أي لاتنفع الحواس بدون دلالة العقل فهو كالسراج لا إحساس الحواس ، وأنت قد عززت العقل وحكمه واقتصرت على حكم الحواس .

١٤ - م ، ن : محمد بن القاسم المفسر ، عن يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن سيّار ، عن أبيهما ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام - في قول الله عز وجل : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوىهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم - قال - : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتعبروا به وتتوصلوا به إلى رضوانه ، وتتوقوا به من عذاب نيرانه ، ثم استوى إلى السماء أخذ في خلقها وإتقانها ، فسوىهن سبع سموات وهو بكل شيء

(١) في الصحاح : الخنضم بوزن الهجف .

(٢) بل المراد أن الحواس إنما لها الإدراك التصوري وأما التصديق والحكم فللعقل . ط

عليم ، ولعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كل ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم .  
١٥ - ن : الطالقاني ، عن ابن عقدة <sup>(١)</sup> ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ،  
عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى ،  
ولم يخلقهم نوعاً واحداً ؟ فقال : لتلايقع في الأوهام أنه عاجز فلا تقع صورة في وهم  
ملحد إلا وقتاً ، خلق الله عز وجل عليها خلقاً ، ولا يقول قائل : هل يقدر الله عز وجل على  
أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعمل بالنظر إلى  
أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير .

١٦ - م ، مع : محمد بن القاسم المفسر ، عن يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن  
سيار - وكانا من الشيعة الإمامية - عن أبيهما ، عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول  
الله عز وجل : بَنِي إِدْرِيسَ أَخِي فقال : الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل  
مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه ، تقول :  
بسم الله أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له ، المغيث إذا استغيث ،  
والمجيب إذا دعي ، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو ؟  
فقد أكثر علي المجادلون وحيروني ، فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال :  
نعم ، قال : فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ، ولا سباحة تغنيك ؟ قال : نعم ، قال : فهل  
تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ قال : نعم ،  
قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى ، وعلي الإغاثة  
حيث لا مغيث .

بيان : قال الفيروز آبادي : أله إليه كفرح : فرع ولاذ ، وألهه : أجاره وآمنه .

(١) بضم العين المهملة وسكون القاف وفتح الدال ، هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني  
الحافظ ، المكنى بأبي العباس ، ترجمه العامة والخاصة في كتب تراجمهم ، وبالغوا في إكباره والثناء  
عليه ، قال النجاشي في ٦٨ من رجاله : أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن  
زياد بن عجلان ، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني ، هذا رجل جليل في أصحاح  
الحديث ، مشهور بالحفظ ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه ، وكان كوفياً زدياً جارودياً  
على ذلك مات . الخ .

١٧ - ل : القامي وابن مسرور ، عن محمد بن جعفر بن بطّنة ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك ؟ قال : بنسخ العزم ، <sup>(١)</sup> ونقض الهمم ، لمّا أن هممت حال بيني وبين همي ، وعزمت فخالفت القضاء عزمي ، فعلمت أن المدبر غيبي قال : فبماذا شكرت نعماءه ؟ قال : نظرت إلى بلاء قد صرفه عني وأبلى به غيري فعلمت أنه قد أنعم عليّ فشكرته ، قال : فبماذا أحبيت لقاءه ؟ قال : لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبياءه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحبيت لقاءه .

يد : الهمداني ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام مثله .

١٨ - يد : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن محمد بن عليّ الكوفي ، عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم ، عن أحمد بن محسن الميثميّ قال : كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال : أخبرني رجل من أصحابي قال : كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن الملقّع <sup>(٢)</sup> في المسجد الحرام فقال ابن الملقّع : ترون هذا الخلق ؟ - وأومى بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية <sup>(٣)</sup> إلّا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر ابن محمد عليه السلام - فأما الباقر فرعاع وبهائم ، فقال له ابن أبي العوجاء وكيف أوجب هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء ؟ قال : لأنّي رأيت عنده ما لم أرعدهم ، فقال ابن أبي العوجاء : ما بدّ من اختبار ما قلت فيه منه ، فقال له ابن الملقّع : لاتفعل فإنّي أخاف أن

(١) وفي نسخة : بنسخ العزائم .

(٢) قيل : إن اسمه «روزبه» قبل الإسلام وعبد الله بعد الإسلام ، واللقّع اسمه المبارك ، ولقب باللقّع لأن الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقّعت يده - ورجل متقّع اليدين أي متشنجهما - وقيل : هو اللقّع بكسر اللين ، لعمله القفّة - بفتح القاف وسكون الفاء - والقفّة : شيء يشبه الرنبيل بلاعروة وتعمل من خوص ليست بالكبيرة . ذكر السيد المرتضى في ج ١ ص ٨٩ من أماليه ابن الملقّع من جملة الزنادقة والملاحدة الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

(٣) في نسخة : وجب له اسم الإنسانية .

يفسد عليك ما في يدك ، فقال : ليس ذا رأيك ولكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت ، فقال ابن المقفع : أما إذا توهمت علي هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلزل ، ولاتثن عنائك إلى استرسال يسلمك إلى عقل ، وسمه مالك أو عليك ، قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت وابن المقفع فرجع إلينا وقال : يا ابن المقفع ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا ، فقال له : وكيف ذاك ؟ قال : جلست إليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم ، وإن يكن الأمر كما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استويتهم وهم ، فقلت له : يرحمك الله وأي شيء تقول ؟ وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلا واحداً ، فقال : كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ، ويدينون بأن للسماء إلهاً ، وأنسها عمران ، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد . قال : فاغتنمتها منه فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقهم ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ، ولما احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به . فقال لي : ويلك وكيف احتجب عنك من أدراك قدرته في نفسك ؟ نشؤك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوتك ، وسقمك بعد صحتك ، وصحتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك ، وبغضك بعد حبك ، وعزmk بعد إباءك ، وإبائك بعد عزmk ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجائك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك بمالم يكن في وهمك ، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك . وما زال يعد علي قدرته التي في نفسي التي لأدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه .

بيان : قال الجزري : راع الناس أي غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم ، الواحد : رعاة . قوله : ولاتثن ، من الثني وهو العطف والميل أي لا ترخ عنائك إليه بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك . فيسلمك من التسليم أو

الإسلام . إلى عقال أي يعقلك بتلك المقدّمات التي تسلّمت منه بحيث لا يبقى لك مفهّم كالبعير المعلوم . قوله : وسمه مالك أو عليك ، نقل عن الشيخ البهائي قدّس الله روحه أنّه من السوم ، من سام البائع السلعة يسوم سوماً ، إذا عرضها على المشتري وسامها المشتري بمعنى استامها ، والضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف والإيصال ، والموصول مفعوله . ويرى عن الفاضل التستري نوّضريحه أنّه كان يقرأ «سمّه» بضمّ السين وفتح الميم المشدّدة ، أمراً من سمّ الأمر يسمّهُ إذا سبره ونظر إلى غوره ، والضمير راجع إلى ما يجري بينهما ، والموصول بدل عنه ، وقيل : هو من سممت سمّك . أي قصدت قصدك ، والهاء للسكت أي اقصد مالك ومالك . والأظهر أنّه من وسم يسم سمةً بمعنى الكمي<sup>(١)</sup> والضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلّم به أي اجعل على ما تريد أن تتكلّم به علامة لتعلم أي شيء لك وأي شيء عليك ، فالموصول بدل من الضمير . قوله عليه السلام : وهو على ما يقولون اعترض عليه السلام الجملة الحالية بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ما هو الحق ، ولئلاّ يتوهّم أنّه عليه السلام في شكّ من ذلك . والعطب : الهلاك . قوله عليه السلام : ليس فيها أحد أي لها أو عليها أو بالظرفيّة المجازيّة لجريان حكمه وحصول تقديره تعالى فيها ، وحاصل استدلاله عليه السلام : أنّك لمّا وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أنّ لها بارئاً قادراً ، وكيف يكون غائباً عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة يصل منه إليه .

١٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جناح ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما خلق الله خلقاً أصغر من البعوض والجرجس أصغر من البعوض ، والذي يسمّونه الولغ أصغر من الجرجس ، وما في الفيل شيء إلا وفيه مثله ، وفضّل على الفيل بالجناحين<sup>(٢)</sup> .

(١) بل الاظهر أنه أمر من التسمية كناية عن تعيين ما هو مقبول عنده من المقدمات وما ليس بمقبول .

(٢) وبالرجلين ، وخرطوم الفيل المصمت ، وخرطومه مجوف نافذ للجوف ، فإذا طعن به جسد الانسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو كالبلعوم والحلقوم ولذلك اشتد عضها ، وقويت على خرق الجلود الغلاظ ، وما ألهه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الانسان لا يزال يتوخى \*



بيان : قال الفيروز آبادي : الجرجس بالكسر : البعوض الصغار . انتهى . فالمراد أن الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أوّل الكلام و كلام أهل اللغة ، على أنه يحتمل أن يكون الحصر في الأوّل إضافياً كما أن الظاهر أنه لا بد من تخصيصه بالطيور إذ قد يحس من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض إلا أن يقال : يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شيء من الحيوانات أصغر منها . والولغ هنا بالغين المعجمة وفي الكافي بالمهملة ، وهما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللغة ، والظاهر أنه أيضاً صنف من البعوض ، والغرض بيان كمال قدرته تعالى فإن القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر وأظهر منها في الكبار كما هو المعروف بين الصنّاع من المخلوقين <sup>(١)</sup> فتبارك الله أحسن الخالقين .

٢٠ - يد : الدوّاق ، عن الكليني بإسناده رفع الحديث : أن ابن أبي العوجاء حين كلمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس و هو ساكت لا ينطق ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كأنك جئت تعيد بعض ما كنت فيه ؟ فقال : أردت ذاك يا ابن رسول الله ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنني ابن رسول الله ! فقال : العادة

\* بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق ، لأنها رقيقة بشرة من جلد الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها ، وفيه من الشره أن يمس الدم إلى أن ينشق ويموت ، وإلى أن يميز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه ، ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى طريحاً في الصحراء فتجتمع السباع حوله ، والطير التي تأكل الجيف ، فمن أكل منها شيئاً مات لوقته . قال وهب بن منبه : لما أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه في عسكره ما لا يحصى عدداً فلما عاين النمرود ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته ، وأغلق الأبواب وأرغى الستور ونام على قفاه مفكراً ، فدخلت بموضة في أنفه وصعدت إلى دماغه فغلب بها أربعين يوماً ، حتى أنه كان يضرب برأسه الأرض وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول : كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ، ثم هلك حينئذ . وقد أودع الله في مقدم دماغها قوة الحفظ ، وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر ، وخلق لها حاسة البصر ، وحاسة اللمس ، وحاسة الشم ، وخلق لها منفذاً للغذاء ، ومخرجاً للفضلة ، وخلق لها جوفاً وأمعاءاً وعظاماً ، فسبحان من قدر فهدى ، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى . قاله الدميري في كتابه حياة الحيوان .

(١) هذا بحسب الدقة واللفظ وكأنه عليه السلام في هذا المقام ، وأما بحسب القدرة فالامر بالعكس من جهة توفيق الذرات وتوديع القوى العظيمة الهائلة ، قال تعالى : لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . المؤمن : ٥٧ ط

تحميلني على ذلك ، فقال له العالم عليه السلام : فما يمنعك من الكلام ؟ قال : إجلالاً لك <sup>(١)</sup> ومهابة ما ينطق لساني بين يديك فإنني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك . قال : يكون ذلك ولكن أفتح عليك بسؤال و أقبل عليه ، فقال له : أمصنوع أنت أو غير مصنوع ؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع ، فقال له العالم عليه السلام : فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فبقي عبد الكريم ملياً لا يحير جواباً ، وولع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول : طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن ، كل ذلك صفة خلقه ، <sup>(٢)</sup> فقال له العالم عليه السلام : فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور ، فقال له عبد الكريم : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسأل فيما بعد ؟ على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لا أنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء ، فكيف قدمت وأخّرت ؟ ثم قال : يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً ، أرايت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل : هل في الكيس دينار ؟ فنفيت كون الدينار في الكيس ، فقال لك قائل : صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم ؟ قال : لا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة ، فانقطع عبد الكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض ، فعاد في اليوم الثالث فقال : أقلب السؤال ؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أسأل عما شئت ، فقال : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال : إنني ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديماً ما زال ولا حال ، لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والحدث ، والقدم والعدم

(١) في نسخة : إجلال لك .

(٢) وفي نسخة : كل ذلك صفة خلقه .

في شيء واحد،<sup>(١)</sup> فقال عبد الكريم : هبك علمت في جري الحاليتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها ؟ فقال العالم عليه السلام : إنما تتكلم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه و وضعنا عالماً آخر كان لاشيء أدل على الحدث من رفعنا إيّاه و وضعنا غيره ، ولكن أجبتك<sup>(٢)</sup> من حيث قدّرت أن تلزمنا ونقول<sup>(٣)</sup> : إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ماض شيء<sup>(٤)</sup> إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث<sup>(٥)</sup> ليس لك وراء شيء يا عبد الكريم ، فانقطع وخزى . فلما أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم ، فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لا يسلم ، فلما بصّر بالعالم قال : سيدي ومولاي ، فقال له العالم : ما جاء بك إلى هذا الموضوع ؟ فقال : عادة الجسد ، وسنة البلد . و لنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق و رمي الحجارة ، فقال له العالم : أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم ، فذهب يتكلم فقال له : لاجدال في الحجج ، ونفض رداءه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول - وهو كما تقول - نجونا وهلكت ، فأقبل عبد الكريم على من معه فقال : وجدت في قلبي حرارة فردّوني ، فردّوه ومات ، لارحمه الله .

ج : روى مرسلًا بعض الخبر .

تنوير : لا يجبر جواباً بالمسئلة أي لا يقدر عليه . والولوع بالشيء : الحرص عليه والمبالغة في تناوله . قوله : كل ذلك صفة خلقه أي خلق الخالق والصانع ، ويمكن أن يقرأ بالتاء أي صفة المخلوقية ، والحاصل أنّه لمّا سأل الإمام عليه السلام عنه أنّك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات التي أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكر

(١) في التوحيد المطبوع : ولن يجتمع صفة الازل والعدم في شيء واحد .

(٢) وفي نسخة : اجيبك .

(٣) وفي نسخة : فنقول .

(٤) وفي نسخة : ماض شيء منه إلى شيء منه .

(٥) وفي نسخة : كما أن في تغييره دخوله في الحدث .

في ذلك ، فتنبه أن صفاته كلها صفات المخلوقين ، وكانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى فبقي متحيراً ، فقال عليه السلام : إذارجعت إلى نفسك ووجدت في نفسك صفة المخلوقين فلم لاتدعن بالصانع ؟ فاعترف بالعجز عن الجواب ، وقال : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك . قوله عليه السلام : هبك أي افرض نفسك أنك علمت ماضى وسلّمنا ذلك لك ، قال الفيروز آبادي : هبني فعلت أي احسبني فعلت وأعددتني ، كلمة للأمر فقط . وحاصل جوابه عليه السلام : أولاً أنك بنيت أمورك كلها على الظن والوهم لأنك تقطع بأنك لاتسأل بعد ذاك عن مثلها مع أنه لاسييل لك إلى القطع به . وأما قوله عليه السلام : على أنك يا عبدالكريم نقضت قولك يحتمل وجوهاً :

الاول : أن يكون المراد أن نفيك للصانع مبني على أنك تزعم أن لعلية بين الأشياء ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء ، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنما يكون بالعلية والمعلولية ، فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل ؟ فيكون المراد بالتقدم والتأخر العلية والمعلولية أو ما يساوقهما .

الثاني : أن يكون مبنيّاً على ما لعلمهم كانوا قائلين به ، وربما أمكن إلزامهم بذلك ، بناءً على نفي الصانع من أن الأشياء متساوية غير متفاوتة في الكمال والنقص ، فالمراد : أنك كيف حكمت بتفضيلي على غيري ؟ وهوناف للمقدمة المذكورة ، فالمراد بالتقدم والتأخر ما هو بحسب الشرف .

الثالث : أن يكون مبنيّاً على ما ينسب إلى أكثر الملاحدة من القول بالكمون والبروز أي مع قولك بكون كل حقيقة حاصلة في كل شيء كيف يمكنك الحكم بتقدم بعض الأشياء على بعض في الفضل والشرف .

قوله عليه السلام : وفي ذلك زوال وانتقال ، حاصل استدلاله عليه السلام إنما راجع إلى دليل المتكلمين من أن عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث ، أو إلى أنه لا يخلو إنما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أم لا بل يكون كلها حوادث وكل منهما محال : أما الأول فلمّا تقرر عند الحكماء من أن مائت قدمه امتنع عدمه ، و أما الثاني فللزوم التسلسل بناءً على جريان دلائل إبطاله في الأمور المتعاقبة ، ويمكن

أن يكون مبنياً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أن كل قديم يكون واجباً بالذات ولا يكون المعلول إلا حادثاً ، و وجوب الوجود ينافي التغير ، ولا يكون الواجب محلاً للحوادث كما برهن عليه ، ثم قال ابن أبي العوجاء : لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغير ، فأجاب عليه السلام أولاً على سبيل الجدل بأن كلامنا كان في هذا العالم الذي نشاهد فيه التغيرات ، فلوفرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتبره التغير فزال هذا العالم دل على كونه حادثاً ، وإلا لما زال ، وحدوث العالم الثاني أظهر . ثم قال : ولكن أجيبك من حيث قدرت - بتشديد الدال - أي فرضت لأن تلزمنا ، أو بالتخفيف أي زعمت أنك تقدر أن تلزمنا ، وهو بأن تفرض في الأول مكان هذا العالم عالماً لا يكون فيه التغير ، فنقول : يحكم العقل بأن الأجسام يجوز عليها ضم شيء إليها وقطع شيء منها . وجواز التغير عليه يكفي لحدوثها بنحو مأمور من التقرير .

٢١ - يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام قيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بفسخ العزم ونقض الهمم ، عزمت ففسخ عزمي ، وهممت فنقض هممي .

٢٢ - يد : الملكتب ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن محمد بن عبد الرحمن الخزّاز ، عن سليمان بن جعفر ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم قال : حضرت محمد بن النعمان الأ حول فقام إليه رجل فقال له : بم عرفت ربك ؟ قال : بتوقيفه وإرشاده وتعريفه و هدايته ، قال : فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له : ما أقول لمن يسألني فيقول لي : بم عرفت ربك ؟ فقال : إن سألت سائل فقال : بم عرفت ربك ؟ قلت : عرفت الله جل جلاله بنفسي ، لأنها أقرب الأشياء إلي ، وذلك أنني أجدها أبعاضاً مجتمعة ، وأجزاءً مؤتلفة ، ظاهرة التركيب ، متينة الصنعة ، مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير ، زائدة من بعد نقصان ، وناقصة من بعد زيادة ، قد أنشئ لها حواس مختلفة ، وجوارح متباعدة ، من بصر وسمع وشام وذائق ولامس ، مجبولة على الضعف والنقص والمهانة ، لا ندرك واحدة منها مدرك صاحبها ، ولا تقوى على ذلك عاجزة عن اجتلاب

المنافع إليها ، ودفع المضار عنها ، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له ، وثبات صورة لا مصور لها ، فعلمت أن لها خالقاً خلقها ، ومصوراً صورها ، مخالفاً لها في جميع جهاتها ، <sup>(١)</sup> قال الله جل جلاله : وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

٢٣ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن الحسين بن المأمون القرشي <sup>(٢)</sup> ، عن عمر بن عبدالعزيز <sup>(٣)</sup> عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو شاكر الديصاني : إن لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فأني قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع ، فقلت : هل لك أن تخبرني بها فلعل عندي جواباً ترتضيه ؟ فقال : إني أحب أن ألقى بها أبا عبد الله عليه السلام ، فاستأذنت له فدخل فقال له : أتأذن لي في السؤال ؟ فقال له : سل عما بدا لك ، فقال له : ما الدليل على أن لك صانعاً ؟ فقال : وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن أكون صنعتها أنا ، فلا أخلو من أحد معينين : إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها - وكانت معدومة ، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فأنت تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو الله رب العالمين ، فقام وما أجاب جواباً .  
بيان : هذا برهان متين مبني على توقف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثر ، والضرورة الوجدانية حاکمة بحقيقتها ، ولا مجال للعقل في إنكارها .

٢٤ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن أحمد بن إدريس ، و محمد العطّار ، عن الأشعري ، عن سهل ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم قال : دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام : فقال : أليس تزعم أن الله خالق كل شيء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : بلى ، فقال له : أنا أخلق ، فقال له : كيف تخلق ؟ قال : أحدث في الموضع ثم ألبث عنه فيصير دواباً ، فأكون أنا الذي خلقتها ، فقال أبو عبد الله

(١) وفي نسخة : مخالفاً لها في جميع صفاتها

(٢) لم نقف على ترجمته .

(٣) لعله هو أبو حفص الملقب بزحل الذي ترجمه النجاشي في رجاله ص ٢٠٢ قال : عربي بصرى

مخلط ، له كتاب .

عليه السلام : أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه ؟ قال له : بلى ، قال : فتعرف الذكر منها من الأنثى وتعرف كم عمرها ؟ فسكت .

٢٥ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن محمد بن حماد ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : قال لي علي بن منصور : (١)  
قال لي هشام بن الحكم : كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادفه بها ، فقيل له : هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام فقاربنا الزنديق - ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام - في الطواف ف ضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام ، فقال له جعفر عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : اسمي عبد الملك ، قال : فما كنيتك ؟ قال : أبو عبد الله ، قال : فمن الملك الذي أنت له عبد ، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض ؟ وأخبرني عن ابنك ، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض ؟ فسكت ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : قل ما شئت تخصم . قال هشام بن الحكم : قلت للزنديق : أما ترد عليه ؟ فقبّح قولي ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إذا فرغت من الطواف فاتنا ، فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعده بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال للزنديق : أتعلم أن للأرض تحت وفوق ؟ قال : نعم ، قال : فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك بما تحتها ؟ قال : لا أدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء ، قال أبو عبد الله عليه السلام : فالظن عجز مالم تستيقن ، قال أبو عبد الله عليه السلام : فصعدت إلى السماء ؟ قال : لا ، قال : فتدري ما فيها ؟ قال : لا ، قال : فعجباً لك لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن وأنت جاحد ما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ فقال الزنديق : ما كلمني بهذا أحد غيرك ، قال أبو عبد الله عليه السلام : فأنت في شك من ذلك فلعل هو ، أو لعل ليس هو ، قال الزنديق : ولعل ذلك : فقال أبو عبد الله عليه السلام : أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ، فلا حجة للجاهل ، يا أبا أهل مصر تفهم عني فإننا لا نشك في الله أبداً ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان

(١) أورده النجاشي في ص ١٧٦ من رجاله ، قال : علي بن منصور أبو الحسن كوفي ، سكن بغداد ، متكلم ، من أصحاب هشام ، له كتب : منها كتاب التديبير في التوحيد والإمامة .

ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا ولا يرجعان فلم يرجعا ؟ وإن لم يكونا مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً ؟ اضطراً والله يا أخا أهل مصر إلى دواهما ، والذي اضطراً هما أحكم منهما وأكبر منهما ، قال الزنديق : صدقت . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : يا أخا أهل مصر الذي تذهبون إليه وتظنونونه بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردّهم ؟ وإن كان يردّهم لم لا يذهب بهم ؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر ، السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، لم لا تسقط السماء على الأرض ؟ ولم لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يقيم سكان ولا يقيم سك من عليهما ؟ فقال الزنديق : أمسكهما والله ربهما وسيدهما ، فأمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام . فقال له حمران بن أعين : جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يدك فقد آمنت الكفار على يدي أياك . فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام : اجعلني من تلامذتك . فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم : خذك إليك فعلمه . فعلمه هشام فكان معلّم أهل مصر وأهل الشام ، وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام .

ج : عن هشام بن الحكم مثله .

أيضاح : قوله عليه السلام : فمن الملك لعله عليه السلام سلك أو لا في الاحتجاج عليه مسلك الجدول ، لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أن الاسم مطابق لمعناه ، ويحتمل أن يكون على سبيل المطابقة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات ، وردّ الجواب عن أمثال تلك المطائبات ، أو يكون منبهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع وإن أنكره ظاهراً لكفرهم وعنادهم ، ثم ابتدأ عليه السلام بإزالة إنكار الخصم وإخراجه منه إلى الشك لتستعدّ نفسه لقبول الحق ، فأزال إنكاره بأنه غير عالم بما تحت الأرض وليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيء ، ثم زاده بياناً بأن السماء التي لم يصعدها كيف يكون له الجزم والمعرفة بما فيها وما ليس فيها ؟ وكذا المشرق والمغرب ، فلمّا عرف قبح إنكاره وتنزّل عنه وأقرّ بالشك بقوله : ولعلّ ذلك ، أخذ عليه السلام في هدايته وقال : ليس للشك دليل وللجاهل حجة ، فليس لك إلا طلب الدليل فاستمع وتفهم فإننا لا نشكّ فيه أبداً ، والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما ، أو دخولهما بالحرركات



الخاصة في بر وجههما ، وبولوج الليل والنهار دخول تمام كل منهما في الآخر ، أو دخول بعض من كل منهما في الآخر بحسب الفصول .

وحاصل الاستدلال أن لهذه الحركات انضباطاً و اتساقاً و اختلافاً و تركباً فالانضباط يدل على عدم كونها إرادية كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات ، و الاختلاف يدل على عدم كونها طبيعية ، فإن الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر ، كما قالوا : إن الطبيعة الواحدة لا تقتضي التوجه إلى جهة والانصراف عنه ، ويمكن أن يقال : حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان ، من أن مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر والطباع العادمة للشعور والإرادة ، وإلى هذا يرجع قوله عليه السلام : إن كان الدهر يذهب بهم أي الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولا يصدر عنه بدله الرجوع ؟ أو المراد أنه لم يقتضي طبعه ذهاب شيء ولا يقتضي رده وبالعكس ، بناءً على أن مقتضيات الطباع تابعة لتأثير الفاعل الفادر القاهر ، ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم ، وبردهم إيجادهم ، والمراد بالدهر الطبيعة ، كما هو ظاهر كلام أكثر الدهرية ، أي نسبة الوجود و العدم إلى الطباع الإمكانية على السواء ، فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلم لا يعدم ؟ فترجح أحدهما ترجيحاً بلامرجح يحكم العقل باستحالته . ويجري جميع تلك الاحتمالات في قوله عليه السلام : السماء مرفوعة إلى آخر كلامه عليه السلام . وقوله عليه السلام : لم لا تسقط السماء على الأرض أي لا تتحرك بالحرارة المستقيمة حتى تقع على الأرض . وقوله : ولم لا تنحدر الأرض ؟ أي تتحرك إلى جهة التحت حتى تقع على أطباق السماء ، أو المراد الحركة الدورية فيغرق الناس في الماء ، فيكون ضمير طباقها راجعاً إلى الأرض وطباق الأرض : أعلاها أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علم منها الآن . قوله عليه السلام : فلا يئتمسك سكان أي في صورة السقوط والانحدار ، أو المراد فظهر أنه لا يمكنهما التمسك بأنفسهما بل لا بد من ماسك يمسكهما .

**أقول :** تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر ، وإنما نشير في هذا الكتاب إلى ما لعله يتبصر به أولوا الأذهان الثاقبة من أولي الأبواب ،

وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء الله تعالى .

٢٦ - م : قال الإمام عليه السلام : لما توعّد <sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود والنواصب في جحد النبوة والخلافة ، قال مردة اليهود وعناة النواصب <sup>(٢)</sup> : من هذا الذي ينصر محمدًا وعليًا على أعدائهما ؟ فأنزل الله عز وجل : « إن في خلق السموات والأرض بلا عمد من تحتها ، ولعلاقة من فوقها ، تحبسها من الوقوع عليكم ، وأنتم يا أيها العباد والإماء أسرائي وفي قبضي ، الأرض من تحتكم لامنجا لكم منها إن هربتم ، والسماء من فوقكم ولا تحبس لكم عنها إن ذهبت ، فإن شئت أهلكتكم بهذه ، وإن شئت أهلكتكم بتلك ، ثم ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معاشكم ، ومن القمر المضيء لكم في ليالكم لتبصروا في ظلماته وإجاءكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكد الذي ينهك <sup>(٣)</sup> أبدانكم » واختلاف الليل والنهار المتتابعين الكادين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه من إسعاد وإشقاء ، وإعزاز وإذلال ، وإغناء وإفقار ، وحييف وشتاء ، وخريف وريبع ، وخصب وقحط ، وخوف وأمن . « والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس » التي جعلها الله مطاياكم لا تهدأ <sup>(٤)</sup> ليلاً ولا نهاراً ، ولا تقتضيك علفاً ولا ماءً ، وكفاكم بالرياح مؤونة تسيرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغ الحوائج لأنفسكم . « وما أنزل الله من السماء من ماء » وابلًا وهطلاً و رذاذاً <sup>(٥)</sup> لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معاشكم لكنه ينزل متفرقاً من علّا حتى تعم الأهدال والتلال والتلاع ، <sup>(٦)</sup> « فأحيابه الأرض بعد موتها » فيخرج نباتها وثمارها وجيوبها « وبث فيها

(١) أي هدد .

(٢) العتاة ، جمع للعاتى وهو المستكبر ومن جاوز الحد .

(٣) أي يدنف ويضنى .

(٤) المطايا جمع للمطية وهي الدابة التي تركب . ولا تهدأ أي لا تسكن .

(٥) الوابل : المطر الشديد . الهطل - يفتح الهاء - : المطر الضعيف الدائم . وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر . الرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار ، أو هو بعد الهطل .

(٦) جمع للتلة : ما ارتفع من الأرض وما انبط منها ، من الإضداد . و لعل المراد فى الخبر المعنى الثانى .

من كل دابة منها ما هو لا كلكم ومعاشكم ، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم لا نعامكم لئلا تشد عليكم خوفاً من افتراسها لها ، « وتصريف الرياح » المربية لحبوبكم ، المبلغة لثماركم ، النافية لركد الهواء والأقذار عنكم ، « والسحاب المسخر بين السماء والأرض » يحمل أمطارها ، ويجري بإذن الله ويصبها من حيث يؤمر « آيات » دلائل واضحات « لقوم يعقلون » يتفكرون بعقولهم أن من هذه العجائب من آثار قدرته قادر على نصرته محمد وعلي وآلهما ﷺ على من يشاء .

بيان : الكاذب من الكد بمعنى الشدة والإلحاح في الطلب كناية عن عدم تخلّفهما والباء في قوله ﷺ : بالعجائب بمعنى مع . وقوله : والأقذار كأنه جمع الفترة بمعنى الغبرة أي يذهب الأغبرة والأغبرة المجتمعمة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفنها . والضمير في قوله : أمطارها إما راجع إلى الأرض ، أو إلى السحاب للجمعية .

٢٧ - جمع : سئل أمير المؤمنين ﷺ عن إثبات الصانع ، فقال : البعرة تدل على البعير ، والرثة تدل على الحمير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فهكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير ؟ .

٢٨ - وقال ﷺ : يصنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالتفكر تثبت حقيقته ، معروف بالدلالات ، مشهور بالبيّنات .

٢٩ - جمع : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ما الدليل على إثبات الصانع ؟ قال : ثلاثة أشياء : تحويل الحال ، وضعف الأركان ، ونقض الهمة .

أقول : سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات ، وأبواب الموعظ والخطب والحكم إن شاء الله تعالى . ولنذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر ، ورسالة الإلهيجة المرويّتين عن الصادق ﷺ لاشتغالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى ، ولا يضر أن رسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل ، وقد شهد بذلك السيّد ابن طاووس وغيره .<sup>(١)</sup> ولا ضعف محمد بن سنان والمفضل لأنه في محل المنع بل يظهر من الأخبار

(١) قال ابن طاووس في ص ٩ من كتابه كشف المحجة : وانظر كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جل جلاله من الآثار ، وانظر كتاب الإلهيجة وما فيه من \*

الكثيرة علو قدرهما وجلالتهما ، مع أن متن الخبرين شاهداً صدق على صحتهما ،<sup>(١)</sup> وأيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتهما العلم على صحة الخبر .

\* الاعتبار ، فإن الاعتناء بقول سابق الانبياء والاوصياء والاولياء عليهم أفضل السلام موافق لفطرة العقول والاحلام . وقال في ص ٧٨ من كتابه الامان من أخطار الاسفار والازمان : ويصحب معه كتاب الاهليجة وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام الهندي في معرفة الله جل جلاله بطريق غريبة عجيبة ضرورية ، حتى أقر الهندي بالالهية والوحدانية ، ويصحب معه كتاب الفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وأسراره ، فانه عجيب في معناه . أقول : وعدم النجاشي من كتبه كتاب الفكر كتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار وصية الفضل ، وذكر طريقه إليه هكذا : أخبرني أبو عبد الله بن شاذان ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه ، عن عمران بن موسى ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن محمد بن سنان ، عن الفضل . انتهى . ولعل المراد منه هو كتاب توحيده هذا .

(١) أما متن الخبر الاول المشتهر بتوحيد الفضل فهو مطابق لجلال الاخبار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز وما يشتمل عليه من الادلة براهين تامة لا غبار عليها . وأما خبر الاهليجة فمحصل ما فيه إثبات جعية حكم العقل وعدم كفاية الحواس في الاحكام ، وإثبات وجود الصانع من طريق السببية ، وإثبات وحدته من طريق اتصال التدبير وهذا لا شك فيه من جهة العقل ولا من جهة مطابقتها لسائر النقل ، غير أنه مشتمل على تفاصيل لا شاهد عليها من النقل والعقل بل الامر بالعكس ، كاشتماله على كون علوم الهيئة وأحكام النجوم مستنداً إلى الوحي ، وكذا كون علم الطب والقرا بادين مستندين إلى الوحي مستدلاً بأن إنساناً واحداً لا يقدر على هذا التتبع العظيم والتجارب الواسع . مع أن ذلك مستند إلى أرصاد كثيرة ومحاسبات علمية وتجارب ممتدة من ايام مختلفة في أعصار وقرون طويلة تراكت حتى تكونت في صورة فن أنتجه مجموع تلك المجاهدات العظيمة ، والدليل عليه أن النهضة الاخيرة سبكت على الهيئة والطب في قالب جديد أوسع من قلوبها القديم بلا يقنة من الوسعة ، ولا مستند له إلا الارصاد والتجارب والمحاسبات العلمية ، وكذا ما هو مثلها في الوسعة كالكيما والطبيعات وعلم النبات والحيوان وغير ذلك ، نعم من الممكن استناد أصلها إلى الوحي وبيان النبي .

ومما يشتمل عليه الخبر كون البحار باقية على حال واحدة دائماً من غير زيادة ونقص مع أن التغيرات الكلية فيها ما هو اليوم من الواضحات . على أن الكتاب والسنة يساعداًه أيضاً .

والذي أظنه - والله أعلم - أن أصل الخبر ما صدر عنه عليه السلام لكنه لم يغل عن تصرف المتصرفين فزادوا ونقصوا بما أخرجه عن استقامته الاصلية ، ويشهد على ذلك النسخ المختلفة العجيبة التي سينقلها المصنف رحمه الله فإن النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة والكلمتين والجملة والجلتين لسهول الراوي في ضبطه أو من الكاتب في استنساخه ، وأما بنحو الورقة والورقتين وخمسين سطراً ومائة سطر فمن المستبعد جداً ، إلا أن يستدل إلى تصرف عدي ، ومما يشهد على ذلك أيضاً الاندماج وعسر البيان الذي يشاهد في أوائل الخبر وأواسطه . والله أعلم . ط

## ﴿باب ٤﴾

﴿الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر﴾

روى محمد بن سنان قال : حدثنا المفضل بن عمر قال : كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر ، وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمد ﷺ من الشرف والفضائل ، وما منحه وأعطاه وشرّفه به وحباه <sup>(١)</sup> مما لا يعرفه الجمهور من الأمانة ، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطرت مرتبته <sup>(٢)</sup> ، فأنيّ لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله ، وحاز الشرف بجميع خصاله ، ونال الحظوة في كل أحواله ، فقال له صاحبه : إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى ، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول ، وضلت فيها الأحلام ، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسين ، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا فقرر اسمه باسم ناموسه ، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان ، والمواضع التي انتهت إليها دعوته ، وعلت بها كلمته ، وظهرت فيها حجته برّاً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرّات ، مردّداً في الأذان والإقامة ليتجدّد في كل ساعة ذكره ، لئلا يخل أمره . فقال ابن أبي العوجاء : دع ذكر محمد - ﷺ - فقد تحيّر فيه عقلي ، وضلّ في أمره فكري ، وحدثنا في ذكر الأصل الذي يمشى به . ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك باهمال لاصنعة فيه ولا تقدير ، ولا صانع له ولا مدبّر ، بل الأشياء تتكوّن من ذاتها بلا مدبّر ، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال .

بيان : الحوز : الجمع وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه . والحظوة بالضم والكسر والحاء المهملة والطاء المعجمة : المكانة والمنزلة . والفيلسوف : العالم . وخساً

(١) أي أعطاه .

(٢) العطر . الشرف وارتفاع القدر والمرتبة .

البصر أي كل. و الناموس : صاحب السر المطلق على أمرك ، أو صاحب سر الخير ، و جبرئيل عليه السلام ، والحاذاق ومن يلف مدخله ، ذكرها الفيروز آبادي ، ومراده هنا الرب تعالى شأنه . وخمل ذكره : خفي . والخامل : الساقط الذي لانباهة له . وقوله : الذي يمشى به أي يذهب إلى دين محمد - ﷺ - وغيره بسببه ، أو يهتدى به كقوله تعالى : نوراً يمشي به في الناس .<sup>(١)</sup> و في بعض النسخ « يسمى » إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه ، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ويدعون الانتساب إليه .

قال المفضل : فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً<sup>(٢)</sup> فقلت : يا عدو الله أُلحِدت في دين الله ، وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم ، وصورك في أتم صورة ، وتلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهت ، فلو تفكرت في نفسك و صدقك لطيف حسبك لوجدت دلائل الربوبية و آثار الصنعة فيك قائمة ، وشواهد - جلّ وتقدس - في خلقك واضحة ، وبراهينه لك لائحة . فقال : يا هذا إن كنت من أهل الكلام كأمناك ، فإن ثبت لك حجة تبعنك ، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت ، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا ، وإنه لملحليم الرزين العاقل الرصين ، لا يعتريه<sup>(٣)</sup> خرق ولا طيش ولا نزق ، وسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجبتنا حتى استفرغنا ما عندنا وظننا أننا قد قطعناه أدهض حجبتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ، ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه رداً ، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

بيان : و صدقك بالتخفيف أي قال لك صدقاً . لطيف حسبك أي حسبك اللطيف أي لم يلتبس على حسبك غرائب صنع الله فيك طعاندتك للحق ، وفي بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر ، وعلى الوجهين يمكن أن يقرأ صدقك بالتشديد بتكلف لا يخفى على المتأمل . والرزين : الوقور ، والرصين بالصاد

(١) الانعام : ١٢٢ .

(٢) الحنق : شدة الغيظ .

(٣) أي لا يصيبه .

المهمة : الحكم الثابت . والخرق بالضم : ضد الرفق . والنزق : الطيش والخفة عند الغضب . وقوله : استفرغنا لعلّه من الإفراغ بمعنى الصب ، قال الفيروز آبادي : استفرغ مجهوده : بذل طاقته ، والإدحاض : الإبطال .

قال المفضل : فخرجت من المسجد حزوناً مفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصاة وتعطيلها ،<sup>(١)</sup> فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسراً ، فقال : مالك ؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين<sup>(٢)</sup> وبما رددت عليهما ، فقال : لأتقين إنيك من حكمة الباري - جلّ وعلا وتقدس اسمه - في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام ، وكلّ ذي روح من الأنعام ، والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ، ويسكن إلى معرفته المؤمنون ، ويتحير فيه الملحدون فبكر عليّ غداً .

قال المفضل : فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به ، فلمّا أصبحت غدوت فاستوذّن لي فدخلت وقمت بين يديه ، فأمرني بالجلوس فجلست ، ثمّ نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ، فنهضت بنهوضه فقال : اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه ، فجلس وجلست بين يديه ، فقال : يا مفضل : كأنّي بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك ؟ فقلت : أجل يا مولاي ، فقال : يا مفضل إن الله كان ولا شيء قبله ، وهو باق ولا نهاية له ، فله الحمد على ما ألهمنا ، وله الشكر على ما منحنا ، وقد خصّنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها ، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه ، وجعلنا مهيمين عليهم بحكمه ، فقلت : يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه ؟ - وكنت أعددت معي ما أكتب فيه - فقال لي : افعل .

بيان : أسناها أي أرفعها أو أضوأها . والمهيم : الأيمن والمؤمن والشاهد .

يا مفضل إن الشكّك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة ، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة ، فيما ذرأ<sup>(٣)</sup> الباري جلّ قدسه وبراً<sup>(٤)</sup> من صنوف خلقه في

(١) العصاة : الجماعة من الرجال .

(٢) الدهري : الملحد القائل : بأن العالم موجود أزلاً وأبداً ، لا صانع له .

(٣) أي خلق .

(٤) أي خلقه من العدم .

البرّ والبحر، والسهل والوعر <sup>(١)</sup> فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود ، و بضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود ، حتى أنكروا خلق الأشياء ، وأدّعوا أن كونها بالإهمال لاصنعة فيها ولا تقدير ، ولا حكمة من مدبّر ولا صانع ، تعالى الله عما يصفون ، وقاتلهم الله أنسى يؤفكون . فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه ، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره ، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب <sup>(٢)</sup> التي يحتاج إليها لا يستغنى عنها ، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يميناً وشمالاً يطوفون بيوتها إداراً وإقبالاً ، محجوبة أبصارهم عنها ، لا يبصرون بنية الدار <sup>(٣)</sup> وما أعدّ فيها ، وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعدّ للحاجة إليه ، وهو جاهل بالمعنى فيه ولما أعدّ ولماذا جعل كذلك فتذمّروا وتسخط وذمّ الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلق وثبات الصنعة ، <sup>(٤)</sup> فإنّهم لما غربت <sup>(٥)</sup> أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يعولون في هذا العالم حيارى ، ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته ، وربما وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ ، كالذي أقدمت عليه المانويّة الكفرة ، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال ، المعلنين أنفسهم بالمحال ، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ، ووفقته لتأمل التدبير في صنعة الخلائق ، والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها ، أن يكثّر حمد الله مولاه على ذلك ، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنّه جلّ اسمه يقول : لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد .

(١) وعرا الارض صلب وصعب السير فيه ، ضد السهل .

(٢) المآرب : الحوائج .

(٣) وفي نسخة : هيئة الدار .

(٤) وفي نسخة : إثبات الصنعة .

(٥) فى نسخة عزبت ، وفى نسخة اخرى : غبت ، وفى ثالثة . وعرت .



بيان : قاتلهم الله أي قتلهم ، أولعهم . أننى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق ؛ وقال الجوهرى : ظلَّ يتذمَّر على فلان إذا تنكَّر له وأوعده . انتهى . وغربت بمعنى غابت . والإرب بالفتح والكسر : الحاجة . ووصفه بالإحالة أي بأنه يستحيل أن يكون له خالق مدبِّر أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى . والمأنوية فرقة من الثنوية أصحاب ماني السذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنوَّة المسيح - على نبينا وآله وعليه السلام - ولا يقول بنوَّة موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - و زعم أن العالم مصنوع مركَّب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور ، والشُّرور إلى الظلمة ، وينسبون خلق السباع والموذيات والعقارب والحيات إلى الظلمة ، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم بأن هذا لجعلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيات التي يزعمون أنها من الشرور التي لا يليق بالحكيم خلقها . قوله عليه السلام : المعلنين أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم بأُمور يحكم العقل السليم باستحالته ، قال الفيروز آبادي : علَّله بطعام وغيره تعليلاً : شغله به .

يامفضل : أوّل العبر والأدلة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ماهي عليه ، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك وميَّزته بعقلك وجدتَه كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كاللبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ ، والإنسان كالمملوك ذلك البيت ، والمخلوق جميع ما فيه ، وضروب النبات مهبطاً لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ، ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ، ونظام وملائمة ، وأن الخالق له واحد وهو الذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض ، جلّ قدسه ، وتعالى جدّه ، وكرم وجهه ، ولا إله غيره ، تعالى عما يقول الجاحدون ، وجلّ وعظم عما ينتحله الملحدون .

بيان : قال الفيروز آبادي : نضد متاعه ينضده : جعل بعضه فوق بعض فهو منضود انتهى . والتخويل : الإعطاء والتعليك : قوله عليه السلام : وإن الخالق له واحد

أقول : أشار ﷺ بذلك إلى أقوى براهين التوحيد ، <sup>(١)</sup> وهو أن ايتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض ، يدل على وحدة مدبرها كما أن ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدل على وحدة مدبره . وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها ، وربما يستدل عليه أيضاً بما قد تقرر من أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علّة للآخر ، أو هما معلولا علّة ثالثة ، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد .

نبتدى بامفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به ، فأول ذلك ما يدبره الجنين في الرحم ، وهو محبوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة ، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذوا الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذاكمل خلقه واستحكم بدنه ، وقوي أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقات الضياء حاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج ، وأعنفه حتى يولد ، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثدييها فانقلب الطعام واللون إلى ضرب آخر من الغذاء ، وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمه كالإداوتين المعلقتين لحاجته إليه ، فلا يزال يقتذي باللبن مادام رطب البدن ، رقيق الأمعاء ، ليسن الأعضاء ، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوي بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ، ليمضغ به الطعام فيلين عليه ، ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعن الرجل الذي يخرج به من حد الصبا وشبه النساء ، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيماً من الشعر ، لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرّك الرجال لمافيه دوام النسل وبقاؤه .

(١) الذي وصف عليه السلام به هذا الدليل هو أنه أول الادلة أي أقرب الادلة منا إذا أردنا التفهم بالاستدلال ، وأما كونه أقوىها كما ذكره رحمه الله فلعل هناك ما هو أقوى منه وإن كان أبعد من أفهامنا كما يثبت في محله . ط

بيان : الأديم : الجلد . والطلق : وجع الولادة . ويقال : أزعجه أي قلعه عن مكانه ويقال : تلمّظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفثيه ، وتلمّظت الحية إذا أخرجت لسانها كتلمّظت الأكل . والإداوة بالكسر : إناء صغير من جلد يتخذ للماء . والطواحن : الأضراس ، ويطلق الأضراس غالباً على المتأخير ، والأسنان على المقادير كما هو الظاهر هنا ، وإن لم يفرق اللغويون بينهما ، والمراد بالطواحن هنا جميع الأسنان . والإساعة : الأكل والشرب بسهولة .

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال ؟ أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء ؟ ولولم يزعه المخاض <sup>(١)</sup> عند استحكاه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض ؟ ولولم يوافق اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً ، أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ؟ ولولم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساعته ، أو يقيمه على الرضاع فلا يشد بدنه ولا يصلح لعمل ؟ ثم كان تشتغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ، ولولم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقاراً ؟ فقال المفضل : فقلت : يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حاله ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر ، فقال : ذلك بما قدّمت أيديهم وأن الله ليس بظالم للعبيد ، فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأ خلقاً بعد أن لم يكن ، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال لأنهما ضد الإهمال ، وهذا فظيع <sup>(٢)</sup> من القول وجهل من قائله ، لأن الإهمال لا يأتي بالصواب ، والتضاد لا يأتي بالنظام ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً ، ولو كان المولود يولد فـهـمـاعـاقـلاً لا نكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل <sup>(٣)</sup> إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه

(١) المغاض : وجع الولادة وهو الطلق .

(٢) فظع الامر : اشتدت شناعته وجاوز المقدار في ذلك .

(٣) أي ضايح العقل .

مالهم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ، واعتبر ذلك بأن من سبى من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبى صغيراً غير عاقل ، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً ، معصباً بالخرق ، مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غيباً غافلاً عمماً فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ، ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء ، و حالاً بعد حال ، حتى يألف الأشياء ويتمرن<sup>(١)</sup> ويستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية ، وفي هذا أيضاً وجوه آخر فإنّه لو كان يولد تام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكلفات<sup>(٢)</sup> بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ، ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم<sup>(٣)</sup> فيفترقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ، ولا يمنع من نكاح أمّه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهنّ ، وأقل ما في ذلك من القباحة - بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع - لو خرج المولود من بطن أمّه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه . أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب ، و خلا من الخطأ دقيقه وجليله ؟ .

بيان : أفرأيت أي أخبرني ، قال الزمخشري : لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها استعملوا أرايت بمعنى أخبر . انتهى . و يقال : ذوى العود أي يبس . والموؤود الذي دفن في الأرض حياً كما كان المشركون

(١) أي يتعود ويتدرّب .

(٢) وفي نسخة : من المكافاة .

(٣) أي حفظهم وتمهّتهم .

يفعلون في الجاهلية ببنايتهم . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أوقيمة أي عدم طلوع الأسنان . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
ذلك بما قد تمت أيديهم ، يحتمل أن يكون هذا التعذيب الآباء وإن كان الأولاد يوجرون  
لقباحة منظرهم ، أو لئلا ولاد لما كان في علمه تعالى صدوره عنهم باختيارهم . ويرصده  
أي يرقبه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فإن كان الإهمال أي إذالم يكن الأشياء منوطة بأسبابها ، ولم  
ترتبط الأمور بعلمها ، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التام بلا سبب فجاز  
أن يصير التدبير في الأمور سبباً لاختلالها ، وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافة الخلق  
لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور وذمهم من يأتي بها على غير تأمل وروية ، ويحتمل  
أن يكون المراد أن الوجدان يحكم بتضاد آثار الأمور المتضادة ، وربما أمكن إقامة  
البرهان عليه أيضاً ، فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضدّه وهو التدبير بالخطأ  
وهذا أظن وأشنع ، والمراد بالمحال الأمر الباطل الذي لم يأت على وجه الذي ينبغي  
أن يكون عليه ، قال الفيروز آبادي : المحال من الكلام بالضم : ما عدل عن وجهه . انتهى .  
والتيه : الضلال والحيرة . والغضاضة بالفتح : الذلة والمنقصة . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : معصياً أي  
مشدوداً . والتسجيمية : التغطية بثوب يمدّ عليه . والغبيث على فعل : قليل الفطنة . والاعتبار  
من العبرة ، و ذكر في مقابلة السهو والغفلة . وقوله : ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان  
على موضع . وقوله : من المكلفات بيان لما يوجب أي لذهب التكليف المتعلقة بالأولاد  
بأن يبرؤا آباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم ، وإعانتهم لكبرهم و  
ضعفهم ، جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم . قوله : أن يرى خبر لقوله : أقل ما في ذلك .  
اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ، واعلم أن في أدمغة الأطفال  
رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلاً ، وعلا عظيمة من ذهاب البصر وغيره  
فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم ، فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم ، والسلامة  
في أبصارهم ، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ، والداء لا يعرفان ذلك ،  
فهما دائبان ليسكتاه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي ، وهما لا يعلمان أن البكاء  
أصلح له وأجل عاقبة ، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون

بالإهمال ، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء ، أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون ،<sup>(١)</sup> وكثيراً مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته ، فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لوبقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة ، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله<sup>(٢)</sup> والجنون والتخليط ،<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة كالفالج واللقوة<sup>(٤)</sup> وما أشبههما ، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لمالهم في ذلك من الصحة في كبرهم ، فتفضل على خلقه بما جهلوه ، ونظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التماذي في معصيته ، فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه ، وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً .

إيمان : الدؤب : الجد والتعب . والتوخي : التحري والقصد . وقوله ﷺ :  
كل ما لا يعرفه أي مما لا يقصر عنه علم المخلوقين . ويقال : أبطل أي جاء بالباطل .  
انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك ، فجعل للذكر آلة ناشرة<sup>(٥)</sup> تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره ، وخلق للأنثى وعاءاً قعر ليشتمل على المائين جميعاً ، ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم ، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون .

إيمان : المشاكلة : المشابهة والمناسبة ، واسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير في الخلق ، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع .

(١) وفي نسخة : يعرفه العارفون .

(٢) أي ضعف العقل وعجز الرأي .

(٣) أي اضطراب العقل واختلاله .

(٤) اللقوة : علة يجذب لها شق الوجه إلى جهة غير طبيعية ، فخرج النفخة والبرقة من جانب واحد ، ولا يحسن التقاء الشفتين ، ولا ينطبق إحدى العينين .

(٥) أي رافعة . وفي نسخة ناشرة .

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع و تدير كل منها للإرب ، فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتمام ، والفم للاغتذاء ، والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ،<sup>(١)</sup> والمنافذ لتنفيذ الفضول ،<sup>(٢)</sup> والأوعية لحملها ، والفرج لإقامة النسل ، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتّها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة .

قال المفضّل : فقلت : يا مولاي إن قوماً يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة ، فقال : سلمهم عن هذه الطبيعة ، أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال ، أم ليست كذلك ؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق ؟ فإن هذه صنعته ، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم ، وأن الذي سمّوه طبيعة هو سنة في خلقه الجارية على ما أجزاها عليه .

أيضاح : قوله ﷺ : فما يمنعهم ؟ لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمّونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة ؟ . قوله ﷺ : علم أن هذا الفعل أي ظاهر بطلان هذا الزعم ، والذي صار سبباً لذهولهم أن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك ، وبعبارة أخرى أن سنة الله وعادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادي النظر مستندة إلى غيره تعالى ، ثم يعلم بعد الاعتبار والتفكير أن الكل مستند إلى قدرته و تأثيره تعالى ، وإنما هذه الأشياء وسائل و شرائط لذلك ، فلذا تحيروا في الصانع تعالى ، فالضمير المنصوب في قوله : أجزاها راجع إلى السنة ، و ضمير « عليه » راجع إلى الموصول .

فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير ، فإن الطعام يصير

(١) التخليص : التصفية والتمييز عن غيره ، وذلك لأن الكبد يعيل الكيلوس إلى الخلط ، و

يصفي الإخلاط كل واحد عن الآخر ، وينفذها إلى البدن ، كلها في مجارى مهياة له .

(٢) أي لإخراج الفضول .

إلى المعدة فتطبخه ، و تبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رفاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء ، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها ، و ذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً ، وينفذ إلى البدن كله في مجاري مهيأة لذلك ، بمنزلة المجاري التي تهبط للماء حتى يطرد في الأرض كلها ، و ينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ، و وضع هذه الأجزاء منه مواضعها ، و إعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير ، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه .

قال المفضل : فقلت : صف نشؤ<sup>(١)</sup> الأبدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال . فقال عليه السلام :

أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ، ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً بجميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف ، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مدّ في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك ، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة ؟ .

يامفضل انظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم ، فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل بهما ، فلو كان مكبواً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال .

(١) بالنون المفتوحة والشين الساكنة ثم الهزة . أو بالنون والشين المضمومتين والواو الساكنة

ثم الهزة .



بيان : قال الفيروز آبادي : وشجت العروق والأغصان : اشتبكت . وقال : نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت . انتهى . والمفائض في بعض النسخ بالفاء أي مجاري من فاض الماء ، وفي بعضها بالغين من غاض الماء غيضاً ، أي نضب<sup>(١)</sup> وذهب في الأرض والمغيض : المكان الذي يغيض فيه . و «إلى» في قوله : إلى ما في تركيب بمعنى «مع» . وقال الفيروز آبادي : الغضروف : كل عظم رخو يؤكل ، وهو مارن الأنف ،<sup>(٢)</sup> وبعض الكتف ، ورؤوس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل فوق الأذن . انتهى . وقوله : تتزايد ولا تنقص أي النسبة بين الأعضاء . وبلوغ الأشد وهو القوة أن يكتهل ويستوفي السن الذي يستحكم فيها قوته وعقله وتميزه .

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرّف بها على غيره ، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصباح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدبن والرجلين فتعرضها الآفات ، و تصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر ثقلها وإطّاعها نحو الأشياء ، فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس ، وهو بمنزلة الصومعة لها ؛ فجعل الحواسّ خمساً تلقي خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصريدركها لم يكن منفعة فيها ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدرّكها لم يكن فيها إرب<sup>(٣)</sup> وكذلك سائر الحواسّ ، ثم هذا يرجع متكافئاً ، فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قدّر بعضها يلقي بعضاً فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس حاسة تدركه ، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواسّ والمحسوسات ، لا يتمّ الحواسّ إلا بها ، كمثّل الضياء والهواء فإنّه لو لم يكن ضياءٌ يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ،

(١) أي جرى وسال . غار في الأرض .

(٢) أي طرف الأنف ، أو ما لان من طرفه .

(٣) الإرب : الحاجة .

ولولم يكن هواً يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت ، فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء آخربها تتم الحواس لا يكون إلا بعمد وتقدير من لطيف خبير ؟ .  
بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بعضها يلقي بعضاً حال أوصفة بتأويل أو تقدير .

فكّرياً مفضلّ فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره ، فإنّه لا يعرف موضع قدمه ، ولا يبصر ما بين يديه ، فلا يفرق بين الألوان ، وبين المنظر الحسن والقيبح ، ولا يرى حفرة إن هجم عليها<sup>(١)</sup> ولا عدواً إن أهوى إليه بسيف ، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتّى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى ؛ وكذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاوره ، ويعدم لذة الأصوات واللّحون الشجيّة المطربة ، ويعظم المؤونة على الناس في محاورته ، حتّى يتبرّوا به<sup>(٢)</sup> ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم ، حتّى يكون كالغائب وهو شاهد ، أو كالميت وهو حي ؛ فأما من عدم العقل فإنّه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً ممّا يهتدي إليه البهائم ، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال<sup>(٣)</sup> التي بها صلاح الإنسان والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقة على التمام حتّى لا يفقد شيئاً منها ، فلم كان كذلك إلا لأنّه خلق بعلم و تقدير ؟<sup>(٤)</sup>

بيان : روح المخاطبة بالفتح أي راحتها ولذتها . والشجو : الحزن . ولا يتوهم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقاً لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحلّلة منها كما ذكرها الأصحاب ، وسيأتي ذكرها في بابها ، أو يكون فائدة إدراك تلك اللذّة عظم الثواب في تركها لوجه تعالى . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يوافي خلقة ، خبر صارت .  
قال المفضلّ : قللت : فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في

(١) أي انتهى إليها بغنة على غفلة منه .

(٢) أي حتى يملّوا ويضجروا به .

(٣) جمع الخلّة وهي الخلصة .

(٤) وفي نسخة : إلا لانه خلق بعلم ويقدر .

ذلك مثل ما وصفته يا مولاي ؛ قال عليه السلام : ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به  
ولغيره بسببه ، كما قد يؤذّب الملوك الناس للتنكيل <sup>(١)</sup> والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم  
بل يعمد من رأيهم ويصوّب من تدبيرهم ، ثم للذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب  
بعد الموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها ، حتى أنهم لو خيروا  
بعد الموت لاختاروا أن يردّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب .

فكريا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً ، وما في ذلك من الحكمة  
والتقدير ، والصواب في التدبير ، فالرأس ممّا خلق فرداً ولم يكن للإنسان صلاح في أن  
يكون أكثر من واحد ، ألا ترى أنّه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً  
عليه من غير حاجة إليه ، لأنّ الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ، ثم كان  
الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا إرب  
فيه ولا حاجة إليه ، وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه ،  
وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ ، و  
أشبه هذا من الأخلاط ، واليدان ممّا خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون  
له يد واحدة لأنّ ذلك كان يخلّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أنّ  
النجار والبناء لو شئت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته ، وإن تكلف ذلك لم  
يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل .

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان ، فالحنجرة  
كالأنبوبة <sup>(٢)</sup> لخروج الصوت ، واللسان والشفطان والألسان لصياغة الحروف والنغم ،  
ألا ترى أنّ من سقطت أسنانه لم يقدّم السين ، ومن سقطت شفته لم يصحّ الفاء ، ومن ثقل  
لسانه لم يفصح الراء ، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم ، فالحنجرة يشبه قصبه المزمار  
والرية يشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح ، والعضلات التي تقبض على الرية  
ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار ، والشفطان

(١) نكتل به : صنع به صنيعاً يحدّره غيره ويجعله عبرة له .

(٢) وزان ارجوزة : ما بين المقدتين من القصب .

والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغمات كالأصابع التي يختلف في فهم المزممار فتصوغ صفيه ألعاناً، غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزممار بالدلالة والتعريف فإن المزممار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت .

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف ؛ وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى ، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرية فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس<sup>(١)</sup> شيئاً يسيراً لهلك الإنسان ، و باللسان تذوق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرّها ، وحامضها من مزّها ، وما لحها من عذبتها ، وطيبها من خبيثها ، وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطعام و الشراب ، والأسنان تمضغ الطعام حتى تلين ويسهل إساغته ، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم ،<sup>(٢)</sup> واعتبر ذلك بأنك ترى من سقطت أسنانه مسترخى الشفة ومضطربها ، وبالشفين يترشف الشراب<sup>(٣)</sup> حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقد لا يشجّ نجاً فيغص به الشارب أو ينكأ في الجوف ، ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ، و يطبقهما إذا شاء ، ففيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع ، كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى ، وذلك كالفاس<sup>(٤)</sup> يستعمل في النجارة<sup>(٥)</sup> والحفر وغيرهما من الأعمال ، ولورأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيت قذلفاً بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض و تمسكه فلا يضطرب ، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّ هذه الصدمة والصكة<sup>(٦)</sup> التي ربما وقعت في الرأس ، ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس<sup>(٧)</sup> يستره من شدة الحرّ

(١) وفي نسخة : لو حبس .

(٢) دعم الشيء : أسنده لتلاييل .

(٣) رشف الماء أى بالغ في مصه .

(٤) الفاس : آلة لقطع الخشب وغيره .

(٥) وذان الكتابة : حرفة النجار .

(٦) الصكة : الضرب الشديد أو اللطم .

(٧) الفرو : شئ كالجمجمة يبطّن من جلود بعض الحيوانات كالآوانب والسور .

والبرد ، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ والمستحقّ للحيلة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته ؟ .  
بيان : المزلّ : بين الحلو والحامض والشحّ : السيلان . والغصص : أن يقف الشيء في الحلق فلم يكده يسبغه . والجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ . والبيضة : هي التي توضع على الرأس في الحرب . والفّت : الكسر . وهذا البناء : كسره وضعفه ، وهدّته المصيبة أي أوهنت ركنه . والحيلة بالكسر : الحيلة والرعاية .  
تأمل يا مفضل الجفن على العين ، كيف جعل كالغشاء ، والأشفا كالأشراج ، وأولجها في هذا الغار ، وأظلمها بالحجاب وما عليه من الشعر .

بيان : الجفن : غطاء العين من أعلا وأسفل . والأشفا : هي حروف الأجنان التي عليها الشعر . والأشراج : العرى . وكأنه عَلَيْهَا شبه الأشفا بالعرى والخيط المشدود بها ، فإن بهما ترفع الأستار وتسدل عند الحاجة إليهما ، أو بالعرى التي تكون في العيبة من الأدم<sup>(١)</sup> وغيره ، يكون فيها خيط إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً ، وكلاهما مناسب ، والأول أنسب بالغشاء . قال الجزري : في حديث الأحنف : فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتها . يقال : اشرجت العيبة وشرجتها : إذا شدتها بالشرج وهي العرى . انتهى . وأولجها يعني أدخلها .

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر ، وكساء المدرعة التي هي غشاؤه ، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكؤه ؟ من جعل في الحلق منفذين ؟ أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية ، والآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة المتوصل للغذاء إليها ، وجعل على الحلقوم طبقة يمنع الطعام أن يصل إلى الرية فيقتل ؛ من جعل الرية مروحة الفؤاد ؟ لا تفتقر ولا تهلّ لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤذي إلى التلف . من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما ؟ لئلا يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا ؟ بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر ، من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدّرها

(١) العيبة الزنبريل من ادم . ما تجعل فيه الثياب كالصندوق . الا دم : الجلود المدبوغة .

لهضم الطعام الغليظ ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفوا للطيف من الغذاء ولتضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلا الله القادر ؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك ؟<sup>(١)</sup> كلاً ، بل هو تدبير من مدبر حكيم ، قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها ، لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير .

تبيان : الجوانح : الأضلاع التي تمايلي الصدر . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا نخل من الإخلال بالشيء ، بمعنى تركه . وقوله تتحيز إنما من الحيّز أي تسكن ، أو من قولهم : تحيّزت الحيّة : أي تلوت .

فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصناً في أنابيب العظام ؟ هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه ؟ لم صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض ؟ لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل ؟ لم صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة الكوكب<sup>(٢)</sup> إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليتكسر حمة الريح فلا ينكأ في السمع ؟ لم تحمل الإنسان على فخذه وإليته هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما ، كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها ؟ من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلا من خلقه متناسلاً ؟ ومن خلقه متناسلاً إلا من خلقه مؤملاً ؟ ومن خلقه مؤملاً ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملاً ؟ ومن خلقه عاملاً إلا من جعله محتاجاً ؟ ومن جعله محتاجاً إلا من ضربه بالحاجة ؟ ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه ؟ من خصه بالفهم إلا من أوجب له الجزاء ؟ ومن وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول ؟ ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة ؟ من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ مدى شكره ؟ فكر وتدبر ما وصفته ، هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب ؟ تبارك الله عما يصفون .

(١) في نسخة : أترى من الإهمال يأتي بشيء من ذلك .

(٢) أقول : في بعض النسخ « اللولب » مكان الكوكب وهو آلة من خشب أو حديد ذات محور ،

ذو دوام ناتئة ، وهو الذكر ، أو داخلة وهو الأنثى .

بيان : الكوكب : المحبس . واطرّد الشيء تبع بعضه بعضاً و جرى . وقال  
الجوهري : حمة الحرّ معظمه . وقوله ﷺ : إلاً من خلقه مؤملاً إشارة إلى  
أنّ الأمل و الرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل ، و لذا جعل الإنسان ذا أمل  
لبقاء نوعه . قوله ﷺ : إلاً من ضربه بالحاجة أي سبب له أسباب الاحتياج و خلفه  
بحيث يحتاج . قوله ﷺ : إلاً من توكل بتقويمه أي تكفل برفع حاجته و تقويم أوده .  
والحول : القوة .

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد ، اعلم أنّ فيه ثقباً موجهة نحو الثقب التي في  
الرية تروح عن الفؤاد ، حتّى لو اختلفت تلك الثقب و تزايل بعضها عن بعض لما وصل  
الروح إلى الفؤاد و لهلك الإنسان ، أفيستجيز ذوفكر و روية أن يزعم أن مثل هذا يكون  
بالإهمال ولا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول ؟ لو رأيت فرداً من مصراعين فيه  
كلوب أكنت تتوهم أنّه جعل كذلك بلا معنى ؟ بل كنت تعلم ضرورة أنّه مصنوع يلقي  
فرداً آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة ، وهكذا تجد الذكر من الحيوان  
كأنّه فرد من زوج مهيأ<sup>(١)</sup> من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل و بقاءه ،  
فتباً و خيبة و تعساً لمن تحلى الفلسفة ، كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى  
أنكروا التدبير و العمد فيها ؟ لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم  
حتّى يفرغ النطفة فيه ؟ ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش أو يمشي  
بين الناس و شيء شاخص أمامه ؟ ثمّ يكون في ذلك مع قبج المنظر تحريك الشهوة في  
كلّ وقت من الرجال و النساء جميعاً ، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو  
للبصر في كلّ وقت ، و لا يكون على الرجال منه مؤونة ، بل جعل فيه القوة على الانتصاب  
وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه دوام النسل و بقاءه .

توضيح : قال الجوهري : وزعته أزعه وزعاً : كقفته<sup>(٢)</sup> . انتهى . و الكلوب  
بالتشديد : حديدة معوجة الرأس ، وفي بعض النسخ «كلون» وهو فارسي . قوله ﷺ  
مهيأ في بعض النسخ بالياء فلفظة «من» تعليلية ، و في بعضها بالنون فمن تعليلية أو

(١) وفي نسخة : كأنه فرد من زوج منها .

(٢) لم نجد في كلامه عليه السلام لفظة وزعته .

ابتدائية أي إنما يتم عيشه بأشئ ، وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جَوِّز استعماله فيه . وقال الجوهرى : تَبَّاً لفلان ، تنصبه على المصدر با ضمائر فعل أي الزمه الله هلاكاً وخسراناً . وقال : التمس : الهالك ، يقال : تمسأ لفلان أي ألزمه الله هلاكاً .

اعتبر الآن يا مفضل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى ، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها ؟<sup>(١)</sup> فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه ، فلم يجعله بارزاً من خلقه ، ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيب في موضع غامض من البدن ، مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ، وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فيؤايرانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصباً مهيباً لأحدار الثقل ، فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعمائه .

بيان : ألقى أي وجد . وقوله عَلَيْهِمَا : منصّباً إماماً من الانصباب ، كناية عن التدليّ أو من باب التفعيل من النصب قال المفيروز آبادي : نصب الشيء وضعه ورفع ضده ، كنصبه فانتصب وتنصب .

فكّر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه ، وبعضها عراض لمضغه ورضه<sup>(٢)</sup> فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً .

تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنّهما لما كانا مما يطول ويكثر حتّى يحتاج إلى تخفيفه أو لا فإوّل جعل عديمي الحسّ ثلاثيولم الإنسان الأخذ منهما ، ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له مسّ من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين : إمّا أن يدع كل واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه ، وإمّا أن يخففه بوجع وألم يتألّم منه .

(١) وفي نسخة : في أستر موضع منها .

(٢) رسته : دقته وجرشه .



قال المفضل : فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى التقصان منه ؟ فقال عليه السلام : إن الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها ، أعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامته ،<sup>(١)</sup> وبخروج الأظفار من أناملها ، ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات ، فتخرج الآلام والأدواء بخروجها ، وإذا طال تحيراً وقلّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً ، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي يضرّ بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر ، لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمي البصر ؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سيغصّ على الإنسان طعامه وشرابه ؟ ولو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوقه عن صحة اللبس وبعض الأعمال ؟ فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع ؟ فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ، ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنك ترى أجسامهم مجلّة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه ؛ فتأمل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرة ، وتأتي بالصواب والمنفعة ، إن المنانسة<sup>(٢)</sup> وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين<sup>(٣)</sup> ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر ، كما ينبت العشب في مستنقع المياه ؛ أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهياً لقبول تلك الفضلة من غيرها ؟ ثم إن هذه تعدّ<sup>(٤)</sup> ممّا يحمل الإنسان من مؤونة هذا البدن وتكاليفه لماله في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر ممّا يكسر به شرته ، ويكف عاديته ، ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة . تأمل الريق وما فيه من المنفعة فإنّه جعل يجري جرياناً داعماً إلى الفم ليلبّ الحلق واللّهوات فلا يجفّ ،

(١) المسامة . ثقبه ومنافذ كمنابت الشعر .

(٢) وفي نسخة : المانوية .

(٣) الإبطين . باطن الكتفين .

(٤) وفي نسخة بعد .

فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان ، ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه ، تشهد بذلك المشاهدة .  
وأعلم أن الرطوبة مطيئة الغذاء ، وقد تجري من هذه البلة إلى موضع آخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان ، ولو يبست المرة لهلك الإنسان ، ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلّة التميز و قصور العلم : لو كان بطن الإنسان كهية القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعائن ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد ، لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحسّ العرق وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سبباً للموت . فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا كان أوّل ما فيه أنه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت ، وكان يستشعر البقاء ويفترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشرف ، ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرفقه وثياب بذلته وزينته ، بل كان يفسد عليه عيشه ، ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف ، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان . أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل ؟ .

ايضاح : الركب بالتحريك ما ثبت العانة . ومستنقع الماء بالفتح : مجتمعه . وشرة الشباب بالكسر : حرصه ونشاطه . والعادية : الظلم والشر . والأشرف بالتحريك : البطر وشدة الفرح . واللّهوات جمع لهات وهي اللحمية في سقف أقصى الفم . وقوله عَلَيْكَ : من المرة بيان لموضع آخر . وعنا عنواً : استكبر وجاوز الحد . ويقال : تحلب العرق أي سال . والخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

فكرياً مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعام والنوم والجماع وما دبر فيها فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به

فالجوع يقتضي الطعام الذي به حياة البدن وقوامه ، والكرى تقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه ، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ، ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك ، كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء مما يصلح يبدنه فيدافع به حتى يؤدى به ذلك إلى المرض والموت ، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالتفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتناقل عن ذلك فيدمغه حتى ينهك بدنه ، ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع ، فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به ، فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه<sup>(١)</sup> واعلم أن في الإنسان قوى أربعاً : قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة ، وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها ، وقوة هاضمة وهي التي تطبخه<sup>(٢)</sup> وتستخرج صفوه وتبشّه في البدن ، وقوة دافعة تدفعه وتحدّر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها ، تفكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها ، وما في ذلك من التدبير والحكمة ، ولولا الجاذبة كيف يتحرك الإنسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ؛ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ؛ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذوا البدن ويسد خلله ؛ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولاً فأولاً ؛ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعته وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه ؛ وسأمثل لك في ذلك مثلاً : إن البدن بمنزلة دار الملك ، وله فيها حشم وصبيّة وقوام موكلون بالدار ، فواحد لا قضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج

(١) أى يبعثه ويسوقه إليه .

(٢) وفي نسخة : وهي التي تصنعه .

وبيّناً، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقدار وإخراجه منها؛ فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن، والحشم هي الأعضاء، والقوّم هي هذه القوى الأربع، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلاً وتزداداً، وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء، ولا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي، كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تبيان: الطعم بالضم: الأكل. والكرى: السهر. والجمام بالفتح: الراحة، يقال: جمّ الفرس جمّاً وجاماً إذا ذهب إعياءه. والشبق بالتحريك: شدة شهوة الجماع. وتوانى في حاجته أي قصّر. ولا يحفل به أي لا يبالي به. وتحدّر الثفل كتصر أي ترسل. وقوله عليه السلام: ولولا الجاذبة يدلّ على أن لها مدخلاً في شهوة الطعام. قوله عليه السلام: خلله كأنه بالضم جمع الخلّة وهي الحاجة، أو بالكسر أي الخلال والفرج التي حصلت في البدن بتحلل الرطوبات. قوله عليه السلام: ولعلّك ترى يحتمل أن يكون الغرض دفع توهّم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الذي ذكره الأطباء واكتفوا به إطناباً وتكراراً، وحاصله أن الأطباء إنما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطلها، ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل، ونحن إنما ذكرنا هذا التمثيل لتبضح دلالتها على صانعها ومدبرها، إذ هذه مقصودنا من ذكرها. ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهّم أن ذكر هذه القوى بعد كونها مذكورة في كتب الأطباء فضل لإحاجة إليه بأن الغرض مختلف في بياننا وبيانهم، وبذلك يختلف التقرير أيضاً فلذا ذكرنا ههنا بهذا التقرير الشافي، فالضمير في قوله: وصفت على بناء المجهول راجع إلى القوى، والعائد مخذوف، أي وصفت به لكنّه بعيد.

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ

وحده كيف كانت تكون حاله ؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه ، وما أخذه وما أعطى ، وما رأى وما سمع ، وما قال وما قيل له ، ولم يذكّر من أحسن إليه ممن أساء به ، وما نفعه مما ضرّه ، ثم كان لا يهتدي لطريق لوسلكه ما لا يحصى ، ولا يحفظ علماً ولودرسه عمره ، ولا يعتقد ديناً ، ولا ينتفع بتجربة ، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى ، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلل ، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع ؟ وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان ، فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ، ولا انقضت له حسرة ، ولا مات له حقد ، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكري الآفات ، ولا رجا غفلة من سلطان ، ولا فترة من حاسد ؛ أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان ، وهما مختلفان متضادان ، وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة ؟ وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباعدة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة ؟ .

بيان : دون الجميع أي فضلاً عن الجميع . ويقال : سلا عنه أي نسيه . وقد مضى منّا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين فتذكر .

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق ، الجليل قدره ، العظيم غناؤه ، أعني الحياء فلولا لم يقرضيف ، ولم يوف بالعدات ، ولم تقص الجوائج ، ولم يتحرر الجميل ،<sup>(١)</sup> ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء ، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء ، فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ، ولم يصل ذارحم ، ولم يؤد أمانة ، ولم يعف عن فاحشة ؛<sup>(٢)</sup> أفلا ترى كيف وقي للإنسان جميع الخلل التي فيها صلاحه وتمام أمره ؟ .

بيان : إقراء الضيف : ضيافتهم وإكرامهم . والتنكب : التجنب . ووقي على بناء المجهول من التوفية وهي إعطاء الشيء وافيّاً .

(١) تحرّى : طلب ما هو آخرى بالاستعمال في غاب الظن : أو طلب أخرى الأمرين أي أولاهما .

(٢) أي لم يكف ولم يمتنع عن فاحشة .

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره ، وما يخطر بقلبه ، ونتيجة فكره ، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهمة التي لاتخبر عن نفسها بشيء ، ولاتفهم عن مخبر شيئاً ، وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقيين ، وأخبار الباقيين للآتين ، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، ودرست العلوم ،<sup>(١)</sup> وضاعت الآداب ، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم ، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة ، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه ؛ وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطالح عليه الناس فيجرب بينهم ، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة باللسن مختلفة ؛ وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم ، إنما اصطالحوا عليها كما اصطالحوا على الكلام ، فيقال لمن ادعى ذلك : إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أوحيلة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه<sup>(٢)</sup> فإنه لو لم يكن له لسان مهيبو للكلام وذهن يهتدي به للأمر لم يكن ليتكلم أبداً ، ولو لم يكن له كف مهية وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً ، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة ، فأصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه ، فمن شكراً ثيب ومن كفر فإن الله غني عن العالمين .

بيان : كلامه ههنا مشعر بأن واضع اللغات البشر فتدبر .<sup>(٣)</sup>

ذكر يا مفضل<sup>(٤)</sup> فيما أعطي الإنسان علمه وما منع فإن الله أعطي علم جميع ما فيه

(١) أي ذهب أثرها وانجى .

(٢) وفي نسخة : في خلقه .

(٣) وأهم منه دلالة على كون الأوضاع تعينية لاتعينية ، وكذا إشارته بأن هذه و أمثالها

اصطلاحات واعتبارات تضطر إليها البشر . ط

(٤) وفي نسخة فكر يا مفضل .

صلاح دينه ودينه ، فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين ، وأداء الأمانة ، ومواساة أهل الخلّة ، وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كلّ أمة موافقة أو مخالفة ، وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاح دينه كالزراعة والغراس<sup>(١)</sup> ، واستخراج الأرضين ، واقتناء الأغنام والأنعام ، واستنباط المياه<sup>(٢)</sup> ، ومعرفة العقاقير<sup>(٣)</sup> التي يستشفى بها من ضروب الأقسام ، والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر ، وركوب السفن والغوص في البحر ، وضروب الحيل في صيد الوحش والطيور والحيتان ، والتصرف في الصناعات ، ووجوه المتاجر والمكاسب ، وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار ، فأُعطي علم ما يصلح به دينه ودينه ، ومنع ماسوى ذلك مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم ؛ كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وما في لجج البحار<sup>(٤)</sup> وأقطار العالم<sup>(٥)</sup> وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا مما حجب على الناس علمه ، وقد أدعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما بين من خطائهم<sup>(٦)</sup> فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادّعوا علمه ، فانظر كيف أُعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودينه ، وحجب عنه ماسوى ذلك ليعرف قدره ونقصه ، وكلا الأمرين فيهما صلاحه .

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته فإنّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنّب بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه ،

(١) الغراس جمع الغروس : ما ينمو من الشجر .

(٢) أى استخراجها .

(٣) جمع للعقار : ما يتدوى به من النبات ، الدواء مطلقا .

(٤) اللجج جمع اللجّة : معظم الماء .

(٥) أى جهاتها الأربع .

(٦) وفي نسخة : ما بين من خطائهم .

بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس وإن كان طويلاً العمر، ثم عرف ذلك وثق بالبقاء<sup>(١)</sup> وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل، على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

الأتري لو أن عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه، ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الأوقات على تصرف الحالات.<sup>(٢)</sup>

فإن قلت: أوليس قديقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات وتركه مخالفتها من غير أن يقدرها في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة، فأما من قد رآه على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فإِنما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلف التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل، ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك فإن النزوع من الترفُّه والتلذذ<sup>(٣)</sup> ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعتة بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب؛ كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل وقد نفذ المال فيبقى الدين قائماً عليه، فكان خيراً الأشياء للإنسان أن يستتر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت في كل ساعة يقار<sup>(٤)</sup> الفواحش وينتهك المحارم، قلنا: إن وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى

(١) كذا في النسخ والظاهر: ثم لو عرف ذلك وثق بالبقاء.

(٢) وفي نسخة: على تصرف الآيات.

(٣) أى الكف من التمتع والتلذذ.

(٤) أى يكتسب.



عليه الأمر فيه ، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي <sup>(١)</sup> ولا ينصرف عن المساوي فإنما ذلك من مرحه <sup>(٢)</sup> ومن قساوة قلبه لا من خطأ في التدبير ؛ كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ، ولئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة ، فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ، ثم إن ترقب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم ، وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ، ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين ، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها .

بيان : انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ . والتسلّف : الاقتراض ، كأنه يجري معاملة مع ربّه بأن يتصرّف في اللذات عاجلاً ، ويعدّ ربّه في عوضها التوبة ليؤدي إليه آجلاً . وفي بعض النسخ : يستسلف ، وهو طلب بيع الشيء سلفاً .

والمعانة : مقاساة العناء والمشقة . ويرهقه أي يغشاه ويلحقه . وانتهاك المحارم : المبالغة في خرقها وإتيانها . والارعواء : الكفّ عن الشيء ، وقيل : الندم على الشيء . والانصراف عنه و تركه . والمرح : شدة الفرح . وقال الفيروز آبادي : العقيلة من كل شيء : أكرمه ، وكريمة الإبل . وقال : العقال ككتاب : زكاة عام من الإبل .

فكرّيا مفضل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها فإنها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء ، ولو كانت كلّها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لا معنى له ، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها ، أو مضرةً يتحدّر منها <sup>(٣)</sup> وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد .

(١) أي لا يكف .

(٢) مرح الرجل : اشتد فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر ، وتبختر واختال .

(٣) وفي نسخة : يتحرز منها .

فَكَرَّ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَاهَا مَوْجُودَةً مَعْدَّةً فِي الْعَالَمِ مِنْ مَّآرِبِهِمْ ، فَالْتِرَابِ ، وَالْبِنَاءِ ، وَالْحَدِيدِ لِلصَّنَاعَاتِ ، وَالْخَشَبِ لِلسَّفَنِ وَغَيْرِهَا ، وَالْحِجَارَةِ لِلْأَرْحَاءِ<sup>(١)</sup> وَغَيْرِهَا ، وَالنَّحَاسِ لِلْأَوَانِي ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةَ لِلْمَعَامِلَةِ ، وَالْجَوْهَرِ لِلذَّخِيرَةِ ، وَالْحَبُوبِ لِلْغَذَاءِ ، وَالثَّمَارِ لِلتَّفَكُّهِ ، وَاللَّحْمَ لِلْمَأْكَلِ ، وَالطَّيْبَ لِلتَّلَذُّذِ ، وَالْأَدْوِيَةَ لِلتَّصْحِيحِ ، وَالِدَوَابَّ<sup>٢</sup> لِلْحَمُولَةِ ، وَالْحَطَبَ لِلتَّوْقِدِ ، وَالرَّمَادَ لِلْكَلَسِ ، وَالرَّمْلَ لِلْأَرْضِ ، وَكَمْ عَسَى أَنْ يَحْصِيَ الْمُحْصِي مِنْ هَذَا وَشَبِهِهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ دَاخِلًا دَخَلَ دَارًا فَنَظَرَ إِلَى خَزَائِنٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَرَأَى كُلَّ مَا فِيهَا مَجْمُوعًا مَعْدًّا الْأَسْبَابَ مَعْرُوفَةً لَكَانَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ بِالْإِهْمَالِ وَمِنْ غَيْرِ عَمَدٍ ؟ فَكَيْفَ يَسْتَجِيزُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي الْعَالَمِ وَمَا أُعِدَّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

بَيَانُ : التَّفَكُّهِ : التَّنَعُّمِ . الْكَلَسُ بِالْكَسْرِ : الصَّارُوجُ . قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِلْأَرْضِ أَيِ لِفَرَشِهَا .

اعْتَبَرِيَا مَفْضُلَ بِأَشْيَاءٍ خُلِقَتْ لِمَا أَرَبَ الْإِنْسَانَ وَمَا فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ فَإِنَّهُ خَلَقَ لَهُ الْحَبَّ<sup>١</sup> لَطْعَامِهِ ، وَكَلَّفَ طَحْنَهُ وَعَجْنَهُ وَخَبْزَهُ ، وَخَلَقَ لَهُ الْوَبَرَ<sup>(٢)</sup> لِكَسْوَتِهِ فَكَلَّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسِجَهُ ، وَخَلَقَ لَهُ الشَّجَرَ فَكَلَّفَ غَرْسَهَا وَسَقِيَّهَا وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا ، وَخُلِقَتْ لَهُ الْعَقَاقِيرُ لِأَدْوِيَتِهِ فَكَلَّفَ لِقْطَهَا وَخَلْطَهَا وَصَنْعَهَا ؛ وَكَذَلِكَ تَجِدُ سَائِرَ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَفَى الْخَلْقَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا حِيلَةٌ وَتَرَكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ مَوْضِعَ عَمَلٍ وَحَرَكَةٍ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَفَى هَذَا كُلَّهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ مَوْضِعُ شُغْلٍ وَعَمَلٍ لِمَا حَلَّتْهُ الْأَرْضُ أَشْرًا وَبَطْرًا ، وَلَبَلَغَ بِهِ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَعَاطَى أُمُورًا فِيهَا تَلْفُ نَفْسِهِ ، وَلَوْ كَفَى النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِمَاتَ هُنْتُؤُوا بِالْعَيْشِ وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً ؛ أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ امْرَأَةً نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِينًا بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَخِدْمَةٍ لِتَبَرُّمٍ<sup>(٣)</sup> بِالْفَرَاغِ وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ ؟ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ طَوْلُ

(١) جَمْعُ الرَّحَى وَهِيَ الطَّاحُونُ .

(٢) الْوَبَرُ لِلْأَبْلِ وَالْأَرَابِ وَنَحْوَهَا كَالصَّوْفِ لِلْفَنَمِ .

(٣) أَيِ لِنَضْجَتِهِ .

عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء؛ وكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفّه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله .

و اعلم يا مفضل أن رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء ، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما ، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز؛ وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش ، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز؛ لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه ، فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه ، وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفّه عما يخرج به إليه الفراغ من الأشر والعبث ؛ ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدّب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشغل عن اللعب والعبث اللذين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم ، وهكذا الإنسان لو خال من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه ، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفيه والكفاية وما يخرج به ذلك إليه .

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطيور وغير ذلك؟<sup>(١)</sup> فإنك ترى السرب من الأطباء والقطا<sup>(٢)</sup> تتشابه حتى لا يفرّق بين واحد منها وبين الأخرى ، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد إنسان منهم يجتمعان في صفة واحدة ، والعلة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحالهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته ، ألا ترى أن التشابه في الطيور والوحش لا يضربهما شيئاً ، وليس كذلك الإنسان فإنّه ربّما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما

(١) الرداد بالتشابه التشابه العرفي كما يدل عليه بيانه الاتي ، وأما التشابه الحقيقي فليس منه أنزل في

الإنسان ولا في غيره وقد قام عليه البرهان وساعده التجارب العلمية . ط

(٢) السرب - بكسر السين وسكون الراء - : القطيع من الأطباء والطيور وغيرها . والقطا جمع

للقطة : طائر في حجم الحمام .

حتى يعطى أحدهما بالآخر و يؤخذ أحدهما بذنب الآخر ، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصورة ، فمن لطف لعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت رحمته كل شيء ؛ لورأت تمثال الإنسان مصوراً على حائط فقال لك قائل : إن هذا ظهر ههنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك ؟ بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق ؟ لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبدأ لا تنمي ، بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك ؟ فإن من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير ،<sup>(١)</sup> وصارت تنمي حتى تصل إلى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ، ولو كانت تنمي نمو أداماً لعظمت أبدانها واشتبهت بمقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف ؛ لم صارت أجسام الأنس خاصة تثقل عن الحركة والمشى ويجفون عن الصناعات اللطيفة إلا لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك ، لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بهم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس ؛ أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية وبسط يديه بالصدقة ؛ ولو كان لا يألم من الضرب بهم كان السلطان يعاقب الدعار<sup>(٢)</sup> ويذل العصاة المردة ؛ وبهم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات ؛ وبهم كان العبيد يذنبون لأربابهم و يذعنون لطاعتهم ؛ أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه اللذين جحدوا التدبير ، والمناويّة المذنين أنكروا الألم والوجع ؛ لو لم يولد من الحيوان إلا ذكر<sup>(٣)</sup> فقط أو أنث فقط ألم يكن النسل منقطعاً ، وبادمع ذلك أجناس الحيوان ؛ فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي أنثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع . لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلّفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك ؛ فإنّه لما جعل الله تبارك

(١) وفي نسخة : في الكبير والصغير .

(٢) وفي نسخة : الدغار .

(٣) وفي نسخة : ذكوراً .

وتعالى الرجل قيماً ورفيقاً على المرأة وجعل المرأة عرساً وخولاً للرجل أعطى الرجل اللحية لما له من العزة والجلالة والهيبة ، ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة ؛ أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء و تتخلل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل ؟ .

بيان : جنى الذنب عليه يعجنيه جنابة : جرّه إليه . والجدة بالتخفيف : الغناء . قوله ﷺ : في تشابه الأشياء أي قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر كثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع ، فضلاً عن تشابه الصورة فإنه أعظم فساداً ، والمراد أن الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومركوبهما وغير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة ؟ . قوله ﷺ : واشتبهت مقاديرها أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقداره فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يبيته لنفسه من دار ودابة وثياب وزوجة . قوله ﷺ : ويجفو أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللطيفة ، أي التي فيها دقة ولطافة ؛ قال الجزري : وفي الحديث : اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه . أي تعاهدوه وتبعدوا عن تلاوته . انتهى .

والحاصل أن الله تعالى جعل الإنسان بحيث تثقل عن الحركة والمشى قبل سائر الحيوانات وتكثُر عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يطغى أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سبباً لمعايش أقوام يزاولونها . والدعار في بعض النسخ بالمهمل من الدعر محرّكة : الفساد والفسق والخبث ، وفي بعضها بالمعجمة من الدغرة وهي أخذ الشيء اختلاساً . والعرس بالكسر : امرأة الرجل . والخول محرّكة ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء . والمفاكهة : الممازحة والمضاحكة . قوله عليه السلام : وتخلل مواضع الخطأ يحتمل أن تكون الجملة حالية أي تأتي بالصواب مع أنها تدخل مواضع هي مظنة الخطأ ، من قولهم : تخللت القوم أي دخلت خلالهم ويحتمل أن يكون المراد بالتخلل التخلف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعاني اللغوية يحتاج إلى تكلف .

قال المفصل : ثم حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال : بگر إلى غدأ

إن شاء الله ؛ فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته ، مهتجاً بما أوتيته ، حامداً لله على ما أنعم به عليّ ، شاكراً لأنعمه عليّ ما منحني بما عرفني به مولاي وتفضل به عليّ ، فبت في ليلتي مسروراً بما منحني ، محبوراً بما علمني .

تمّ المجلس الأوّل ويتلوّه المجلس الثاني من كتاب الأدلة على الخلق والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آباءه .

قال المفضل : فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستوذنت لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست ؛ فقال : الحمد لله مدير الأدوار<sup>(١)</sup> و معيد الأكواد طبقاً عن طبق و عالماً بعد عالم ليجزي الذين أسأروا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، عدلاً منه تقدست أسماؤه وجلّت آلاؤه ، لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جلّ قدسه : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ؛ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولذلك قال سيّدنا محمد صلوات الله عليه وآله إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم . ثمّ أطرق هنيئاً ثمّ قال : يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّدون ، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون ، بصراء عمي لا يبصرون ، نطقاء بكم لا يعقلون ، سمعاء صم لا يسمعون ، رضوا بالدون وحسبوا أنّهم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأكياس ، ورتعوا في مرعى الأرجاس النجاس ، كأنّهم من مفاجأة الموت آمنون وعن المعجرات مزحزون ، يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم وأشدّ بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلّا من رحم الله .

قال المفضل : فبكيت لما سمعت منه ، فقال : لا تبتك تخلّصت إذ قبلت ، ونجوت إذ عرفت ، ثمّ قال : أبتدىء لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره . فكّر في أبنية أبدان الحيوان وتبيّنها على ماهي عليه ، فلاهي صلاب كاللحجارة ولو كانت كذلك لانتثني ولا تتصرّف في الأعمال ، ولاهي على غاية اللين والرخاوة فكانت

(١) وفي نسخة : الحمد لله مدير الادوار .

لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها ، فجعلت من لحم رحو تنشي ، تتداخله عظام صلاب ، يمسكه عصب و عروق تشدّه ويضمّ بعضه إلى بعض ، و غلفت <sup>(١)</sup> فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّهُ ، ومن أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان <sup>(٢)</sup> و تلف بالخرق و تشدّ بالخيوط و يطلى فوق ذلك بالصمغ <sup>(٣)</sup> فيكون العيدان بمنزلة العظام ، و الخرق بمنزلة اللحم ، و الخيوط بمنزلة العصب و العروق ، و الطلا بمنزلة الجلد ، فإن جازأن يكون الحيوان المتحرّك كحدث بالاهمال من غير صانع جازأن يكون ذلك في هذه التماثيل المنيّة ، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ أن لا يجوز في الحيوان .

وفكر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنّها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم و العظم و العصب أعطيت أيضاً السمع و البصر ليبلغ الإنسان حاجته ، فإنّها لو كانت عمياً صمّاً لما انتفع بها الإنسان ، و لا تصرّفت في شيء من مآربه ، ثمّ منعت الذهن و العقل لتدلّ للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكدّ الشديد و حملها الحمل الثقيل .

فإن قال قائل : إنّه قد يكون للإنسان عيى من الإنس يذلّون و يذعنون بالكدّ الشديد و هم مع ذلك غير عديمي العقل و الذهن ، فيقال في جواب ذلك : إنّ هذا الصنف من الناس قليل ، فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تدعّن به الدوابّ من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلك ، و لا يغيرون بما يحتاج إليه منه ، <sup>(٤)</sup> ثمّ لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال ، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد و البغل الواحد إلى عدّة أناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتّى لا يكون فيهم عنه فضل شيء من الصناعات ، مع ما يلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم ، و الضيق و الكدّ في معاشهم .

أيضاح : مدير الأ دوار لعلّ فيه مضافاً محذوفاً أي ذوي الأ دوار ، أو الإ سناد مجازي

(١) وفي نسخة : وعليت فوق ذلك .

(٢) جمع الود وهي العشب .

(٣) أي يلطخ فوق ذلك بالصمغ .

(٤) وفي نسخة : فإنها لو كانت عمياً صمّاً .

(٥) وفي نسخة : و لا يغيرون بما يحتاج إليه منه .

وفي بعض النسخ بالباء الموحدة وهو أظهر . والأكوار جمع كور بالفتح ، وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم ، ويقال : كل دور كور . والمراد إما استيناف قرن بعد قرن وزمان بعد زمان ، أو إعادة أهل الأكوار والأدورا جميعاً في القيامة ، والأول أظهر . وقال الجزري : قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرون فيأتي طبق آخر . قوله عليه السلام : في نظائر أي قالها في ضمن نظائرها أو مع نظائرها . قوله عليه السلام : إنما هي أي المثوبات والعقوبات أعمالكم أي جزاؤها والعمة التحير والتردد . والحيد : الميل . والمدرجة : المذهب والمسلك . وزحزحه : أبده . والائثناء : الانعطاف والميل . قوله عليه السلام : ولا يغرون في بعض النسخ بالعين المعجمة و الراء المهملة على بناء المفعول من قولهم : أغريت الكلب بالصيد ؛ أي لا يؤثر فيهم الإغراء ، والتحريض على جميع الأعمال التي يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدواب ، وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزي من باب تعب أي صبر على ما نابه ، والأول أظهر . والفادح من قولهم : فدحه الدين أقله . ثم أعلم أنه ينبغي حمل السؤال على أنه كان يمكن أن يكتفي بخلق الحيوانات لأن بعضهم يتقادون ويطيعون بعضاً فالجواب منطبق من غير تكلف .

فكرياً مفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها ، فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج مثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة <sup>(١)</sup> وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ، ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات ، وآكلات اللحم لما قدر أن يكون معاشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة <sup>(٢)</sup> ذوات برائن ومخالب تصلح لأخذ الصيد ، ولا تصلح للصناعات ، وآكلات النبات لما قدر أن يكونوا لآذات صنعة ولا ذوات صيد خلقت لبعضها أطراف <sup>(٣)</sup> تقيها خشونة الأرض

(١) وفي نسخة : والخياطة .

(٢) وفي نسخة : أكف لطاف مذبحة .

(٣) جمع الظلف - بكسر الظاء وسكون اللام - و هو لها اجتر من الحيوانات كالبقرة والظبي بمنزلة الحافر للفرس .



إذا حاول طلب الرعي ، ولبعضها حوافر ملزمة ذوات قعر كأخص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة ؛ تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد ،<sup>(١)</sup> وبرائن شداد ، وأشداق وأفواه واسعة ، فإنه لما قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعطيت سلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجدد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيأة لفعلها ، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا يحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم ، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما يحتاج إليه أعني السلاح الذي به تصيد وتعيش ، أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصالحه .

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنسان ، فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالأكل والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ، وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقيج<sup>(٢)</sup> تدرج وتلقط حين ينقأ عنها البيض . فأما ما كان منها ضعيفاً لانهوض فيه كممثل فراخ الحمام واليمام والحمرة فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمنح الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكل أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير .

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي ، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه<sup>(٣)</sup> ويعتمد على بعض ؛ فذو القامتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة ، وذو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين ، وذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر

(١) وفي نسخة : حيث جعلت ذوات أسنان .

(٢) بالقاف والباء المفتوحين : طائر يشبه الحجل .

(٣) كذا في النسخ والظاهر أن الصحيح : ينقل بعض قوائمه .

لما ثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره ، وينقل الآخرين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى .

أما ترى الحمار كيف يذلُّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً ، والبعير لا يطيقه عدوُّ رجال لو استعصى ، كيف كان ينقاد للصبي ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به ؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه ، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها ، وكذلك جميع الأصناف مسخرة للإنسان فبم كانت كذلك ؟ إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتروى في الأمور<sup>(١)</sup> كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه ، حتى يمتنع الجمل على قائده ، والثور على صاحبه ، وتفرق الغنم عن راعيها ، وأشباه هذا من الأمور ، وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتواذرت على الناس كانت خليقة أن تبتغحهم<sup>(٢)</sup> فمن كان يقوم للأسد والذئب والنمورة والدببة لتعاونت وتظاهرت على الناس ؟ أفلا ترى كيف حجز ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها وناكيتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنشر لطلب قوتها إلا بالليل ؟ فهي مع صولتها كالخائف للإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيعت عليهم<sup>(٣)</sup> ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه ، وذب الدغار عنه<sup>(٤)</sup> ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ، ويألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا

(١) أى نظر فى الامور وتفكر فيها .

(٢) أى تستأصلهم وتهلكهم .

(٣) وفى نسخة : وضيعت عليهم .

(٤) وفى نسخة : وذب الدغار عنه .

الألف إلا ليكون حارساً للإنسان ، له عين بآنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفيها .

بيان : وأوكدها أي أوكداً الأشياء وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الألف أيضاً . قوله ﷺ : مدمجة أي انضم بعضها إلى بعض . قال الجوهري : دمج الشيء دمجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه ، وأدمجت الشيء إذا لقيته في ثوب ، وفي بعض النسخ : مدمجة بالباء والحاء المهملة ، ولعل المراد معوجة من قولهم : دبج تدبيحاً أي بسط ظهره وطأ رأسه ، وهو تصحيف . والبرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان . والمخلب : ظفر البرتن . والمللم بفتح اللامين : المجتمع المدور المصموم . والأخمص من باطن القدم ما لا يصيب الأرض . والشدق : جانب الفم . والطعم بالضم : الطعام . والآمات جمع الأم ، وقيل : إنمات تستعمل في البهائم ، وآمات في الناس فيقال : أمهات . ويقال : قاب الطير يبضته فلقها فانقابت . واليمام حمام الوحش . والحمر بضم الحاء وفتح الميم طائر وقد يشدد الميم . ويقال : معج الرجل الطعام من فيه : إذا رمى به . والمودع من الخيل بفتح الدال : المستريح . ونير القدان بالكسر : الخشبة المعترضة في عنق الثورين . قوله ﷺ : يركب السيوف أي يستقبلها بجرأة كأنه يركبها أو بمعنى يركب مواجهتها . والمواتاة : الموافقة . والدبة كعنبه جمع الدب . ويقال : أحجم القوم عنه أي نكصوا وتأخروا وتهيبوا أخذه . وساوره : واثبه . ويقال : حاميت عنه أي منعت منه . والعين بالفتح : الغلظ في الجسم والخشونة . والخفر : المنع .

يامفضّل تأمل وجه الدابة كيف هو ، فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطاً أو تتردى في حفرة ، وترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الخطم ، ولوشق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض ألا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمه له على سائر الآكلات ؛ فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقاً من أسفله

لتقبض به على العلف ثم تقضمه ، وأُعينت بالبحفلة تتناول بها ما قرب وما بعد . اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحيأ جميعاً يواريهما ويستترهما ، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضربجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبذبة تذبذبها عن ذلك الموضع ؛ ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمنة ويسرة فإنّه لما كان قيامها على الأربع بأسرها و شغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة ؛ وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل<sup>(١)</sup> فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها ، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ، ثم جعل ظهرها مسطّحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها ، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ، ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها ، ألا ترى أنّه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة .

تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فإنّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدادهما<sup>(٢)</sup> إلى جوفه ، ولولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنّه ليست له رقبة يمدّها كسائر الأنعام ، فلمّا عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله<sup>(٣)</sup> فيتناول به حاجته ، فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه إلا الرؤوف بخلقه ؟ وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة ؟ .

فإن قال قائل : فما باله لم يخلق ذعنق كسائر الأنعام ؟ قيل له : إن رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل ، ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدّها وأوهنها فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا ، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته .

انظر الآن كيف جعل حياً الأنثى من الغيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب

(١) أي تسقط في الوحل .

(٢) الازداد : البلع .

(٣) أي ليرسله ويرغبه .

ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها ، فاعتبر كيف جعل حياً الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلقة ليتيسر للأم الذي فيه قوام النسل و دوامه .

فكّر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان ؛ فأسها رأس فرس ، وعنقها عنق جمل ، وأظلافها أظلاف بقرة ، وجلدها جلد نمر ؛ وزعم ناس من الجهّال بالله عز وجل أن تتاجها من فحول شتى ؛ قالوا : وسبب ذلك أن أصنافاً من حيوان البر إذاوردت الماء تنزّو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى ، وهذا جهل من قائله وقلة معرفته بالبارئ جلّ قدسه ، وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف ؛ فلا الفرس يلقح الجمل ، ولا الجمل يلقح البقر ، وإنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمامة فيخرج بينهما البغل ، ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السيمع ، على أنه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضون كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس ، وعضو من الجمل ، وأظلاف من البقرة ، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل ، فإنك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار ، وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار ، فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون ، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء ، وليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلّها ، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّ شيء ويفرق ما شاء منها في أيّ شيء ، ويزيد في الخلقة ما شاء ، وينقص منها ما شاء ، دلالة على قدرته على الأشياء ، وأنه لا يعجزه شيء أرادته جلّ وتعالى ، فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طويلاً في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بغيرها أطراف تلك الأشجار فتتقوّت من ثمارها .

تأمل خلق القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر ، وكذلك أحشائه وشبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان ، وخص من ذلك بالذهن

والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه ، و يحكي كثيراً مما يرى الإنسان يفعله حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمايله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب ، وأنه لولا فضيلة فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان ك بعض البهائم ، على أن في جسم القرد فضولاً آخرى يفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدّل والشعر المجمل للجسم كله ، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه ، والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالصحة هو النقص في العقل والذهن والنطق .

بيان : شخص البصر : ارتفع ، وشخص الرجل بصره : إذا فتح عينيه . و الخطم بالفتح من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدّم أنفه وفمه . وقضم كسمع : أكل بأطراف أسنانه . والجحفلة بمنزلة الشفة للبعال والحمير والخيول ، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهمة . والطبق محرّكه : غطاء كل شيء . والحياء : الفرج . والمراد بمراقبي البطن ما ارتفع منه من وسطه أو قرب منه . والوضر : الدرن . والمذبذبة بكسر الميم : ما يذبّ به الذباب . وبطحه : ألقاه على وجهه . وكفحته كفحاً وكفاحاً : إذا استقبلته . والمشفّر من البعير كالجحفلة من الفرس . وقال الجوهري : الزرّ رافة والزّرّ رافة بفتح الزاي وضمّها مخففة الفاء : دابة يقال لها بالفارسية : اشتركاو بلنك . وقال الفيروز آبادي : السمع بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب من الضيع لا يموت حتف أنفه كالحيّة ، وعدوه أسرع من الطير ، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً . وقال : شحيح البغل والحمار : صوته . والغياطل : جمع الغيطل وهو الشجر الكثير الملتف . قوله **لَتَكُنَّ** : أن يكون أي خلق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان . والسنخ بالكسر : الأصل . قوله : بالصحة هو النقص في العقل أي الفصل الصحيح الذي يصلح واقعاً أن يكون فاصلاً . وفي أكثر النسخ : « وهو » وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف الفحة أي قلّة الحياء .

انظر يا مفضل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقىها من البرد وكثرة الآفات ، وألبست قوائمها الأظلاف و

الحوافر والأخفاف ليقبها من الحفا ، إذ كانت لأيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لايحتاجون إلى تجديددها والاستبدال بها ، فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج و يغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ، ويستبدل بها حالاً بعد حال ، وله في ذلك صلاح من جهات ؛ من ذلك : أنه يشتغل بصناعة اللباس عن العبث وما يخرج به إليه الكفاية ؛ ومنها : أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ؛ ومنها : أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضرباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها . وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضرباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه ، وفي ذلك معاش لمن يعمل من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ، ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم ، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر ، والأخفاف مقام الحذاء .

بيان : قال الجوهري : قال الكسائي : رجل حاف بين الحفوة والحفاء بالمد ، و هو الذي يمشي بلاخف ولا نعل ، وقال : وأما الذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنه حف بين الحفا مقصوداً ، وأخفاء غيره انتهى . قوله عليه السلام : و روعة من قولهم : راغني الشيء : أعجبني .

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم ، فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم ، وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء ؟ وليست قليلة فتخفى لقلتها ؛ بل لو قال قائل : إنها أكثر من الناس لصدق ، فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الطبا والمها والحمير والوعول والأيا مل وغير ذلك من الوحوش ، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئب والنمور وغيرها ، وضروب الهوام والحشرات و دواب الأرض ، وكذلك أسراب الطير من الغربان<sup>(١)</sup> و القطا<sup>(٢)</sup> والإوز<sup>(٣)</sup> والكر اكي<sup>(٤)</sup> والحمام وسباع الطير جميعاً وكلها لا يرى منها شيء ، إذا

(١) جمع الغرباب .

(٢) جمع القطة : طائر في حجم الحمام .

(٣) جمع الإوزة : طائر مائي يقال له : الوزمة أيضاً .

(٤) جمع الكراكي : طائر كبير أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين ، أبترا الذنب ، قليل اللحم ، بأوى إلى الماء أحياناً .

ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفتريسه سبع فأذا أحسّوا بالموت كمنوا<sup>(١)</sup> في مواضع خفيّة فيموتون فيها ، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتّى تفسد رائحة الهواء ، ويحدث الأمراض والوباء ، فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرفة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد .

توضيح : السرب - بالكسر - والسربة : القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها والجمع أسراب . والمهاة : البقرة الوحشيّة والجمع مها . والوعل - بالفتح وككتف - : تيس الجبل والجمع : وعال وووعول . والآيل بضمّ الهمزة وكسرهما وفتح الياء المشدّدة وكسيّد : الذكر من الأوعال ، ويقال : هو الذي يسمّى بالفارسيّة : «گوزن» والجمع أيائل . والقانص : الصائد . وخلص إليه : وصل . والمراد بالتمثيل ما ذكره الله تعالى في قصّة قاييل . والمعرفة : الأذى .

فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلة لطفاً من الله عزّ وجلّ لهم ، لئلاّ يخلو من نعمه جلّ وعزّ أحد من خلقه لا يعقل وروية فإن الآيل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله ، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً ، فيعجّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه ولو شرب مات من ساعته ، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب خوفاً من المضرة في الشرب ، وذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه ؛ والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتّى يحسبه الطير ميتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها ؛ فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه ؛ فإنّه لما كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء<sup>(٢)</sup> والفتنة والاحتيال لمعاشه ، والدّلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و

(١) أي تواروا واختفوا .

(٢) الدهاء : جودة الرأي والحنق ، المكر والاحتيال .



يشرحه<sup>(١)</sup> حتّى يطفوا على الماء ، يكمن تحته و يشور الماء الذي عليه حتّى لا يتبين شخصه ، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها ، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة ؟ .

قال المفضل : فقلت : خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب ، فقال عليه السلام : إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه ، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد ؛ فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب ولا يخرج إلا في القيظ مرةً إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة ؛ قلت : فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده ؟ قال : ليدفع عن الناس مضرته .

بيان : قوله : لا بعقل وروية ، لعل المراد أن هذه الأمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لا بعقل وروية . وفي أكثر النسخ : لا يعقل ومروته ؛ وهو تصحيف و المراد معلوم . و الجهد : الطاقة و المشقة أي أصابته مشقة عظيمة من العطش . و العجيج : الصياح و رفع الصوت . و أعوزه الشيء أي احتاج إليه . و التماوت : إظهار الموت حيلة . و المساورة : هي الوثوب على وجه الصيد . وقال الفيروز آبادي : الدلفين بالضم دابة بحرية تنجي الغريق<sup>(٢)</sup> وقوله عليه السلام : يشور الماء أي يهيج و يحركه . و التنين : حية عظيمة معروفة . وثقفه أي وجده . و القيظ : صميم الصيف من طلوع الشربا إلى طلوع سهيل . و الصحو : ذهاب الغيم .

قال المفضل : فقلت : قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة<sup>(٣)</sup> والنمل والطير ؛ فقال عليه السلام :

يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها ؟

(١) أي يقطعه .

(٢) وقيل : هو خنزير البحر ، وهو دابة تنجي الغريق ، وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح ، لأنه يغذف به البحر إلى النيل ، وصفته كصفة الزرق المنفوخ ، وله رأس صغير جداً ، وليس في دواب البحر ماله رمة سواه ، فلذلك يسمع منه النفخ والنفس ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته ، لأنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه ، ولا يؤذي أحداً ، و من طبعه الانس بالانسان وخاصة بالصبيان .

(٣) الذرة : النحلة الصغيرة الحمراء .

فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة إلا من التدبير القائم في صغير الخلق و  
كبيره ؟ .

انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده ، فإنك ترى الجماعة منها  
إذا نقلت الحب إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره ، بل للنمل في  
ذلك من الجِدِّ والتشمير ما ليس للناس مثله ؛ أما تريهم يتعاونون على النقل كما يتعاون  
الناس على العمل ؟ ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم <sup>(١)</sup>  
فإن أصابه ندى أخرجه فنشروه حتى يجف ؛ ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشر من  
الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها <sup>(٢)</sup> فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق  
عليها لمصلحة لطفاً من الله عز وجل .

انظر إلى هذا الذي يقال له : اللبث ، وتسميه العامة أسد الذباب ، وما أُعطي  
من الحيلة والرفق في معاشه ، فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه  
ملياً حتى كأنه موات لا حراك به ، فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب ديباً  
دقيقاً <sup>(٣)</sup> حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه  
بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم  
يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه ؛ فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فينشده  
شركاً ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب <sup>(٤)</sup> أجال عليه يلدغه  
ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فكذلك يحكي صيد الكلاب والفهود ، وهكذا يحكي  
صيد الأشرار والحبائل .

(١) ويقطع الكسفرة ويقسمها أرباعاً ، لما لهم من أن كل نصف منها ينبت .

(٢) قال الديرى : يحفر قريته بقوائمه وهى ست ، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج ، لئلا يجرى  
إليها ماء المطر ، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك ، وإنما يفعل ذلك خوفاً على ما يدخره  
من البلل ، ومن عجايبه اتخاذ القرية تحت الأرض ، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة ،  
يلؤها حبوا وذخائر للشاة .

(٣) وفى نسخة : دب ديباً دقيقاً .

(٤) أى وقع فيه .

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه إلا إنسان إلا بالحيلة واستعمال آلات فيها، فلا تزدرب بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمئقال من حديد .

بيان : الاحتشاد : الاجتماع . والزينة بالضم : الحفرة . والنشر بالفتح وبالتحريك : المكان المرتفع . وقال الجوهري : الليث : الأسد و ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب : انتهى . والموات بالفتح : ما لا روح فيه . ويقال : ما به حراك كسحاب أي حركة . والشرك بالتحريك : حباله الصائد . ويقال : أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل . قوله ﷺ : فكذلك أي كعمل الليث . وقوله : هكذا أي كالعنكبوت . والازدراء : الاحتقار . قوله ﷺ : فلا يضع منه أي لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير ، قال الفيروز آبادي : وضع عنه : حط من قدره .

تأمل بامفضل جسم الطائر وخلقه فإنه حين قدّر أن يكون طائراً في الجوّ خفف جسمه وأدمج خلقه ، فاقصر به من القوائم الأربع على اثنتين ، ومن الأصابع الخمس على أربع ، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ، ثم خلق ذاجو حو محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه ، كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه ، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران ، وكسى كله الريش ليداخله الهواء فيقله ، ولما قدّر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلامضغ نقص من خلقه الأسنان ، وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسجج من لقط الحب ، ولا يتقصّف من نهش اللحم ، ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب<sup>(١)</sup> صحيحاً واللحم غريصاً أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ ؛ واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً ، ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر ، ثم جعل مما يبيض أيضاً ولا يلد ولادة لكيلا يتقل عن الطيران فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لا تقلته وعاقته عن النهوض

(١) أي يتلعه و يسرع .

والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعاً ، وبعضها أسبوعين ، وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلة للغذاء ثم يربّيه ويغذّيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعام ويستخرجه بعد أن يستقرّ في حوصلة ويغذّوه فراخه ؟ ولأى معنى يحتمل هذه الماشقة وليس بذي روية ولا تفكر ؟ ولا بأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد<sup>(١)</sup> وبقاء الذكر ؟ فهذا هو فعل<sup>(٢)</sup> يشهد بأنّه معطوف على فراخه ، لعلّه لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره .

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر<sup>(٣)</sup> موطن بل تنبعت وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعام حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل ؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا أنّها مجبولة على ذلك ؟ .

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من الملحّ الأصفر الخائر ، والماء الأبيض الرقيق ، فبعضه لينتشر منه الفرخ ، وبعضه ليفذي به<sup>(٤)</sup> إلى أن تنقاب عنه البيضة ، وما في ذلك من التدبير فإنّه لو كان نشؤ الفرخ في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساع لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها ، كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه .

فكر في حوصلة الطائر وما قدّره ، فإنّ مسلك الطعام إلى القانصة<sup>(٥)</sup> ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلاً قليلاً ، فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه ، ومتى كان يستوفي طعمه ؟ فإنّما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر ،

(١) الرفد : النصيب ، المعاونة .

(٢) وفي نسخة : فهذا من فعله يشهد بأنه معطوف على فراخه .

(٣) الوكر - بفتح الواو وسكون الكاف - : عش الطائر .

(٤) وفي نسخة : ليفتدى به .

(٥) القانصة للطير : كالمعدة للإنسان .

فجعلت الحوصلة كالمخلالة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل ، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أخرى ، فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه .

توضيح : أقله أي حملة ورفعه . وجسا كدعا : صلب ويدس . ويقال : سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر . و التقصف : التكرس . والغريض الطري ، أي غير مطبوخ . والعجم بالتحريك : النوى . وحضن الطائر يبيضته يحضنه : إذاضمّه إلى نفسه تحت جناحه . وزق الطائر فرخه يزقه أي أطعمه بفيه . وتقوى أي تصيح . والملح بضم الميم والحاء المهملة : صفرة البيض ، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة . وقال الأصمعي : اخترت الزبد : تركته خائراً ، و ذلك إذا لم تذبه . وتنقاب أي تنفلق .

قال المفضل : فقلت يا مولاي إن قوماً من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج والإهمال . فقال :

يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدرّاج والتدارج<sup>(١)</sup> على استواء ومقابلة كنحو ما يخطّ بالآقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ؟ ولو كان بالاإهمال لعدم الاستواء ولكن مختلفاً .

تأمل ريش الطير كيف هو ؟ فإنك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق قد أُلّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة ، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته يفتح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر إذا طار ، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته ، وهو القصبه التي هوفي وسط الريشة ، وهو مع ذلك أجوف لينخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران .

(١) قال الدميري : التدرج كعبرج : طائر كالدرّاج يغرد في البساتين بأصوات طيبة ، يسمن عند صفاء الهواء ، وهبوب الشمال ، و يهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ دارة في التراب اللين ، ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للافات . وقال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس .

بيان : المروج بالتحريك : الفساد والاضطراب والاختلاط . وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة والأول أظهر والوشي : نقس الثوب ويكون من كل لون . والسلوك : جمع السلك وهو جمع السلكة - بالكسر - : الخيط يخاط بها .

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين ؟ وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه ؟ فإنه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فترة . بساقين طويلين كأنه ربيثة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئاً مما يتقوّت به خطأ خطوات رقيقاً<sup>(١)</sup> حتى يتناوله ، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور و يذعر منه فيتفرّق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطالبه . تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، وربما أعين مع طول العنق<sup>(٢)</sup> بطول المناكير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكاناً أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً من الخلقة إلا وجدتته على غاية الصواب والحكمة ؟ .

توضيح : ماء ضحضاح أي قريب القعر . والربيثة بالهمز : العبن والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف . والمرقب : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب . والذعر : الخوف .

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ؟ ولا هي تجده مجموعاً معداً بل تناله بالحركة والطلب ، وكذلك الخلق كلّ فسبحان من قدر الرزق كيف قوّته ؟<sup>(٣)</sup> فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله هبذولاً وينال بالهويناء إذ كان لاصلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنفlec حتى تبشم فتهلك ، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش .

(١) وفي نسخة : خطوات رقيقات .

(٢) وفي نسخة : أعين على طول العنق .

(٣) وفي نسخة : كيف قدره .

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثل البوم والهام<sup>(١)</sup> والخفّاش؟ قلت: لا يا مولاي، قال: إن معاشها من ضرّوب تنتشر في هذا الجوّ من البعوض والفراس وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضرّوب ماثونة في الجوّ لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كلّه إلا من القرب؟

فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري: قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أن هذه عياناً تنهافت على السراج<sup>(٢)</sup> من قرب فيدلّ ذلك على أنها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها.

فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضرّوب المنتشرة في الجوّ؛ واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضرّوب المنتشرة التي عسى أن يظنّ ظان أنها فضل لامعنى له؛ خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطيور وذوات الأربع أقرب، وذلك أنّه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر<sup>(٣)</sup> وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع، وكلّ هذا خلاف صفة الطير، ثمّ هو أيضاً ممّا يخرج بالليل ويتقوّت ممّا يسري في الجوّ من الفرائس وما أشبهه؛ وقد قال قائلون: إنّه لا طعم للخفّاش، وإنّ غذاءه من النسيم وحده، وذلك يفسد ويبطل من جهتين: إحداهما خروج ما يخرج منه من الثقل والبول فإنّ هذا لا يكون من غير طعم، والأخرى أنّه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقة شيء لامعنى له؛ وأمّا المآرب فيه فمعروفة

(١) جمع الهامة: نوع من البوم الصغير، تألف القبور والاماكن الخربة، وتنظر من كل مكان أينما درت أدارت رأسها. وتسمى أيضاً الصدى.

(٢) أى تساقط عليه وتنابع.

(٣) أضاف الدميري له خصيصتين، وقال: يحبض ويظهر، ويضحك كما يضحك الإنسان.

حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال؛<sup>(١)</sup> ومن أعظم الإرب فيه خلقة العجيبة الدالة على قدرة الخالق جلّ شأنه ، وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة . فأمّا الطائر الصغير الذي يقال له : « ابن تمرة » فقد عشنش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فآغرةً فاها لتبلعه فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذا وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحية ، فلم تزل الحية تلتوي وتتقلّب حتى ماتت . أفرأيت لولم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة ؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلاّ بحادث يحدث به أو خبر يسمع به .

انظر إلى النحل واحتشاده في صناعة العسل ، وتهيئة البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة<sup>(٢)</sup> فإنك إذا تأملت العمل رأيت عجيبة لطيفاً ، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس ، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غيباً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك ، ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس .

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنك إذا تأملت خلقه رأيت كأضعف الأشياء ، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه . ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحتمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك ؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه ؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشي السهل و الجبل والبدو والحضر ، حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي

(١) قد ذكر الدميري لأجزائه خواصاً كثيرة منها أن طبع رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ويغم فيه مراراً حتى يتهرئ ويصفى ذلك الدهن عنه ، ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتماش ، والتورم في الجسد فانه ينفعه ذلك ويبرمه ، ومنها أن زبله إذا طلى به على القوابي قلها . وغير ذلك من الفوائد .

(٢) وفي نسخة : وما نرى في اجتماعه من دقائق الفطنة .



متى كان يجتمع منه هذه الكثرة ، وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤودها شيء ويكثر عليها .

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدّر أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء ، وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة ، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة ، وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه ، فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجه ، وإلا فكيف يعلم به وبموضعه ؟ واعلم أن من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعب الماء به فيه<sup>(١)</sup> ويرسله من صماخيه<sup>(٢)</sup> فتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النسيم .

فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة ، والعلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرّ بها خطفته فلمّا كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة .

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ، و دواب الماء والأصداف ، والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث ؛ مثل القرمز فإنه إنما عرف الناس صبغه بأن كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً ، و أشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان .

(١) أي شربه أو كرهه بلاتنفس .

(٢) الصمخ : خرق الاذن الباطن الماضي إلى الرأس .

قال المفصل : حان وقت الزوال فقام مولاي ﷺ إلى الصلاة ، وقال : بكر إلى غداً إن شاء الله تعالى فأنصرفت وقد تضاعف سروري بماعرفني ، مبتهجاً بمانحنيه ، حامداً لله على ما آتانيه فبت ليأتي مسروراً مبتهجاً .

**بيان :** البشم محرّكة : التخمة والسامة . بشم كفرح وأبشمه الطعام . والفراش هي التي تقع في السراج . واليعسوب : أمير النحل وطائر أصغر من الجراد أو أعظم . وقوله ﷺ : ناشرتين بالمعجمة أي مرتفعتين ، وفي بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين . والسرى : السير بالليل . وقال الفيروز آبادي : والتمرة كقبرة وابن تمرة طائر أصغر من العصفور . انتهى .<sup>(١)</sup> وفرفاه أي فتحه . والحسك محرّكة : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم . قوله ﷺ : غيباً جاهلاً أي ليس له عقل يتصرف في سائر الأشياء على نحو تصرفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أن خصوص هذا الأمر إلهام من مدبر حكيم ، أو خلقه وطبيعة جبله عليها ، ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلاً عن المصلحة أيضاً ، ولعل هذا يؤيد ما يقال : إن الحيوانات العجم غير مدركة للكليات<sup>(٢)</sup> ويقال : دلفت الكتبية في الحرب أي تقدّمت ، ويقال : دلفناهم ؛ فالعساكر تحتل الرفع والنصب . والرجل بالفتح جمع راجل : خلاف الفارس . وانساب : جرى ومشى مسرعاً . ولا يؤودها أي لا يثقلها . ولجة الماء : معظمه . والمجذاف : ما تجري به السنينة . وانتجع : طلب الكلاء في موضعه . وحافات الآجام : جوانبها . وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً . وقال الفيروز آبادي : القرمز : صبغ أرمني يكون من عصارة دود في آجامهم . وقال : الحلزون - محرّكة - دابة تكون في الرمث أي بعض مراعي الإبل ، ويظهر من كلامه ﷺ اتحادهما ، ويحتمل أن يكون المراد أن من صبغ الحلزون تفتّظوا بإعمال القرمز للصبغ لتشابههما . تم المجلس الثاني .

(١) قال الدميري : التمر : طائر نحو الوز في منقاره طول ، وعنقه أطول من عنق الوز . وفي البنجد : التمر : طائر مائي شبيه بالوز أطول منه عنقاً . أقول : الظاهر أنه غلط وصحيحه كما في القاموس وغيره : التمر بالراء .

(٢) فيه ما لا يخفى فإن إدراك الكليات غير الفكر الذي بمعنى الانتقال من النتيجة إلى المقدمات ومنها إلى النتيجة ، وكذا هو غير قوة الفكر ؛ والذي يلوح منه نفى قوة الفكر كالإنسان وأما أصل الفكر وإدراك الكليات فلا ، ط

المجلس الثالث : قال المفضل : فلما كان اليوم الثالث بگرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا ، اصطفانا بعلمه ، وأيدنا بحلمه ، من شد عنا <sup>(١)</sup> فالنار مأواه ، ومن تقياً بظل دوحتنا فالجنة مثواه ، قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان وما دبّره و تنقله في أحواله وما فيه من الاعتبار ، وشرحت لك أمر الحيوان ، وأنا أبتدى الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الأربعة : الأرض والماء والهواء والنار ؛ والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر .

فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإنّ هذا اللون أشدّ الألوان موافقة للبصر وتقوية حتى أنّ من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد ، <sup>(٢)</sup> وقد وصف الهذاق منهم لمن كلّ بصره الإطلاع في إجانة <sup>(٣)</sup> خضراء مملوءة ماء ؛ فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ، ويفكر فيها الملحدون ، قاتلهم الله أننى يؤفكون .

بيان : اصطفانا بعلمه أي اختارنا وفضلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يعط أحداً . وأيدنا بحلمه أي قوّانا على تبليغ الرسالة بما حلائنا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس وتكذيبهم . والدوحة : الشجرة العظيمة . والصخر : الحجر العظام . وأديم السماء : وجهها ، كما يطلق أديم الأرض على وجهها ، ويمكن أن يكون عليه السلام شبهها بالأديم . وقوله عليه السلام : حكمة بالغة بالرفع خبر مبتدئ محذوف ؛ أو بالنصب بالحالصة أو بكونه مفعولاً لأجله .

(١) أي تحزّب وانفرد عنا .

(٢) إدمان النظر : إدامته .

(٣) الاجتانة : إناه . تفسل فيه النياب .

فكّر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ، ولم يكونوا يتنهّون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه ، والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها ؛ فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم وجموح حواسهم وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادّخار ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضياءها وتحمي كلّ ما عليها من حيوان ونبات فقدّرها الله بحكمته وتديره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدّوا ويقرّوا فصار النور والظلمة مع تضادّهما متقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، وما في ذلك من التدبير والمصلحة ؛ ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولّد فيهما مواد الثمار ، ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر ، وتشدّ أبدان الحيوان وتقوي ، وفي الربيع تتحرّك وتظهر المواد المتولّدة في الشتاء فيطلع النبات ، وتنور الأشجار ، ويهيج الحيوان للسفاد ، وفي الصيف يحتدم الهواء فتضج الثمار ، وتحلّل فضول الأبدان ، ويجفّ وجه الأرض فتنبأ للبناء والأعمال ، وفي الخريف يصفو الهواء ، ويرتفع الأمراض ، ويصحّ الأبدان ويمتدّ الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لوتقصّيت لذكرها لطال فيها الكلام .

فكّر الآن في تنقل الشمس في البروج الإثني عشر لإقامة دور السنة ، وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف ؛ ويستوفيهما على التمام ، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك

الغلات والثمار ، وتنتهي إلى غاياتها ، ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو ، ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام ، وبها يحسب الناس الأعمال<sup>(١)</sup> والأوقات الملوقة للديون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم ، وبمسير الشمس يكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة .

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قبلها من وجه المغرب ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة<sup>(٢)</sup> منها ، والإرب التي قدّرت له ، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم ؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء ؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة<sup>(٣)</sup> التي لم تكن عندهم فيها حيلة ؟ فصار تجري على مجاريها لا تعقل ولا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم وما فيه بقاءه .

استدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ، ولا يقوم عليه حساب السنة ، لأن دوره لا يستوفي الأربعة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّحها ، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيتها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف .

فكر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدى الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لاضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل ؛ لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصّي الأعمال بالنهار<sup>(٤)</sup> أو لشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالاً

(١) وفي نسخة : وبها يحسب الناس الاعمار .

(٢) أي بحصته ونصيبه من المنفعة .

(٣) وفي نسخة : كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليلة .

(٤) وفي نسخة : في تقضي بعض الاعمال بالنهار .

شَتَّى كحِث الأرض ، وضرب اللَّبن ، وقطع الخشب ، وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك ، وأنساً للسَّائرين ، وجعل طلوعه في بعض اللَّيل دون بعض ، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضياءها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ، ويمتنعوا من الهدء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصَّة في مهله<sup>(١)</sup> ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصروف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر به المعتبرون .

ايضاح : الدولة بالفتح والضم : انقلاب الزمان ، ودالت الأيَّام : دارت ، والله يداولها بين الناس . وهذا كمنع هداء وهدوءاً : سكن . ويقال : نكيت في العدو نكايَةً إذا قتلت فيهم وجرحته . وجثم الإنسان والطائر والنعام ، يجثم جثماً وجثوماً : لزم مكانه لم يبرح ، والمراد جثومهم في اللَّيل . والتظاهر : التعاون . ونور الشجر أي أخرج نوره . وخدم النار : شدَّة احتراقها . والتقصي : بلوغ أقصى الشيء ونهايته . والغابر الباقي والماضي ؛ والمراد هنا الثاني . وبزغت الشمس بزوغاً : شرقت ، أو البرزوخ ابتداء الطلوع . وقال الجوهري : اعتلَّ عليه واعتلَّه : إذا اعتاقه عن أمر . انتهى . وليلة داجية أي مظلمة .

فكَّر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين : أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق ؛ كالنملة التي تدور على الرحي فالرحي تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين : إحداهما بنفسها فتتوجَّه أمامها ، والآخرة مستكرهة مع الرحي تجذبها إلى خلفها ؛ فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلُّها راتبة ؟ أو تكون كلُّها منتقلة ؟ فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتديير وحكمة وتقدير ، وليس بالإهمال كما تزعم المعطلة .

(١) وفي نسخة : خاصة في تهله .

فإن قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً ؛ قلنا : إنها لو كانت كلها راتباً لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المانتقلة ومسيرها في كل برج من البروج ؛ كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ، ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتب كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إن كينونتها <sup>(١)</sup> على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعرين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابها في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته ، وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة ، وذاك أنها لاتغيب ولا تتوارى ؛ فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شأؤوا وصاروا أمراً جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة ، وفيهما مآرب أخرى : علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ؛ وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار <sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة : ان كينونتها .

(٢) جمع القفر : الغلاء من الأرض ، لاماء فيه ولا ناس ولا كلا .

الموحشة ، واللجج الهائلة ، مع ما في ترددها في كبد السماء <sup>(١)</sup> مقبلة ومدبرة ومشركة ومغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحسّه .

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ماهي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها ؟ <sup>(٢)</sup> كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو ، وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حينئذ لحاتت أبصارهم <sup>(٣)</sup> حتى يخرشوا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار وتنكأ فيها ، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها ، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الضوء إذا لم يكن قمر ، ويمكن فيه الحركة إذا حدث ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل ، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة حاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا . ففكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار ، وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض ، وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت <sup>(٤)</sup> لك آنفاً ، وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدّر ، وصواب وحكمة من مقدّر حكيم ؟ .

فإن قال قائل : إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات ؟ فترى كل شيء من آله مقدراً بعضه يلقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها ، وبم كان يثبت هذا القول لوقاله ؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه ؛ أفينكر أن يقول في دولاب خشب <sup>(٥)</sup>

(١) أي وسط السماء .

(٢) أي ستذهب بها بتوقدها .

(٣) حادث العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها .

(٤) وفي نسخة : كالذي بينت ولخصت لك آنفاً .

(٥) وفي نسخة : في دولاب خسيس .



مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض : إنه كان بلاصانع ومقدّر ، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصالح جميع الأرض وما عليها : إنه شيء اتفق أن يكون بلاصنعة ولا تدبير ؛ لو اعتلّ هذا الفلك كما تعتلّ الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء ، كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه ؟ .

بيان : قوله ﷺ : لا تفارق مراكزها لعلّ المراد أنّه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات ، أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالتقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها ، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذات تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها ، وعليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ : وبعضها مطلقة تنتقل في البروج ؛ أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كلّ أحد ، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه ﷺ . قوله : فإنّ الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أنّ الطبيعة أو الدهر الذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كلّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرّ ؛ أو المراد أنّ العقل يحكم بأنّ مثل هذين الأمرين المتّسقين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلّا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم ؛ أو المراد أنّ الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة وترجيح الأمر الممكن من غير مرجّح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما ، فلم صارت إحديهما راتبة ؛ والأخرى منتقلة ؛ ولم لم يعكس الأمر ؛ والأوّل أظهر <sup>(١)</sup> كما لا يخفى . قوله ﷺ : لبطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات للحوادث . قوله ﷺ : في البروج الراتبة يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه ﷺ راعى في انتقال البروج محاذات نفس الأشكال ، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطو الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنّه بعيد . قوله ﷺ : والشّعريّين قال الجوهرى : الشّعري : الكوكب الذي يطلع

(١) وظاهر الخبر المعنى الأخير.

بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر وهما الشّعريان والشّعري العبور التي في الجوزاء ،  
والشّعري : القميصاء التي في الذراع تزعم العرب أنّهما اختاسهيل . انتهى . والقفار جمع  
قفر ، وهو الخلاء من الأرض . وخطف البرق البصر : ذهب به . ووهج النار - بالتسكين - :  
توقدها . وقوله : حثيثاً أي مسرعاً . وتجافى أي لم يلزم مكانه . وبرح مكانه : زال عنه .  
فكّر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق  
فصبار منتهى كل واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ، أفرأيت  
لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار<sup>(١)</sup> كل  
ما في الأرض من حيوان ونبات ؟

أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة ، ولا البهائم كانت تمسك عن  
الرعي لودام لهاضوء النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة ، وكان ذلك  
سيهلكها أجمع ويؤدّ إليها إلى التلف ؛ وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج  
الشمس حتّى يجفّ ويحترق ، وكذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف  
الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتّى تموت جوعاً ، وتخمد الحرارة  
الطبيعيّة من النبات حتّى يعفن ويفسد ، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع  
لا تطلع عليه الشمس .

اعتبر بهذه الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرّفان هذا التصرف من الزيادة  
والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثمّ هما  
بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاءها وفيها صلاحها فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما  
الأبدان لفستت وأخوت وانتكشت .

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنّك ترى أحدهما  
ينقص شيئاً بعد شيء ، والآخر يزيد مثل ذلك حتّى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في  
الزيادة والنقصان ، ولو كان دخول إحداهما على الأخرى مفاجأة لأضرّ ذلك بالأبدان  
وأسمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك وأسقم

(١) البوار : الهلاك والكساد .

بدنه فلم يجعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاجأة ؛ ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك ؛ فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها ؛ فإن اعتل في الإبطاء بعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير ؛ لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكك بها رطوبة ويابسة ، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ، ويريع الريح الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائهما والمنفعة فيه يولم الأبدان ويمضها ، وفي ذلك عبرة لمن فكر ، ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه .

بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَام : لا يجاوز ذلك أي في معظم المعمورة . وقال الفيروز آبادي : خوت الدار : تهدمت ، والنجوم خيأ : أحملت فلم تمطر كأخوت . وقال : المنتكث : المهزول . وقال : الترسل : الرفق والتؤدة . انتهى . قوله عَلَيْهِ السَّلَام : بعد ما بين المشرقين أي المشرق والمغرب ، كناية عن عظم الدائرة التي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف والشتاء ، والأول أظهر . قوله عَلَيْهِ السَّلَام : الجاسية أي الصلبة . ويتفكك بها أي يتمتع بها . والريح : النماء والزيادة . وقال الجوهرى : أمضني الجرح إمضاضاً : إذا أوجعك ، وفيه لغة أخرى : مضني الجرح ؛ ولم يعرفها الأصمعي .

وأنبهك يا مفضل على الريح وما فيها ألت ترى ركودها إذا ركبت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ، ويحرص الأصحاء وينهك المرضى ، ويفسد الثمار ، ويعفن البقول ، ويعقب الوباء في الأبدان ، والآفة في الغلات ؛ ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق .

وأنبهك عن الهواء بخلّة أخرى فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء ، والهواء يؤدّيه إلى المسامع ، والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول

نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه ، فكان يكرههم ويفدحهم ، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلقى من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديداً نقيّاً ، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع ، وحسبك بهذا النسيم المسمى «هواء» عبرة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ، ومن خارج بما تباشر من روحه ، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من البعد البعيد ، وهو الحامل لهذه الأرايح ينقلها من موضع إلى موضع .

الآن ترى كيف تأتيك الراححة من حيث تهبّ الريح فكذلك الصوت ؛ وهو القابل لهذا الحرّ والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ،<sup>(١)</sup> ومنه هذه الريح الهابّة فالريح تروح عن الأجسام و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكشف فيمطر ، وتفرضه حتى يستخفّ فيتفشّش ، وتلقح الشجر ، وتسير السفن ، وترخي الأطعمة<sup>(٢)</sup> وتبرد الماء ، وتشبّ النار ، وتجفّف الأشياء النديّة ، وبالجملة أنّها تحيي كلّما في الأرض فلولالريح لذوى النبات<sup>(٣)</sup> ومات الحيوان وحمّت الأشياء وفسدت .

توضيح : ركود الريح : سكونها . والحرص : فساد البدن . ويقال : نهكته الحمى أي أضنته وهزلته . وقوله ﷺ : والهواء يؤدّي به يدلّ على ما هو المنصور من تكييف الهواء بكيفية الصوت على ما فصل في محله . ويقال : كربه الأمر أي شقّ عليه وفدحه الدين أي أثقله . وريثما فعل كذا أي قدر ما فعله . ويبلغ إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله . والروح بالفتح : الراحة ونسيم الريح . واطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً و جرى . والأرايح جمع للريح . و تزجي السحاب - على بناء الإفعال -

(١) وفي نسخة اللذين : يعقبان على العالم لصلاحه .

(٢) أي صيرها رغواً أي متمسكاً .

(٣) ذوى النبات : ذبل ونشف ماؤه .

أي تسوقه . وتفضّه أي تفرّقه . والتفشي : الانتشار . وترخي الأطعمة - على التفعيل أو الأفعال - أي تصيرها رخوة لطيفة . وتشب النار أي توقدها .

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها ، فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيتهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم ، والعقاير العظيمة ، والمعادن الجسيمة غنائها ، ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار المحوشة فيقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفّس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ؛ فكهم يبداء وكم فد فحالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هوني حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطره إلى الانتقال عنه .

ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطناً مستقراً للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم ، والجلوس عليها لراحتهم ، والنوم لهدئهم ، والإتيان لأعمالهم فانها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك ، بل كانوا لا يهتمون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم ؛ واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكنتها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها .

فإن قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي ، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ، ويدخلهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا ، وربما جعل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للخاصة والعامة .

ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة و إنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يابس في الحجارة ، أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتى تكون حجراً أصلاً أكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان ؟

وكان يمكن بها حث أو بناء؛ أفلا ترى كيف تنصب<sup>(١)</sup> من يبس الحجارة و جعلت على ماهي عليه من اللين والرخاوة ولتنبه للاعتماد .

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الأرض أن مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب فلم يجعل الله عزّ وجلّ كذلك إلا لينحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويه؛ ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنّما يرفع أحد جانبي السطح<sup>(٢)</sup> و يخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلة بعينها ، ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من إعمالها<sup>(٣)</sup> ويقطع الطرق والمسالك ؛ ثم الماء لولا كثرتة وتدفعه في العيون والأودية و الأنهار لضاق عمّا يحتاج الناس إليه لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم ، وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم ، وشرب ما يرده من الوحوش والطيور والسباع وتقلب فيه الحيتان ودواب الماء ؛ وفيه منافع آخر أنت بها عارف وعن عظم موقعها غافل فانه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها ، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها ، وبه يبلّ التراب فيصلح للاعتماد<sup>(٤)</sup> وبه يكفّ عادية النار إذا اضطربت وأشرف الناس على المكروه ، وبه يسبغ الغصن ما غصّ به ، وبه يستحمّ المتعب الكال فيجد الراحة من أوصابه ، إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها .

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت : ما الإرب فيه ؛ فاعلم أنّه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى : من أصناف السمك ودواب البحر ، ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر ، وأصناف شتى تستخرج من البحر ، وفي سواحله منابت العود واللينجوج ، وضروب من الطيب والعقاقير ؛ ثم هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثّل ما يجلب من الصين إلى العراق ، ومن العراق

(١) وفي نسخة : نقصت .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : فكما يرفع أحد جانبي السطح .

(٣) وفي نسخة : فكان يمنع الناس من إعمالها .

(٤) وفي نسخة : فيصلح للأعمال .

إلى العراق <sup>(١)</sup> فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محل إلا على الظاهر لبارت <sup>(٢)</sup> وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأن أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخرا انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها؛ وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق <sup>(٣)</sup> هذا الأنام من الدخان والبخار التي يتحير فيه، ويعجز عما يحول إلى السحاب والضباب أولاً وولاً وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية.

والنار أيضاً كذلك فإنها لو كانت مبنوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولم يكن بد من ظهورها في الأحيان لغنائمها في كثير من المصالح فجعلت كالملخزونة في الأخشاب <sup>(٤)</sup> تلتبس عند الحاجة إليها، وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو، <sup>(٥)</sup> فلا هي تملك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبنوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها. ثم فيه خلعة أخرى وهي أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها، ولما قدر الله عز وجل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفاً وأصابع مهية لقدح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنّها أعيئت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان.

وأنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يتخذونه الناس فيقضون به حوائجهم ماشأوا من ليلهم، ولولا هذه الخلعة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور؛ فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج

(١) وفي نسخة: إلى الصين.

(٢) بارت أي كسدت.

(٣) خنق: شد على حلقة حتى يموت. واختنق مطاوع خنق.

(٤) وفي نسخة في الاجسام.

(٥) أي لئلا تخمد وتطفأ.

في ظلمة الليل ؛ وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج أن يعالج ضماداً ، أو سفوفاً أو شيئاً يستشفى به ؛<sup>(١)</sup> فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتعفيف أشياء وتحليل أشياء وأشبه ذلك فأكثر من أن تحصي وأظهر من أن تخفى .

تبيان : العقاقير : أصول الأدوية . والغناء بالفتح : المنفعة . والخواوية : الخالية . والفدند : الفلاة ، و المكان الصلب الغليظ و المرتفع ، و الأرض المستوية . والفسحة بالضم : السعة . ويقال : لي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة . و حزه أمر أي أصابه . والرابعة . الثابتة . والراكنة : الساكنة . وهذا هدهأ وهدهأ : سكن . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : رجاجة أي متزلزلة متحركة . والتكفى : الانقلاب والتمايل والتحرك . والارتجاج الاضطراب . والإرعاء : الرجوع عن الجهل والكف عن القبيح والصمد - ويكسر - : الصلب الأملس . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كيف تنصب كذا في أكثر النسخ ، والنصب يكون بمعنى الرفع والوضع ، ولعل المراد هنا الثاني ، والظاهر أنه تصحيف نقصت أو نحوه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن مهب الشمال أرفع أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب ، ولذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب ، ولما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعا للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المتفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض ؛ ولذا حكموا بفوقية الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البشر والبالوعة ، و إذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحكيم في ذلك ، وأنه لا ينافي كروية الأرض . والتدقيق : التصبب . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فإنه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء وهو إسم إن و يمزج خبره أي للماء سوى النفع الجليل المعروف - وهو كونه سبباً لحياة كل شيء - منافع أخرى ؛ منها : أنه يمزج مع الأشرطة . وقال الجوهري : الحميم : الماء الحار ، وقد استحممت إذا اغتسلت به ؛ ثم صار كل اغتسال

(١) الغماد بالكسر أن يخلط الادوية بمائع ويلين و يوضع على العضو ، و أصل الضمد الشد من باب ضرب ، يقال : ضمد رأسه وجرحه : إذا شده بالضمد ، وهي خرقه يشد بها العضو المؤوف ثم قيل لوضع الدواء على الجرح و غيره وإن لم يشد . و السفوف بفتح السين : الادوية المسحوقة اليابسة التي تطرح في الضماد .



استحماماً بأيّ ماء كان . انتهى . والوصب محرّكة : المرض . والمكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة ، واكتنّفه أي أحاط به ، ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر ، وقيل : أطلق على المرجان مجازاً ، ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه . و اليلنجوج : عود البخور . ومن العراق أي البصرة . وإلى العراق أي الكوفة أو بالعكس . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ويعجز أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكوّن من الهواء . أوّلاً أي تدريجاً أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك . الضباب بالفتح : ندى كالغيم أو سحاب رقيق كالدخان . والأحيين جمع أحيان ، وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فلا هي تمسك بالمادّة والحطب أي دائماً بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها . والمادّة : الزيادة المتصلة ، والمراد هنا الدهن ومنله . ودفاء الأبدان بالكسر : دفع البرد عنها .

فكّرياً مفضّل في الصحو<sup>(١)</sup> والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لمافيه صلاحه ، ولودام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالى غفرت البقول والخضر ، واسترخت أبدان الحيوان ، وخصر الهواء فأحدث ضرراً من الأمراض ، وفسدت الطرق والمسالك ، وأنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض ، واحترق النبات ، وغيض ماء العيون والأودية فأضرّ ذلك بالناس ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر<sup>(٢)</sup> فصلحت الأشياء واستقامت .

فإن قال قائل : ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرّة البتّة ؟ قيل له : ليمضّ ذلك الإنسان<sup>(٣)</sup> ويومله بعض الألفيرعوي عن المعاصي ، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأودية المرّة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طغى وأشّر

(١) صحوا يصحو صحواً وصحى يصحى صحواً اليوم : صفا ولم يكن فيه غيم .

(٢) أي ضرر الآخر .

(٣) وفي نسخة : يمضّ ذلك الإنسان .

احتاج إلى ما يعضّه ويولمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبتته على ما فيه حظّه . رشده ، ولو أنّ ملكاً من الملوك قسّم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت ؟ فأين هذا من مطرة رواء ؟ <sup>(١)</sup> إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضّة في أقاليم الأرض كلّها .

أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون ! وربّما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر <sup>(٢)</sup> ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلاً بمحمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها . تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك ، فإنّه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشّي ما غلظ وارتفع منها فيرويه ، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لماعلا على المواضع المشرفة منها و يقل ما يزرع في الأرض .

الأتري أنّ المذي يزرع سيحاً <sup>(٣)</sup> أقلّ من ذلك فالأ مطارهي التي تطبق الأرض ؛ وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها <sup>(٤)</sup> فتغل الغلّة الكثيرة ، <sup>(٥)</sup> وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع ، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتّى يستأثر بالماء ذوو العزّة والقوة ويحرّمه الضعفاء .

ثم إنّّه حين قدّر أنّ ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش ليغور في قطر الأرض فيرويه ، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثمّ كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً <sup>(٦)</sup> فينبت الحب المزروع ، ويحيي الأرض والزرع القائم ، وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى فإنّه يلين الأبدان ، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ، ويغسل ما يستقط على

(١) على ذنة «حياء» : الماء الكثير المشبع .

(٢) في بعض النسخ «يتذمر» ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جيلاً معمود العاقبة وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها .

(٣) السبح : الماء الجارى على وجه الأرض .

(٤) سفح الجبل : أصله وأسفله . عرضه ومضطجعه الذي ينصب الماء . وذرو الجبل : أعلاه .

(٥) وفي نسخة : فتغل الغلّة الكثيرة .

(٦) وفي نسخة : فصار ينزل نزولاً رقيقاً .

الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان<sup>(١)</sup>، إلى اشباه هذا من المنافع .  
فإن قال قائل : أوليس قديكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطّم الغلات و بخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلات ؟ قيل : بلى قديكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفّته عن ركوب المعاصي و التمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح ممّا عسى أن يرزأ في ماله .

بيان : يعتقدان أي يأتي كل منهما عقيب صاحبه . وخصر الهواء بكسر الصاد المهملة ، يقال : خصر يومنا أي اشتدّ برده ، وماء خاصر : بارد ، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة و السين من حسر أي كلّ ، وهولا يستقيم إلّا بتكلف وتجوّز ، وفي بعضها بالحاء المعجمة والشاء المشثنة من قولهم : خثر اللبن خثراً إذا غلظ . والبشع : الكريه الطعم الذي يأخذ بالخلق . والقنطار : معيار ، ويروى أنّه ألف ومائتا أوقية ، ويقال : هومائة وعشرون رطلاً ، ويقال : هوماء مسك الثور ذهباً . قوله ﷺ : ويذهب له به الصوت ، أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق . والذمر : الملامة و التهديد . قوله : ليتفشي التفشي : الاتساع ، والأظهر «ليغشي» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ . والحطم : الكسر . والاندفاق : الانصباب . واليرقان : آفة للزرع . وقوله : ممّا عسى أن يرزأ من الرزء : المصيبة .

انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة<sup>(٢)</sup> من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلاً لاحتاجة إليها ، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ، ويدوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام ، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاير التي لا ينبت مثلها في السهل ، ويكون فيها كهوف ومقاييل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون

(١) اليرقان : آفة للزرع أودود يسطو على الزرع .

(٢) المركومة : المجتمعة من الطين والحجارة بعضها فوق بعض .

والقلاع المنيع للتحرز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء،<sup>(١)</sup> ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وفيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه.

تفسير : المقایل في بعض النسخ بالقاف، وكأنه من القيلولة، وفي بعضها بالغين، ولعله من الغيل : الشجر الملتف. وفي بعض كتب اللغة : المغالة : العُش. وفي بعض النسخ معاقل جمع المعقل وهو الملجأ.

فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبس<sup>(٢)</sup> والزراينج، والمرتك، والقونيا<sup>(٣)</sup> والزبيق، والنحاس، والرصاص، والفضة، والذهب، والزبرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك مما يستعمله الناس في ما ربهم، فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؟ ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنيهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لأعالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال، ولا يدخرهما أحد للأعقاب، وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه؛ ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلاً بماء غزير، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة.

تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإني أنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد

(١) أي الطواحين.

(٢) أي حجر الجبس.

(٣) في نسخة : القونيا. وفي أخرى : التوتيا.

قدرته وسعة خزائنه ، ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك ، لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به ؛ واعتبر ذلك بأنه قديظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسست قيمته ؛ ونفاسة الأشياء من عزتها .

بيان : الكلس بالكسر : الصاروج . والجبس بالكسر الجص . وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ . والمرتك كمقعد : المر داسنج . والقونيا بالباء الموحدة أوالياء المشتقة من تحت ، ولم أجدهما في كتب اللغة ، لكن في القاموس : القونة : القطعة من الحديد أو الصفر يرفع بها الإناء ؛ وفي بعض النسخ : والتوتيا ، وفي كتب اللغة أنه حجر يكتحل به .<sup>(١)</sup> والقار : القير . وجبى الخراج جباية : جمعه . والإيغال : المبالغة في الدخول والذهاب . وانصلت : مضى وسبق .

فكريا مفضل : في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب ، فالثمار للغذاء ، والأتبان للعلف ، والحطب للوقود ، والخشب لكل شيء من أنواع النجارة وغيرها ، واللحاء والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع . أرايت لو كنّا نجد الثمار التي نغذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجوداً فإن المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عدناه كثيرة ، عظيم قدرها ، جليل موقعها ؛ هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيته .

بيان : لحاء الشجرة بالكسر : قشرها .

فكريا مفضل : في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف

(١) نقل في كتب الطب عن الشيخ أنه قال . أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلص النحاس من الحجارة التي تغالطه والإنك الذي يغالطه ، وربما صعد الإقليميا فكان مصعبه توتيا جيداً ورسوبه قليميا .

مائة حبة وأكثر وأقل، وكان يجوز أن يكون الحبة تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوت الزرع إلى إدراك زرعها المستقبل؟ .

الأنرى أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم، وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثل قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في ما ربهم وما يرد فيغرس في الأرض؟ ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخراطط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشدد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه؛ فأما البر وما أشبهه فإنها يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثال السنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوقر على الزرع . فإن قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البر والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر فيها لأن الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الأرض حظاً، ولكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعذب فيها ويفسد الفساد الفاحش فإن الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلاً فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزرع من زرعه صفراً فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوت به، ويبقى أكثره للإنسان فإن أولى به إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به، وكان الهذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير.

تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء

الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأمّ المربية لها ، وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتزمة للأرض<sup>(١)</sup> لتنزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها .

الأنثى إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه ، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف ، فانظر إلى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لأنّ خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الأنثى عمدها وعيدانها من الشجر ؟ فالصناعة مأخوذة من الخلقة .

بيان : ينسفه بالكسر أي يقلعه . وبشم الحيوان بشماً من باب تعب : اتخيم من كثرة الأكل . والكدح : العمل والسعي . والشقا : الشدة والعسر شقى كرضى . والدوح بفتح الدال وسكون الواو جمع الدوحة ، وهي الشجرة العظيمة .

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ، ومنها دقاق تتخلل الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لو كان ممّا يصنع بالأيدي كصناعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ، ولأحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام إلا بالارادة النافذة في كل شيء ، والأمر المطاع .

واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منها وفي الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا

(١) التزم الطعام : ابتلعه أو فني مهلة .

تنهتك وتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة .

فكر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق ، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر ، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ، ثم بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار وورقتها ، ولولا ذلك لتشدّت وتفسدت وأسرع إليه الفساد ، وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح ، وقد تبيين لك موضع الإرب في العجم والنوى .

فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطوبة وفوق العجم من العنبة فما العلّة فيه ؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة ؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السرو والدلب وما أشبه ذلك ، فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان ؟

فكر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كلّ سنة مودة ، فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم تحيي وتنشرف ثأنيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع كما تقدم إليك أنواع الأطبحة<sup>(١)</sup> التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد ، فترى الأغصان في الشجر تتلقاك بشمارها حتى كأنها تناولكها عن يد ، وترى الرياحين تلقاك في أفنانها كأنها تحيئك بأنفسها ، فلمن هذا التقدير إلا ليقدر رحيم ؟ وما العلّة فيه إلا تفكية الإنسان بهذه الثمار والأنوار ؟<sup>(٢)</sup> والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جهود المنعم بها !

اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها ، وحباً مرصوفاً رصفاً كنجوماً يضيء بالأيدي<sup>(٣)</sup>

(١) وفي نسخة : كما تقدم إليك أنواع الاخبصة .

(٢) وفي نسخة : تفكه الإنسان بهذه الثمار والأنوار .

(٣) أي كنجوماً يضيء بعضه إلى بعض متسقاً بالأيدي .



وترى الحب مقسوماً أقساماً ، وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسيج و الطفه ، وقشره يضم ذلك كله ، فمن التدبير في هذه الصنعة أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده ، وذلك أن الحب لا يمدُّ بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمدّه بالغذاء ، ألا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ؛ ثم لفّ بتلك اللفائف لتضمّمه وتمسكه فلا يضطرب ، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحشفة ليصونه ويحصّنه من الآفات ، فهذا قليل من كثير وهي وصف الرمانة وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام ، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار .

بيان : قوله ﷺ : معجماً لعل المراد شدة ارتباطها قال الفيروز آبادي : باب معجم كمكرم : مقفل . انتهى . ويحتمل أن يكون كناية عن خفاءها كقوله ﷺ : صلاة النهار عجماء . وقوله ﷺ : إن عاق دون الغرس أي غرس الأعصان عائق تغرس النوى بدلها . والشدخ : الكسر والغمز ، والمشدخ هو بسر يغمز وييبس للشتاء . والدلب بالضم : الصنار <sup>(١)</sup> قوله ﷺ : فيحتبس الحرارة الغريزية يدل على أن الحرارة الغريزية لا يختص بالحيوان ، بل يوجد في النبات أيضاً كما صرح به جماعة من المحققين . ويقال : رصفت الحجارة في البناء رصفاً أي ضمنت بعضها إلى بعض . واستحصف : استحكّم . والتذرع : كثرة الكلام والإفراط فيه .

فكرياً مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقشّاء و البطيخ ، وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنه حين قدّر أن يحتمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسّطاً على الأرض ، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ، ولينقص قبل إدراكها وانتهاءها إلى غايتها . فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقى عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض ، ثماره مبعثرة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتفتها أجراؤها لترضع منها .

(١) الصنار معرب بنار .

و انظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حرارة الصيف ، ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانسراح و تشوق إليها ، ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعر أدامنها مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان . ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره وليستوخم مغبته .

توضيح : قال الفيروز آبادي : اليتطين : ما لا ساق له من النبات ونحوه . والقصف : الكسر . وقال الجوهري : الجبرو والجرو والجرو : ولد الكلب والسباع ، و الجمع أجري ، وأصله أجرو على أفعل ، وجراء ، وجمع الجراء أجرية ، والجبرو والجبروة الصغير من القشاء . انتهى . والحرارة بتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يخفف في الشعر : شدة الحر . وفي الأساس : مالي أراك تشرح إلى كل رتبة ؛ وهو إظهار الرغبة إليها ، وفيه : هوشه العين يطمع في كل ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمناه . انتهى . واستوخمه : لم يجده مريئاً موافقاً . والمغبة : العاقبة .

فكرباً مفضل في النخل فإنه لما صار فيه أنثى يحتاج إلى التلقيح<sup>(١)</sup> جعلت فيه ذكورة للقيح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الأنثى لتحمل وهو لا يحمل .

تأمل خلقه الجذع<sup>(٢)</sup> كيف هو فأنك تراه كالمسج نسجاً من غير خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة<sup>(٣)</sup> كنحو ما ينسج بالأيدي ، وذلك ليشتد و يصلب ولا ينقص من حمل القنوان<sup>(٤)</sup> الثقيلة ، وهز الرياح العواصف إذا صار نخلة ، و ليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعاً ؛ وكذلك ترى الخشب مثل النسج فأنك ترى بعضه مداخل بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم ، وفيه

(١) التلقيح في النخل : وضع طلع الذكر في الاناث .

(٢) الجذع : ساق النخلة .

(٣) السدى من الثوب : ما مد من خيوطه وهو خلاف اللحمة . واللحمة مانسج عرضاً وهو خلاف سده .

(٤) القنوان جمع القنا والقنى والقنو - بكسر القاف وضبطها - : العذق وهو من النخل

كالمنقود من العنب .

مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً<sup>(١)</sup> كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشب كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك . ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالته الأمر فيه ؛ فلولاهذه الخلقة كيف كانت هذه السفن والأطراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة ، وأنسى كان ينال الناس هذا الوفق<sup>(٢)</sup> وخفة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد ؟ وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتى يلقي كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسراً وجوده .

فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج ،<sup>(٣)</sup> وهذا ينزف المرة السوداء مثل الأقيمون ،<sup>(٤)</sup> وهذا ينفي الرياح مثل السكينج ، وهذا يحلل الأورام وأشياء هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة ؟ ومن فطن الناس بها إلا من جعل هذا فيها ؟ وحتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون ؟ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهايم كيف فطنت لها ؟ حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم ، وأشياء هذا كثير . ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس فتظن أنه فضل لأحاجة إليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش ، وحبّه علف للطير ، وعوده و أفنائه حطب فيستعمله الناس ، وفيه بعد أشياء تعالج به الأبدان ، وأخرى تدبغ به الجلود وأخرى تصبغ به الأمتعة ، وأشياء هذا من المصالح . ألسنت تعلم أن أحسن النبات وأحقره

(١) أي مستحكماً ، والحصيف : كل محكم لا خلل فيه .

(٢) في نسخة : هذا الفرق .

(٣) وفي كتب الطب أنه يزيل الطحال أكلا وضماً أيضاً ، وتعليقه على الأذن الوجعة يسكن وجعها .

(٤) وله منافع أخرى معدودة في كتب الطب كاسهاله البلغم والصفراء ، ونفحه من الصرع والتشنج الإنملاحي ، والنفخ واصحاب السرطان والجرب وغير ذلك ، كما أن للسكينج منافع أخرى مبينة في محله .

هذا البردي<sup>(١)</sup> و مما أشبهها ؛ ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة ، والحُصُر التي يستعملها كل صنف من الناس ، وليعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني ، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط<sup>(٢)</sup> لكيلا تعيب وتنكسر ، وأشباه هذا من المنافع

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره و بماله قيمة ومالا قيمة له ، وأخرى من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً ، وموقعها من الزروع و البقول و الخضر أجمع الموضع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس و يكرهون الدنو منه ؛ واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته ، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين ، وربما كان الخسيس في سوق الملك متسبباً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته ، فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لا شتروها بأنفس الأئمان وغالوا بها .

قال المفضل : و حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال : بكر إلي غداً إن شاء الله ؛ فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفني به مبتهجاً بما آتانيه ، حامداً لله على ما منحيه فبت لي ليلي مسروراً .

بيان : قوله ﷺ : ليصلح بيان لما يتحصل مما مرّ لاللمتانة فقط . و النزف : النزح : قوله ﷺ : هب إلا إنسان أي سلّمنا أنه كذلك . والحصر بالضم : اعتقال البطن . والسوقة بالضم : الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث . والغلف بضممة وبضمّتين وكرّع : جمع غلاف . والزبل بالكسر : السرقة . وقال الفيروز آبادي : السماد : السرقة برما د وقال الجزري : هو ما يطرح في أصول الزرع و الخضر من العذرة والزبل ليجود نباته . أقول : يدل ظاهراً على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك و ربما يستدل به على تطهير الاستحالة .

(١) البردي : ثبت دخونيت في ديار مصر كثيراً ، يصفغ أصله كقصب السكر ويتخذ منه القراطيس وقيل : له ورق كهوص النخل ، فارسيه نوخ .

(٢) جمع السفط : وعاء ، كالقفة أو الجوالق .

المجلس الرابع : قال المفضل : فلما كان اليوم الرابع هجرت إلى مولاي فاستودن لي فأمرني بالجلوس فجلست ، فقال ﷺ : منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقدّيس للاسم الأقدم ، والنور الأعظم العلمي العلّام ، ذي الجلال والإكرام ، ومنشئ الأنام ، ومفتي العوالم والدهور ، وصاحب السرّ المستور والغيب المحظور ، والاسم المخزون والعلم المكنون ؛ وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ، ومؤدّي رسالته ، الذي ابتعثه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ، فعليه وعلى آله من بارئ الصلوات الطيّبات والتحيّات الزاكيّات الناميات ، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضيّن والغابرين أبد الآبدين ودهر الدهرين وهم أهلّه ومستحقّه .

قد شرحت لك يا مفضل من الأدلّة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر ؛ وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير ، وما أنكرت المعطلة والمناوية<sup>(١)</sup> من المكاره والمصائب وما أنكروه من الموت والفناء ، وما قاله أصحاب الطبائع ، ومن زعم أن تكون الأشياء بالعرض والاتّفاق ليتّسع ذلك القول في الردّ عليهم ، قاتلهم الله أنسى يؤفكون ؟ .

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثّل الوباء واليرقان<sup>(٢)</sup> والبرد والجراذ ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق ؛ فيقال في جواب ذلك : إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفطع ؟ فمن ذلك أن يسقط السماء على الأرض ، وتهوي الأرض فتذهب سفلًا ، وتتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً ، وتجف الأنهار والعيون حتّى لا يوجد ماء للشفة ، وتركّد الريح حتّى

(١) الظاهر : المناوية .

(٢) اليرقان : مرض معروف يصيب الناس ويسبب اصفرار الجلد ، وآفة للزروع ، أودود يسطو على الزرع ولعل المراد المعنى الثاني لذكره قبل ذلك .

تحمّ الأشياء وتفسد، ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها . ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لاتدوم وتمتدّ حتى تحتاج كلّ ما في العالم ؛ بل تحدث في الأحياء ، ثم لاتلبث أن ترفع ؛ أفلا ترى أنّ العالم يسان ويحفظ من تلك الأحداث الجلييلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ، و يلذع<sup>(١)</sup> أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ، ثم لاتدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة .

وقد أنكرت المعطلة ما أنكرت المنانيّة<sup>(٢)</sup> من المكارة والمصائب التي تصيب الناس ، فكلاهما يقول : إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم يحدث فيه هذه الأمور المكروهة ؛ والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنّه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر ، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتوّ إلى ما يصلح في دين و دنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتى أنّ أحدهم ينسى أنّه بشر أو أنّه مربوب أو أنّ ضرراً يمسه ، أو أنّ مكروهاً ينزل به ، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً . أو يرثي لمبتلى<sup>(٣)</sup> أو يتحنّن على ضعيف ، أو يتعطف على مكروب ، فإذا عضته المكارة و وجد مضضها اتعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه ، و رجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه ، و المنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة ؛ ويتسخطون من المنع من الأطعمة الضارّة ؛ ويتكرّهون الأدب والعمل ؛ ويحبّون أن يتفرّغوا للهو والبطالة ؛ وينالوا كلّ مطعم ومشرب ؛ ولا يعرفون ما تؤدّيهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارّة من الأذواء والأسقام ، وما لهم في الأدب من الصلاح ، وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة .

فإن قالوا : ولم لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتى لا يحتاج إلى أن

(١) يلذع بالذال المعجمة والعين المهملة : يوجع ويؤلم . وفي بعض النسخ يلدغ بالذال المهملة والغين المعجمة أى يلسع .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : الما نوية .

(٣) أى يرق ويرحم له .

يلذعه بهذه المكارة ؟ قيل : إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحق للثواب عليها .

فإن قالوا : وما كان يضره أن لا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذة ؟ قيل لهم : عرضوا على امرء صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفى كل ما يحتاج إليه بالسعي ولا استحقاق ، فانظر هل تقبل نفسه ذلك ؟ بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير الاستحقاق ، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة ، بأن أعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا ، وجعل له السبيل إلى أن ينال بسعيه واستحقاقه فيكمل له السرور والاعتباط بما يناله منه .

فإن قالوا : أوليس قديكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقّه ؟ فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة ؟<sup>(١)</sup> قيل لهم : إن هذا باب لوصحّ للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم ؛ فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة أو يتحمّل المشقة في باب من أبواب البر لو وثق بأنّه صائر إلى النعيم لا محالة ؟ أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لولم يخافوا الحساب والعقاب ؟ فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة ، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً ، وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الأمور غير مواضعها .

وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعمّ البرّ والفاجر ، أو يبتلي بها البرّ ويسلم الفاجر منها ، فقالوا : كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه ؟ فيقال لهم : إن هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً ، فإن الله جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما : أمّا الصالحون فإنّ الذي يصيبهم من هذا يردّهم<sup>(٢)</sup> نعم ربّهم عندهم في سالف

(١) وفي نسخة : على هذه الخلّة .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : يذكّرهم .

أَيَّامِهِمْ فَيُحْدِثُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ ؛ وَأَمَّا الطَّالِحُونَ فَإِنْ مَثَلَ هَذَا إِذَا نَالَهُمْ كَسْرُ شَرِّهِمْ ، وَرَدَّعَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِش ، وَكَذَلِكَ يُجْعَلُ لِمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ مِنَ الصَّنَفِينَ صِلَاحاً فِي ذَلِكَ : أَمَّا الْآبِرَارُ فَإِنَّهُمْ يَغْتَبِطُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ وَيَزِدَادُونَ فِيهِ رَغْبَةً وَبَصِيرَةً . وَأَمَّا الْفَجَّارُ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ رَأْفَةَ رَبِّهِمْ <sup>(١)</sup> وَتَطَوَّلَ لَهُ عَلَيْهِمُ بِالسَّلَامَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ <sup>(٢)</sup> فَيَحْضُرُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الرَّأْفَةِ بِالنَّاسِ وَالصَّفْحِ عَنْ أَسَاءِ إِلَيْهِمْ .

وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ الْآفَاتُ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي أُمُورِهِمْ ، فَمَا قَوْلُكَ فِيمَا يَبْتَلُونَ بِهِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَيَكُونُ فِيهِ تَلْفَهُمْ ، كَمَثَلِ الْحَرِّ وَالْغُرُقِ وَالسَّيْلِ وَالْخُسْفِ ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي هَذَا أَيْضاً صِلَاحاً لِلصَّنَفِينَ جَمِيعاً : أَمَّا الْآبِرَارُ فَلَمَّا لَبَّاهُمْ فِي مَفَارِقِ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الرَّاحَةِ مِنْ تَكْلِيفِهَا وَالنَّجَاةِ مِنْ مَكَارِهَا ؛ وَ أَمَّا الْفَجَّارُ فَلَمَّا لَبَّاهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ تَمَحُّصِ أَوْزَارِهِمْ وَحَبْسِهِمْ عَنِ الْإِزْدِيَادِ مِنْهَا . وَجِلَّةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْخَالِقَ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ قَدِصَّرَفَ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى الْخَيْرَةِ وَالْمُنْفَعَةِ فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا قَطَعْتَ الرِّيحَ شَجَرَةً أَوْ قَطَعْتَ نَخْلَةً أَخَذَهَا الصَّانِعُ الرِّفِيقَ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي ضُرُوبٍ مِنَ الْمُنَافَعِ فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْمَدَبُّرُ الْحَكِيمُ فِي الْآفَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأُمُورِهِمْ فَيُصَيِّرُهَا جَمِيعاً إِلَى الْخَيْرَةِ وَالْمُنْفَعَةِ .

فَإِنْ قَالَ : وَلَمْ يَحْدِثْ عَلَى النَّاسِ ؟ قَبْلَ لَهُ : لِكَيْلَا يَرْكَنُوا إِلَى الْمَعَاصِي مِنْ طَوْلِ السَّلَامَةِ فَيَبَالِغُ الْفَاجِرُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ، وَيَقْتَرِ الصَّالِحُ عَنِ الْاجْتِهَادِ فِي الْبِرِّ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً يَغْلِبَانِ عَلَى النَّاسِ فِي حَالِ الْخَفْضِ <sup>(٣)</sup> وَالِدَّعَةِ <sup>(٤)</sup> ، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي تَحْدِثُ عَلَيْهِمْ تَرُدُّعُهُمْ <sup>(٥)</sup> وَتَنْبِيْهِهُمْ عَلَى مَا فِيهِ رَشْدُهُمْ ، فَلَوْ أَخْلَوْا مِنْهُمَا لَغَلَوْا فِي الطُّغْيَانِ وَالْمَعْصِيَةِ كَمَا عَلَى النَّاسِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ حَتَّى وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْبُورُ بِالطُّوفَانِ وَتَطْهِيرُ الْأَرْضِ مِنْهُمْ .

(١) وَفِي نَسْخَةٍ : فَأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ .

(٢) وَفِي نَسْخَةٍ : مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ .

(٣) خَفْضُ الْعَيْشِ : سَهْلٌ وَكَانَ هُنَا .

(٤) الرَّاحَةُ وَخَفْضُ الْعَيْشِ .

(٥) وَفِي نَسْخَةٍ : وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي تَحْدِثُ عَلَيْهِمْ تَرُدُّعُهُمْ .



ومما ينتقده الجاحدون للعدو والتقدير الموت والغناء فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا ، مبرّمين من الآفات . فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله . أفرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يقون ولا يموت أحد منهم ألم تكن الأرض تضيق بهم حتّى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش ؟ فإنّهم والموت يفنيهم أو لا أو لا يتنافسون في المساكن والمزارع حتّى ينشب بينهم في ذلك الحروب ويسفك فيهم الدماء ، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون ؟ وكان يغلب عليهم الحرص و الشره و قساوة القلوب ، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء ينال ، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ، ولا سلا عن شيء ممّا يحدث عليه ، ثمّ كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من أمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره حتّى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا .

فإن قالوا : إنّه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكروه والأصاب حتّى لا يتمنّوا الموت ولا يشتاقوا إليه ، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا . وإن قالوا : إنّه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش قيل لهم : إذا كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون .

فإن قالوا : كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم . يقال لهم : رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثمّ لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد ، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم . ففي هذا دليل على أنّ كلّما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي والقول . ولعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول : كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزّ بزّ ؟ فالقويّ يظلم ويغصب ، والضعيف يظلم ويسأم الخسف ، والصالح فقير مبتلى ، والفاسق معافى موسّع عليه ، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرّماً لم يعاجل بالعقوبة ؛ فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على

القياس القائم ، فكان الصالح هو المرزوق ، والطالح هو المحروم ، وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف ، والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة ؛ فيقال في جواب ذلك : إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق ، و حمل النفس على البرّ والعمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله منه ، ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس<sup>(١)</sup> بالعصا والعلف ، و يلمع لها بكل واحد منها ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ، ثم لا يعرف ما غاب ، ولا يعمل إلا على الحاضر ، وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يفت عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ، ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها ؛ مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه ، بل قد تجري على ذلك أحياناً ، والأمر المفهوم ، فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير ، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون ، والأبرار هم المحرومون ، فيؤثرون الفسق على الصلاح ؛ وترى كثيراً من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم ، كما عوجل فرعون بالغرق ، وبخت نصر بالتيه ، و بليس بالقتل ؛ وإن أهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير ، فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم ، بل يكون تأخيرهم ما أخره أو تعجيلهم ما عجّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير ؛ وإذا كانت الشواهد تشهد بقياسهم يوجب أن للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه أن يدبّر خلقه فإنه لا يصح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلا بما حدى ثلاث خلال : إما عجز ، وإما جهل ، وإما شرارة ؛ وكل هذه محال في صنعته عز وجل

(١) ساس الدواب أى قام عليها وراضها .

وتعالى ذكره وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة ، والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة ، والشرير لا يتناول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لاحالة وإن كان لا تدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإن كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه لأنها لا تعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائماً على الصواب والشاهد الملحنة . ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك ؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة ؟ وأكثر منها ما لا يحصى كثرة ، لو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية فكيف وكل ما كان فيه إدافتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء ، إلا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه ؟

بيان قوله ﷺ : للاسم الأقدم لعل المراد بالاسم المسمى ، <sup>(١)</sup> أو المراد الاسم الذي أظهره وأثبتته في اللوح قبل سائر الأسماء ، أو المراد الاسم الذي يخص الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشر فيها كما يظهر من الآثار . قوله : والغيب المحظور أي الممنوع عن غيره تعالى إلا من ارتضاه لذلك . قوله : بالعرض قال الفيروز آبادي : عرض الشيء : ظهر ، والعرض : أن يموت الإنسان من غير علة . والاجتياح : الاستيصال . قوله ﷺ : ويلذع يقال : لذعته النار أي أحرقت ، ولذعه بلسانه أي أوجعه بكلام ،

(١) المراد بالاسم هو المسمى لكن لا كما ذكره رحمه الله وأراد بالمسمى الذات بل كما تدل عليه الاختيار الآتية في أبواب الأسماء الحسنی تحكى عن المصداق المناسب لها ونفس المصداق اسم للذات عزت أسماؤه وأن الأسماء الملفوظة في الحقيقة أسماء الأسماء ، لكنه رحمه الله عد هذه الأخبار من التشابهات ولذلك تكلف في أمثال هذه الموارد بباتكاف ؛ وأما المعنيان الاخران فواضح الفساد كيف والامام عليه السلام يوصف هذا الاسم بقوله : ذي الجلال والاكرام .... بعد عطف قوله : والنور الاعظم عليه ؛ فتأمل فيه . ط

وفي بعض النسخ باهمال الأول وإعجام الثاني من لدغ العقرب ، ويقال : رثيت لفلان أي رقت له . والمضن محرّكة : وجع المصيبة . قوله عليه السلام : إذا كان يكون غير محمود يمكن أن يقرأ إذا بالتونين وبدونها ، وعلى الثاني يكون خبر كان محذوفاً أي إذا كان الإنسان كذلك .

ثم أعلم أنه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة في السؤال على غير المعنى المشهور الذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئمة عليهم السلام بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الذي لم يبق معه اختيار ، ولذا فرّع عليه السلام عليه عدم استحقاق الثواب ، وإلا فالعصمة التي اتصفت بها الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا ينافي ذلك كما سنحققه في مقامه إن شاء الله تعالى . ويمكن أن يقال - على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً - بأنه إذا صار هذا عاماً في جميع البشر لا يتأتى في بعض المواد التي لا تستحق ذلك من نفوس الأشرار والفجار إلا بالإلجاء الراجع للاستحقاق . قوله عليه السلام : إلى غاية الكلب والضراوة قال الجوهري : دفعت عنك كلب فلان أي شره وأذاه ، والكلب أيضاً شبيه بالجنون . وقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة أي تعود . أقول : لما كان السؤال مبنياً على فرض العصمة ظاهراً فتصحیح هذا الجواب في غاية الإشكال وخطر بالبال وجوه :

الأول : أن لا يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة بل يكون المراد أنه لما ذكرت أن العصمة تنافي الاستحقاق فنقول : لم لم يبذل لهم الثواب على أي حال بأن يكلفهم العمل ليستحقوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلا أعطاهم من غير استحقاق ؟ إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق فلا يكون عليهم في الدنيا والآخرة سخط على المخالفة ، وعلى هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال كما لا يخفى .

الثاني : أن يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة في بعضهم وهم الذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق ، ويكون حاصل الجواب أنه لو كان المجبور على الخيرات مثاباً فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال وإلا لكان له الحجة على ربه بأنك لم تعصمني كما عصمت غيري ، ومنعت عني اللطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثم تعذّبتني على المعاصي ،

فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعي النفسانية إلى غاية الفساد ، وهذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طي بعض المقدّمات .

الثالث : أن يكون السؤال مبنياً على ذلك الفرض أيضاً لكن يكون الجواب مبنياً على أنه قد يستلزم المحال نقيضه ، إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمّى بالإنسان الذي اقتضت الحكمة أن يكون قدر كُتبت فيه أنواع الشهوات والدواعي فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً وملكاً وهما لا يجتمعان ، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعوه عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر و البطر وأنواع المعاصي ، و حاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأوّل إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللطف والدقّة .

والردع : الكفّ والمنع . وقوله : يغتبطون على البناء للفاعل من الاعتبار وهو حسن الحال بحيث يتمنّى غيره حاله . والحضّ : الحثّ والتحريض . وتمحيص الأوزار : تنقيصها أو إزالتها . قوله ﷺ : فإن قال : و لم يحدث على الناس ؟ أقول : لمّا كان آخر الكلام موهماً لأنّ هذه الأمور بعد حدودها يصيّرّها الله تعالى إلى الحكمة والصالح سأل : ثانياً ما السبب في أصل الحدود حتّى يحتاج إلى أن يجعله الله صالحاً ؟ ويحتمل أن يكون مراده أنا علمنا أنّ في وجودها صلاحاً فهل في عدمها فساد ؟ والجواب على التقديرين ظاهر . وقال الفيروز آبادي : عوز الشيء كفرح : لم يوجد ، وأعوزه الشيء . احتاج إليه ، والدهر أحوجه . وقال : تناشبوا : تضاموا وتعلّق بعضهم ببعض ، ونشبه الأمر كلزم زنة ومعنى . وقال : افرجوا عن الطريق والقتيل : انكشفوا ، وعن المكان : تركوه . انتهى . والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريد . قوله ﷺ : ولا سلا عن شيء أي لا ينسى ويتسلّى عن شيء من المصائب إذ بتذكّر الموت تزول شدة المحن ، من قولهم : سلا عن الشيء أي نسيه . وقال الجوهرى : بزّه يبرّه بزاً : سلبه ، وفي المثل من عزّ بز أي من غلب أخذ السلب . وقال : سامه خسفاً وخسفاً بالضم أي أولاه ذلاً . وقال الفيروز آبادي : لمع بيده : أشار . وقال تفاقم الأمر : عظم . قوله ﷺ : وبخت نصر باليه أقول : لعله إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أن ملكاً من الملائكة لطم بخت نصر لطمته

ومسخره وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ، ثم ردّه الله تعالى إلى صورة الإنسان وأعاد إليه ملكه فلمّا عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلمانّه ؛<sup>(١)</sup> وقيل في سبب قتله : إنّ الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتّى يدقّ رأسه فمات من ذلك . وبلييس غير معروف عند المؤرّخين . والتطاؤل هنا مبالغة في الطول بمعنى الفضل والإحسان . ودخلة الرجل مثلثة : نيته ومذهبه وجمع أمره وبطائنه . قوله **فَلْيَلْزَمُوا** : والشاهد المحنة أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب .

و اعلم يا مفضل إنّ اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم «قوسموس»<sup>(٢)</sup> وتفسيره «الزينة» وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلّا لما رأوا فيه من التقدير والنظام ؛ فلم يرضوا أن يسمّوه تقديرأ ونظاماً حتّى سمّوه زينة ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء .

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون صناعة الطبّ بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ، ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئاً منه مهملاً . بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة حتّى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا أسننتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا . بل العجب من المخذول «ماني» حين ادّعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتّى نسبته إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحليم الكريم . وأعجب منهم جميعاً المعطّلة الذين راموا أن يدرك بالحسّ ما لا يدرك بالعقل فلمّا أعوزهم<sup>(٣)</sup> ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب فقالوا : ولم لا يدرك بالعقل ؛ قيل : لأنّه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فإنّك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأنّ العقل هو الذي يميّزه فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه ؛ أفلا ترى كيف وقف البصر

(١) سنشيد أن شاء الله إلى ما في هذا النقل من الاختلاط والوهن .

(٢) وفي نسخة : فرسوس .

(٣) أعوزهم أي أعجزه وصعب عليه نيله .

على حدّه فلم يتجاوزّه ؛ فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقرّ أن فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواسّ ، وعلى حسب هذا أيضاً نقول : إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته .

فإن قالوا : فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به ؟ قيل لهم : إنّما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه ، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أنّ الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير ، أبيض هو أم أسمر<sup>(١)</sup> ، وإنما يكلفهم الإذعان بسلطانه والانتهاه إلى أمره ؛ ألا ترى أنّ رجلاً لو أتى باب الملك فقال : أعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّي معرفتك<sup>(٢)</sup> ، وإلا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه العقوبة ، فكذا القائل : إنّّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّض لسخطه .

فإن قالوا : أوليس قد نصفه فنقول : هو العزيز الحكيم الجواد الكريم ؛ قيل لهم : كلّ هذه صفات إقرار ، وليست صفات إحاطة ، فإنّا نعلم أنّه حكيم ولانعلم بكنهه ذلك منه ،<sup>(٣)</sup> وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه ، بل فوق هذا المنال بما لا نهاية له لأنّ الأمثال كلّها تقصر عنه ولكنّها تقود العقل إلى معرفته .

فإن قالوا : ولم يختلف فيه ؟ قيل لهم : لقصر الأوهام عن مدى عظمتها<sup>(٤)</sup> وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته ، وإنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك ومادونه ، فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ، ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم : هو فلك أجوف مملوء ناراً ، له فمٌ يجيش بهذا الوهج والشعاع ؛ وقال آخرون : هو سحابة ؛ وقال آخرون : هو جسم زجاجي يقبل نارياً في العالم ويرسل عليه شعاعها ؛ وقال آخرون : هو صفو

(١) السمرة : لون بين السواد والبياض .

(٢) قصي واستقصى المسألة : بلغ النهاية في البحث عنها .

(٣) وفي نسخة : ولا يحيط بكنهه ذلك منه .

(٤) المدى : الغاية والمنتهى .

لطيف ينعم من ماء البحر؛ وقال آخرون : هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار؛ وقال آخرون : هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع . ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم : هي بمنزلة صفيحة عريضة ؛ وقال آخرون : هي كالكرة المدحرجة . وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء ؛ وقال آخرون : بل هي أقل من ذلك ؛ وقال آخرون : هي أعظم من الجزيرة العظيمة . وقال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة . ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، وإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدررها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم ؟ .

فإن قالوا : ولم استتر؛ قيل لهم : لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور ، وإنما معنى قولنا : استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام ، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر .  
فإن قالوا : ولم لطف ؟ - وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مبائناً لكل شيء ، متعالياً عن كل شيء ؛ سبحانه وتعالى .

فإن قالوا : كيف يعقل أن يكون مبائناً لكل شيء متعالياً ؟ قيل لهم : الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه : فأولها أن ينظر أوجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره . والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته ؛ والرابع أن يعلم لماذا هو لا يسهة علة ؟ فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط . فإذا قلنا : كيف وما هو ؟ فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به ؛ وأما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ؛ ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ماهي وكيف هي ، وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة .



فإن قالوا : فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كأنه غير معلوم ؛ قيل لهم : هو كذلك من جهة إضرار العقل معرفة كنهه والإحاطة به ، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدلل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد ، وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد ، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد ومستور بذاته .

فأما أصحاب الطبائع فقالوا : إن الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه تمام الشيء في طبيعته ، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك <sup>(١)</sup> . فقيل لهم : فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلامجاوزة لها ، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب ؛ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقرّوا بما أنكروا لأن هذه هي صفات الخالق ، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل لخالق الحكيم .

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق ، وكان مما احتجّوا به هذه الآفات التي تلد غير مجرى العرف والعادة كالإنسان يولد ناقصاً أو زاعداً إصبغاً ، أو يكون المولود مشوهاً <sup>(٢)</sup> مبطل الخلق ، فجعلوا هذا دليلاً على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير ، بل بالعرض كيف ما اتفق أن يكون . وقد كان أرسطاطاليس ردّ عليهم فقال : إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها ، وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً .

و أنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس ، فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلّة تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين ، كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك <sup>(٣)</sup>

(١) وفي نسخة : وزعموا أن المحنة تشهد بذلك .

(٢) أي مقبهاً .

(٣) عاقه يعوقه عن كذا : صرفه وثبطه وأخره عنه . والمائق : كل ماعاقلك وشغلك .

عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء ، فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان  
لأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوهاً ويسلم أكثرها فيأتي سوياً  
لأعلة فيه ، فكما أن الذي يحدث في بعض الأعمال الأعراض<sup>(١)</sup> لأعلة فيه لا توجب عليها  
جميعاً الإهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل  
عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق ، فقول من قال في الأشياء : إن كونها  
بالعرض والاتفاق من قبل أن شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ و  
خطل .

فإن قالوا : ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء ؟ قيل لهم : ليعلم أنه ليس كون  
الأشياء باضطراب من الطبيعة ، ولا يمكن أن يكون سواء كما قال قائلون ، بل هو تقدير  
وعمد من خالق حكيم ، إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ،  
ويزول أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة  
إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها تبارك الله أحسن الخالقين .

يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك ، وكن لربك من الشاكرين ولا لآله  
من الحامدين ، ولأولياؤه من المطيعين ، فقد شرحت لك من الأدلة على الخلق والشواهد  
على صواب التدبير والعمد قليلاً من كثير ، وجزءاً من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به .  
فقلت : بمعوتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله ؛ فوضع يده على صدري فقال :  
احفظ بمشيئة الله ولا تنس إن شاء الله .

فخررت مغشياً عليّ فلما أفقت قال : كيف ترى نفسك يا مفضل ؟ فقلت : قد  
استغنيت بمعونة مولاي وتأيدته عن الكتاب الذي كتبت ، وصار ذلك بين يدي كأنما  
أقرأه من كفتي ، ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه .

فقال : يا مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسا لقي إليك  
من علم ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله بينهما ، وفيهما من عجائب خلقه و  
أصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى ، وسائر الخلق من

(١) وفي نسخة : فكما أن الذي يحدث في بعض الأعمال للأعراض .

الجنّ والإِنس إلى الأرض السابعة السفلى وماتحت الثرى حتّى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء ؛ انصرف إذاشئت مصاحباً مكلّواً<sup>(١)</sup> فأنت ممّا بالمكان الرفيع ، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ، ولا تسألن عمّا وعدتك حتّى أحدث لك منه ذكراً .

قال المفضّل : فانصرفت من عند مولاي بمالم ينصرف أحد بمثله .

بيان : جاش البحر والتدرو غيرهما يجيش جيشاً : غلا . قوله ﷺ : قال : أصحاب الهندسة أقول : المشهورين متأخريهم أن جرم الشمس مائة وستة وستون مثلاً وربيع و ثمن لجرم الأرض ، وما ذكره ﷺ لعلمه كان مذهب قدمائهم مع أنه قريب من المشهور ، والاختلاف بين قدمائهم ومتأخريهم في أمثال ذلك كثير . قوله ﷺ : الحقّ الذي أي الأمور الحقّة الثابتة التي تطلب معرفتها من بين الأشياء . وفي بعض النسخ لحقّ أي ما يحقّ وينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه . وقال الجوهري : قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط أي الحين بعد الحين . والصدى بالفتح : العطش .

ثمّ أعلم أنّ بعض تلك الفقرات تؤمّي إلى تجرّد النفس ، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين .<sup>(٢)</sup>

(١) أي محفوظاً .

(٢) بل إلى وجود أمور أخرى غير النفس مجردة كما يشعر به قوله : وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة ومنه يظهر أن وصف شيء بأنه روحاني أو لطيف في الأخبار يشعر بتجرّده . ط

### ﴿باب ٥﴾

الخبر المروى عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالاهليلجة

حدثني حرز بن سعيد النحوي بدمشق قال : حدثني محمد بن أبي مسهر<sup>(١)</sup> بالرملة ، عن أبيه ، عن جده قال : كتب المفضل بن عمر الجعفي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، يعلمه أن أقواماً ظهرُوا من أهل هذه الملة يمجّدون الربوبية ، ويجادلون على ذلك ، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم ، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم . فكتب أبو عبد الله عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد وفقنا الله وإياك لطاعته ، وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته ؛ وصل كتابك تذكريه ما ظهر في ملتنا ، و ذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبية قد كثرت عدّتهم واشتدّت خصومتهم ، وتساءل أن أصنع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ، ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة فكان من نعمه العظام وآلائه الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته ، وأخذهم ميثاقهم بمعرفته ، وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور ، ولم يدع لهم وللشيء من خلقه حاجة إلى من سواه ، واستغنى عنهم ، وكان الله غنيّاً حميداً . ولعمري ما أتي الجهّال من قبل ربّهم وأنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيّنات في خلقهم ، وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المتقن الدالّ على الصانع ، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي ، وسهلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الأهواء على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم ، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . والعجب من مخلوق يزعم أن الله يخفي على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يهر عقله ، وتأليف يبطل حجّته<sup>(٢)</sup>

(١) وفي نسخة : محمد بن أبي مشتهر .

(٢) وفي نسخة : وتأليف يبطل جوده .

ولعمري لو تفكرت في هذه الأمور العظام لعينوا من أمر التركيب البين ، ولطف التدبير الظاهر ، ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن ، ثم تحولها من طبيعة إلى طبيعة ، وصنعة بعد صنعة ، ما يدركهم ذلك على الصانع فإنه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدل على أن له خالقاً مدبراً ، وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم .

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار ، وذلك أنه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند ، وكان لا يزال ينازعني في رأيه ، ويجادلني على ضلالتة ، فبينما هو يوماً يدق إهليلجة ليخلطها دواءً احتجت<sup>(١)</sup> إليه من أدويته ، إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت وأخرى تسقط ، نفس تولد وأخرى تلتف ، وزعم أن انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لا يثبت لي عليها ، ولا حجة لي فيها ، وأن ذلك أمر أخذه الآخر عن الأول ، والأصغر عن الأكبر ، وأن الأشياء المختلفة والمؤلفة والباطنة والظاهرة إنما تعرف بالحواس الخمس : نظر العين ؛ وسمع الأذن ؛ وشم الأنف ؛ وذوق الفم ؛ ولمس الجوارح ؛ ثم قاد<sup>(٢)</sup> منطقته على الأصل الذي وضعه فقال : لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدي إلى قلبي ، إنكاراً لله تعالى .

ثم قال : أخبرني بهم تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته ، و إنما يعرف القلب الأشياء كلها بالدلالات الخمس التي وصفت لك ؛ قلت : بالعقل الذي في قلبي ، والدليل الذي أحتج به في معرفته .

قال : فأنتي يكون ما تقول وأنت تعرف أن القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواس الخمس ؛ فهل عاينت ربك ببصر ، أو سمعت صوته بأذن ، أو شممتة بنسيم ، أو ذقتة بفم ، أو مسسته بيد فأدركت ذلك المعرفة إلى قلبك ؛ قلت : أرايت إذا أنكرت الله وجحدته<sup>(٣)</sup>

(١) وفي نسخة : احتاج .

(٢) قاد الدابة : مشى أمامها آخذاً بقيادتها .

(٣) وفي نسخة : إذا أنكرت الله وجحدته .

— لَأَنْتَكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَحْسَبُهُ بِحَوَاسِّكَ الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا الْأَشْيَاءَ — وَأَقَرَرْتُ أَنَا بِهِ هَلْ  
بَدَأْتُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا صَادِقًا وَالْآخَرُ كَاذِبًا؟ قَالَ : لَا .

قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكَ فَهَلْ يَخَافُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا أَخَوْفُكَ بِهِ مِنْ عِقَابِ  
اللَّهِ؟ قَالَ : لَا .

قُلْتُ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَمَا أَقُولُ وَالْحَقُّ فِي يَدِي أَلَسْتُ قَدْ أَخَذْتُ فِيمَا كُنْتُ أَحَازِرُ  
مِنْ عِقَابِ الْخَالِقِ بِالثِّقَةِ وَأَنْتَكَ قَدْ وَقَعْتَ بِبُجُودِكَ وَإِنْكَارِكَ فِي الْهَلَكَةِ؟ قَالَ : بَلَى .  
قُلْتُ : فَأَيُّنَا أَوْلَى بِالْحَزْمِ وَأَقْرَبُ مِنَ النِّجَاةِ؟ قَالَ : أَنْتَ ، إِلَّا أَنْتَكَ مِنْ أَمْرِكَ  
عَلَى ادِّعَاءٍ وَشَبْهَةٍ ، وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ وَثِقَةٍ ، لَأَنْنِي لَا أَرَى حَوَاسِّ الْخَمْسِ أَدْرَكَتَهُ ، وَ مَا  
لَمْ تَدْرِكْهُ حَوَاسِّ فُلَيْسَ عِنْدِي بِمَوْجُودٍ .

قُلْتُ : إِنَّهُ مُلَمَّعًا عَجَزَتْ حَوَاسِّكَ عَنْ إدْرَاكِ اللَّهِ أَنْكَرْتَهُ ، وَأَنَا مُلَمَّعًا عَجَزَتْ حَوَاسِّ  
عَنْ إدْرَاكِ اللَّهِ تَعَالَى صَدَّقْتَ بِهِ .

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَرَى فِيهِ أَنْ تَرْتَكِبَ لَجَسْمٍ ، أَوْ وَقَعَ  
عَلَيْهِ بَصَرٌ لَمْ يَلْمَسْ أَدْرَكَتَهُ إِلَّا بِصَارُونَا لَتِهِ الْحَوَاسِّ فَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لَا تَبْهَلُ لَا يَشْبَهُ الْخَلْقُ ،  
وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَنْتَقِلُ بِتَغْيِيرِ زَوَالٍ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَشْبَهَ التَّغْيِيرَ وَالزَّوَالَ فَهُوَ مِثْلُهُ ، وَلَيْسَ  
الْمَخْلُوقُ كَالْمَخَالِقِ وَلَا الْمَحْدُوثُ كَالْمُحْدِثِ .

شرح : قوله ﷺ : والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة أي النعمة التي يحمدها  
ويقرُّ بها الخاصُّ والعامُّ لنا وهو العلم ، أو النعم التي شملت الخاصَّ والعامَّ كما  
سيفصله ﷺ بعد ذلك . قوله ﷺ : ما أُنِّي الجهل أي ما أُنِّيهم الضرر والهلاك إلا  
من قبلهم . قال الفيروز آبادي : أتى كعني أشرف عليه العدو . وقال الجزري : في حديث  
أبي هريرة : في العدو أي أتى قلت أتيت . أي ذهبت وتغيَّر عليك حسَّك فتوهَّمت ما ليس  
بصحيح صحيحاً . قوله ﷺ : استحوذ الشيطان أي غلب واستولى . قوله ﷺ : و  
صنيعة أي إحسان ، ويحتمل أن يراد بها الخلق المصنوعة . قوله ﷺ : لجسم بفتح  
اللام أي أثبتة هو جسم . وكذا قوله : للون . ويدلُّ على أنَّ التركيب الخارجي إنما  
يكون في الجسم وأنَّ المبصر بالذات هو اللون . قوله ﷺ : أشبه التغيُّر أي المتغيُّر ،  
أو ذا التغيُّر بتقدير مضاف .

مقن : قال : إن هذا لقول ، ولكنني لمنكر ما لم تدركه حواسي فتؤدّيه إلى قلبي ؛ فلمّا اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجّة قلت : أمّا إذ أُبَيّت إلّا أن تعتصم بالجهالة ، وتجعل المطحاجة حجّة فقد دخلت في مثل ما عبت وامتنلت ما كرهت ، حيث قلت : إنني اخترت الدعوى لنفسني لأنّ كلّ شيء لم تدركه حواسي عندي بلا شيء .

قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنّك نكمت على الادّعاء ودخلت فيه فادّعت أمراً لم تحط به خبراً ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله ، ودفعك أعلام النبوة والحجّة الواضحة وعبتها عليّ ؟ أخبرني هل أحطت بالجهات كلّها وبلغت منتهاها ؟ قال : لا . قلت : فهل رقيت إلى السماء التي ترى ؟ أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها ؟<sup>(١)</sup> أو هل خضت في غمرات البحور<sup>(٢)</sup> واخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلافاً من مدبّر حكيم عالم بصير ؟ قال : لا . قلت : فما يدريك لعل الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك .

قال : لأدري لعلّ في بعض ما ذكرت مدبراً ، وما أدري لعلّه ليس في شيء من ذلك شيء ؛ قلت : أمّا إذ خرجت من حدّ الإنكار إلى منزلة الشك فإني أرجو أن تخرج إلى المعرفة .

قال : فإنّما دخل عليّ الشك لسؤالك إياي عمّا لم يحط به علمي ، ولكن من أين يدخل عليّ اليقين بما لم تدركه حواسي ؟ قلت : من قبل إلهيلجتك هذه . قال : ذاك إذاً أثبت للحجّة ، لأنّها من آداب الطبّ الذي أذعن بمعرفته<sup>(٣)</sup> قلت : إنّما أردت أن آتيك به من قبلها لأنّها أقرب الأشياء إليك ، ولو كان شيء أقرب إليك منها لأتيتك من قبله ،<sup>(٤)</sup> لأنّ في كلّ شيء أثر تركيب وحكمة ، وشاهداً يدلّ على

(١) وفي نسخة : فدرت في أقطارها .

(٢) وفي نسخة : هل غصت في غمرات البحور .

(٣) وفي نسخة : لأنّها من أداة الطبّ الذي أدمى معرفته .

(٤) وفي نسخة : لأنّها منك من قبله .

الصنعة الدالة على من صنعها ولم تكن شيئاً ، و يهلكها حتى لا تكون شيئاً . قلت : فأخبرني هل ترى هذه إهليلجة ؟ قال : نعم . قلت : أفترى غيب ما في جوفها ؟ قال : لا . قلت : أفتشهد أنها مشتملة على نواة ولائرها ؟ قال : ما يدريني لعل ليس فيها شيء . قلت : أفترى أن خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون ؟ قال : ما أدري لعل ما ثم غير ذي لون ولا لحم . قلت : أفترى أن هذه الإهليلجة التي تسميها الناس بالهند موجودة ؟ لا اجتماع أهل الاختلاف من الأمم على ذكرها . قال : ما أدري لعل ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل ! قلت : أفترى أن الإهليلجة في أرض تنبت ؟ قال : تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها . قلت : أما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها ؟ قال : ما أدري لعله ليس في الدنيا إهليلجة غيرها . فلما اعتصم بالجهالة قلت : أخبرني عن هذه الإهليلجة أقرر أنها خرجت من شجرة ، أو تقول : إنها هكذا وجدت ؟ قال : لا بل من شجرة خرجت . قلت : فهل أدركت حواسك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة ؟ قال : لا . قلت : فما أراك إلا قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسك . قال : أجل ولكنني أقول : إن الإهليلجة والأشياء المختلفة<sup>(١)</sup> شيء لم تزل تدرك ، فهل عندك في هذا شيء ترد به قولي ؟ قلت : نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفت قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها ؟ قال : نعم . قلت : فهل كنت تعين هذه الإهليلجة ؟ قال : لا . قلت : أفما تعلم أنك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة ، ثم عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنه قد حدث فيها ما لم تكن ؟ قال ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكنني أقول : إنها كانت فيها متفرقة . قلت : فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة التي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس ؟ قال : نعم . قلت : فهل يحتمل عقلك أن الشجرة التي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاءها وكل ثمرة جنيت<sup>(٢)</sup> ، و ورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة ؟ قال : ما

(١) وفي نسخة : والأشياء المؤتلفة .

(٢) جنى الثمر : تناوله من شجرتة .



يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب . قلت : أقررت أنها حدثت في الشجرة ؟ قال : نعم و لكنني لا أعرف أنها مصنوعة فهل تقدر أن تقرّني بذلك ؟ قلت : نعم أرايت أني إن أريتك تدييراً أقرر أن له مدبراً ، وتصويراً أن له مصوراً ؟ . قال : لا بد من ذلك . قلت : ألسنت تعلم أن هذه الإهليلجة لحم ركب على عظم فوضع في جوف متصل<sup>(١)</sup> بغصن مركب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متصل بعض ببعض ؟ قال : بلى . قلت : ألسنت تعلم أن هذه الإهليلجة مصورة بتقدير وتخطيط ، وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء ، به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون ، أبيض في صفرة ، ولين على شديد ،<sup>(٢)</sup> في طبائع متفرقة ، وطرائق مختلفة ، وأجزاء مؤلفة مع لحاء تسقيها ، وعروق يجري فيها الماء ، وورق يسترها وتقيها من الشمس أن تحرقها ، ومن البرد أن يهلكها ، والريح أن تذبلها ؟<sup>(٣)</sup> قال : أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها ؟ قلت : الله أحسن تقدير لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروحها ، ولا برد يشدها ، ولعفنت عند ذلك ، ولولم يصل إليها حر الشمس لما نضجت ، ولكن شمس مرة وريح مرة وبرد مرة قد رال الله ذلك بقوة لطيفة ودبره بحكمة بالغة .

قال : حسبي من التصوير فسّر لي التدبير الذي زعمت أنك تريه . قلت : أرايت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدة ؟ قال : نعم . قلت : أرايت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخردلة في القلّة والذلّة ولم يقوّه بقوّته ويصوّره بحكمته ويقدره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل ؟ فإن زاد زاد ماءً متراكباً غير مصوّر ولا مخطّط ولا مدبّر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباق . قال : قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وسمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح

(١) وفي نسخة : موضوع على جرم متصل .

(٢) في نسخة : ولين مع لين ولين على شدة .

(٣) ذبل النبات . قل ماؤه وذهبت نضارته .

الدلالات ، وأظهر البيّنة على معرفة الصانع ، ولقد صدّقت بأنّ الأشياء مصنوعة ، و لكنّي لأدري لعلّ الإلهيلجة والأشياء صنعت أنفسها ؟ قلت : أولست تعلم أنّ خالق الأشياء والإلهيلجة حكيم عالم بما عاينت من قوّة تدبيره ؟ قال : بلى . قلت : فهل ينبغي للذي هو كذلك أن يكون حدثاً ؟ قال : لا . قلت : أفلمست قد رأيت الإلهيلجة حين حدثت وعابنتها بعد أن لم تكن شيئاً ثمّ هلكت كأن لم تكن شيئاً ؟ قال : بلى ، وإنّما أعطيتك أنّ الإلهيلجة حدثت ولم أعطك أنّ الصانع لا يكون حادثاً لا يخلق نفسه . قلت : ألم تعطني أنّ الحكيم الخالق لا يكون حدثاً ، وزعمت أنّ الإلهيلجة حدثت ؟ فقد أعطيتني أنّ الإلهيلجة مصنوعة ، فهو عزّ وجلّ صانع الإلهيلجة ، وإن رجعت إلى أنّ تقول : إنّ الإلهيلجة صنعت نفسها ودبّرت خلقها فمأزدت أنّ أقررت بما أنكرت ، ووصفت صانعاً مدبّراً أصبت صفته ، ولكذك لم تعرفه فسمّيته بغير اسمه . قال : كيف ذلك ؟ قلت : لأنّك أقررت بوجود حكيم لطيف مدبّر ، فلمّا سألتك من هو ؟ قلت : الإلهيلجة . قد أقررت بالله سبحانه ، ولكذك سمّيته بغير اسمه ، ولو عقلت وفكرت لعلمت أنّ الإلهيلجة أنقص قوّة من أن تخلق نفسها ، وأضعف حيلة من أن تدبّر خلقها .

قال : هل عندك غير هذا ؟ قلت : نعم ؛ أخبرني عن هذه الإلهيلجة التي زعمت أنّها صنعت نفسها ودبّرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة ، صغيرة القدرة ، ناقصة القوّة ، لا تمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل ؟ وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرّة قبيحة المنظر لا بهاء لها ولا ماء ؟ قال : لأنّها لم تقو إلّا على ما صنعت نفسها أولم تصنع إلّا ما هويت . قلت : أمّا إذ أبيت إلّا التماادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت ؟ فإن زعمت أنّ الإلهيلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإنّ هذا لمن أبين المحال ؛ كيف تكون موجودة مصنوعة ثمّ تصنع نفسها مرّة أخرى ؟ فيصير كلامك إلى أنّها مصنوعة مرّتين ؛ ولأن قلت : إنّها خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون إنّ هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب ؛ لأنّها قبل أن تكون ليس بشيء ، فكيف يخلق لشيء شيئاً ؟ وكيف تعيب قولي : إنّ شيئاً يصنع لا شيئاً ، ولا تعيب قولك : إنّ لشيء يصنع لاشيئاً ؟ فانظر أيّ القولين أولى بالحق ؟ قال :

قولك . قلت : فما يمنعك منه ؟ قال : قد قبلته واستبان لي حقه وصدقته بأن الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهن ، ولم يدبرن خلقهن ، ولكنه تعرّض لي أن الشجرة هي التي صنعت الإهليلجة لأنها خرجت منها . قلت : فمن صنع الشجرة ؟ قال : الإهليلجة الأخرى ! قلت : اجعل لكلامك غاية أنتهي إليها فما أن تقول : هو الله سبحانه فيقبل منك ، وإما أن تقول : الإهليلجة فنسألك .

قال : سل . قلت : أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلا بعدما ماتت وبلت وبادت ؟ قال : لا . قلت : إن الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة ، فمن كان يحميمها ويزيد فيها ، ويدبر خلقها ويربيها ، وينبت ورقها ، مالك بد من أن تقول : هو الذي خلقها ، وإن قلت : الإهليلجة وهي حية قبل أن تهلك وتبلى وتصير تراباً ، وقد ربت الشجرة وهي ميتة أن هذا القول مختلف . قال : لا أقول : ذلك . قلت : أفنقر بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك ؟ قال : إنني من ذلك على حدّ وقوف ما تدخل إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر . قلت : أمّا إذ أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا يدرك إلا بالحواس فإنني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء ، ولا فيها معرفة إلا بالقلب ، فإنه دليلها ومعرفة الأشياء التي تدعى أن القلب لا يعرفها إلا بها .

شرح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وامثلت قال الفيروز آبادي : امثل طريقته : تبعها فلم بعدها . قوله : نقت علي أي عبت وكرهت . قوله : من لحم قال الفيروز آبادي : لحم كل شيء ولحمه . قوله تلك الأرض أي أشار إلى الأرض ، وقال أقر بوجود هذه الأرض التي أرى ، والإهليلجة الواحدة التي في يدي . قوله : كانت فيها متفرقة لعله اختار مذهب إنكساغورس ومن تبعه من الدهرية القائلين بالكمون والبروز ، وأن كل شيء كامن ؛ ويؤمى إليه جوابه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في قمعها قال الفيروز آبادي : الفمع محرّكة : بشرة تخرج في أصول الأشجار ، وقال : القمع بالفتح والكسر وكعب : ما التزق بأسفل التمرة والبصرة ونحوهما انتهى . وعلى التقديرين استعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداءً في شجرها من الفشرة الرقيقة الصغيرة التي فيها ماء ، والأول أبلغ . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : غير مجموع بجسم أي هل كان يزيد بغير أن يضم إليه جسم آخر من خارج ، أو قمع آخر مثله ، أو بغير قمعه

أي قلعه وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء أويضم إلى شيء . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فإن زاد أي فإن سلم أنه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ما ذكر كانت زيادته ماءً متراكباً بعضه فوق بعض فقط كما كان أو لا بتخطيط وتصوير وتديير وتأليف إذ يحكم العقل بديهية أن مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لاتصدر عن طبيعة عادمة للشعور و الإرادة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فهل ينبغي إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أن من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لا يكون ممكناً محدثاً محتاجاً في العلم وسائر الأمور إلى غيره ، إلا أن يفيض عليه من العالم بالذات ، وهو إقرار بالصانع . قوله : ولم أعطك . غفل الهندي عما كان يلزم من اعترافه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وإن رجعت أي إن قلت : إن الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإلهيلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقررت بالصانع و سميته الطبيعة ، إذهي غير حكيم ولا ذات إرادة فقد أقررت بالصانع وأخطأت في التسمية ، والمراد أنك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت : إنه هذه الإلهيلجة فقد أقررت بما أنكرت أي نقضت قولك الأول ، وقلت بالتقيضين ، ولا تحمل لتصحيحه إلا أن تقول : سميت ما أقررت به بهذا الاسم ، وهذا لا يضرنا بعد ما تبسّر لنا من إقرارك ؛ ويحتمل أن يكون هذا كلاماً على سبيل الاستظهار في المجادلة أي إن تنزّلنا عما أقررت به من قدم الحكيم وحدوث الإلهيلجة يكفيننا إقرارك بكون الخالق حكيماً ، إذ معلوم أنها ليست كذلك ، فقد سميت الصانع الحكيم بهذا الاسم . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : مفضولة إذ ظاهراً كثيراً من المخلوقات أفضل وأشرف منها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : هو الذي خلقها أي لا بد أن يكون مربّيها هو خالقها ، فإن قلت : إن الخالق والمربّي واحد وهي الإلهيلجة خلقت عند كونها حيّة ، وربّت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلفها تدريجي ، وعند خلق أي مقدار من الشجرة لا بد من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإلهيلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار ، والخلق والتربية مزوجان لا يصلح القول بكونها حيّة عند أحدهما ميتة عند الآخر ، ويحتمل أن يكون المراد أن القول بأن الخالق والمربّي واحد والقول بأن الإلهيلجة بعد موتها ربّت متنافيان ؛ لأن موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر ، فالمربّي شيء آخر سوى الإلهيلجة . وفي بعض النسخ : وقد رأيت الشجرة . قوله :

ما أتخلص أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمرى أي حكمي ، ويمكنني أن أحكم بصحته .  
ثم لما علم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ سَبَبَ تَوَقُّفِهِ اقْتِصَارَهُ عَلَى حُكْمِ الْحَوَاسِّ يَدِينُ عَلَيْهِ أَنَّ الْحَوَاسَّ  
داخلة تحت حكم العقل ، ولا بد من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء .

ممن : فقال : أمّا إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلا باتخليص والتفحص منه بإيضاح  
وبيان وحجة وبرهان . قلت : فأول ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهب الحواس ، أو  
بعضها ودبر القلب الأشياء التي فيها المضرة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأمر  
بها ونهى فنفذ فيها أمره وصح فيها قضاؤه .

قال : إنك تقول في هذا قولاً يشبه الحجة ، ولكنني أحب أن توضحه لي غير هذا  
الإيضاح . قلت : أأست تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس ؟ قال : نعم ولكن يبقى  
بغير دليل على الأشياء التي تدل عليها الحواس قلت : أفأست تعلم أن الطفل تضعه أمه  
مضغة ليس تدلّه الحواس على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذوق ولا يلمس ولا يشم ؟ قال :  
بلى . قلت : فأية الحواس دلته على طلب اللبن إذا جاع ، والضحك بعد البكاء إذا روى  
من اللبن ؟ وأي حواس سباع الطير ولاقط الحب منها دلها على أن تلقي بين أفراسها  
اللحم والحب فتتهوى سباعها إلى اللحم ، والآخرون إلى الحب ؟ وأخبرني عن فراخ طير  
الماء أأست تعلم أن فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت ، وإذا طرحت فيه فراخ طير البر  
غرقت والحواس واحدة ، فكيف انتفع بالحواس طير الماء وأعانتة على السباحة ولم تنتفع  
طير البر في الماء بحواسها ؟ وما بال طير البر إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت  
طير الماء عن الماء ساعة ماتت ؟ فلا أرى الحواس في هذا إلا منكسرة عليك ، ولا ينبغي ذلك  
أن يكون إلا من مدبر حكيم جعل للماء خلقاً وللبير خلقاً .

أم أخبرني ما بال الذرة التي لاتعاین الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح ، وتلقى  
الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعظمهم لم يتعلم السباحة فيغرق ؟ كيف لم  
يدلّه عقله ولبته وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسه وصحته أن يدرك ذلك  
بحواسه كما أدركته الذرة إن كان ذلك إنما يدرك بالحواس ؟ أفليس ينبغي لك أن  
تعلم أن القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفته وغيره مما سمعت من الحيوان

هو الذي يهيج الصبي إلى طلب الرضاع ، والطير اللاقط على لقط الحب ، والسباع على ابتلاع اللحم ؟.

قال : لست أجِد القلب يعلم شيئاً إلا بالحواس ! قلت : أمّا إذ أُبِت إلا النزوع إلى الحواس فأنا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ، ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلا الظاهر ممّا هودون الرب الأعلى سبحانه وتعالى ، فأما ما يخفى ولا يظهر فليست تعرفه ، وذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتج به على العباد ، وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدل بها على الخالق سبحانه ، فنظرت العين إلى خلق متصل بعضه ببعض فدلت القلب على ما عاينت ، وتفكر القلب حين دلته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يري ، ولادعائم تمسكها لتؤخر مرة فتتكشط ، ولاتقدم أخرى فتزول ، ولاتنهبط مرة فتدنو ، ولاترتفع أخرى فتناى ،<sup>(١)</sup> لاتتغير لطول الأمد ولاتخلق<sup>(٢)</sup> لاختلاف الليالي والأيام ، ولاتتداعى منها ناحية ، ولانهار منها طرف ، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك ، وتنقلها في البروج يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، منها السريع ، ومنها البطيء ، ومنها المعتدل المسير ، ثم رجوعها واستقامتها ، وأخذها عرضاً وطولاً ، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت ، وجري الشمس والقمر في البروج دائمين لا يتغيران في أزمنتهم وأوقاتهم يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوا الأبواب أنها ليست من حكمة الإنس ، ولاتفتيش الأوهام ، ولاتقليب التفكر ، فعرف القلب حين دلته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوى إلى الأرض وأن الذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء ، ثم نظرت العين إلى ما استقلها من الأرض فدلت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممتدة<sup>(٣)</sup> أن تزول أو تهوى في الهواء - وهو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفة على

(١) أى فتبعد . وفي نسخة : فتناى فلا ترى .

(٢) أى لا تبلى ولا تترث .

(٣) وفي نسخة : أن ممسك الأرض المسهدة .

ماهي عليه - هو الذي يمسك السماء التي فوقها ، وأنه لولا ذلك لخشفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال ، فعرف القلب بدلالة العين أن مدبر الأرض هو مدبر السماء . ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة والميمنة الطيبة ، وعانيت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان ، وتسفى<sup>(١)</sup> من ثقال الرمال ، تخلى منها ناحية وتصبها في أخرى ، بلا سائق تبصره العين ، ولا تسمعه الأذن ، ولا يدرك بشيء من الحواس ، وليست مجسمة تلمس ولا محدودة تعين ، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دلّت القلب أن لها صانعاً ، وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه ، فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها وأنها لو كانت هي المتحركة لم تكف عن التحرك ، ولم تهدم طائفة وتعفى أخرى<sup>(٢)</sup> ، ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها ، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أن لها محرّكاً هو الذي يسوقها حيث يشاء ، ويسكنها إذا شاء ، ويصيب بها من يشاء ، و يصرفها ممن يشاء ، فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متصلة بالسماء ، وما فيها من الآيات فعرف أن المدبر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء ، و ممسكها كيف شاء ، و مسلطها على من يشاء . وكذلك دلّت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة ، وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حرّكه فلما دلّ الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها ، وطولها وعرضها ، وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك ، وإنما تتحرك في ناحية ولم تتحرك في ناحية أخرى<sup>(٣)</sup> وهي ملتحمة جسداً واحداً ، وخلقاً متصلاً بلا فصل ولا وصل ، تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى ؛ فعندها عرف القلب أن محرّك ما حرّك منها هو ممسك ما أمسك منها ، وهو محرّك الريح و ممسكها ، وهو مدبر السماء والأرض وما بينهما ، وأن الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت و لما تحركت ، ولكنه الذي دبّرهما وخلقها حرّك منها ما شاء . ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب

(١) سفت وأسفت الريح التراب : ذرته أو حملته .

(٢) عفت الريح المنزل : درسته ومحته . ويمكن أن يكون من أعفى إعفاء أى تركه .

(٣) وفي نسخة : و إنما تحرك ناحية وتمسك من أخرى .

المستخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض و  
 الجبال ، يتخلل الشجرة فلا يحرّك منها شيئاً ، ولا يهصر منها غصناً ، ولا يعلّق منها بشيء  
 يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ، ويحتمل من ثقل الماء و  
 كثرتة ما لا يقدر على صفته ، مع ما فيه من الصواعق الصاعدة ، والبروق اللامعة ، والرعد  
 والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه ، فيخرج  
 مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه<sup>(١)</sup> ويلتحم بعد تزايله ، تفرّقه الرياح<sup>(٢)</sup> من الجهات  
 كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها ، يسفل مرّةً ويعلو أخرى ، متمسك بما فيه من  
 الماء الكثير الذي إذا أجزاه<sup>(٣)</sup> صارت منه البحور ، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان  
 الملتئمة لا تنقص منه نقطة ،<sup>(٤)</sup> حتّى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفرائخ فيرسل ما فيه قطرةً  
 بعد قطرة ، وسيلاً بعد سيل ، متتابع على رسله حتّى ينقع البرك<sup>(٥)</sup> وتمتلئ الفجاج ، و  
 تعلى الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها ، مصمخة الأذان لدويها و  
 هديرها<sup>(٦)</sup> فتحبى بها الأرض الميتة ، فتصبح مخضرة بعد أن كانت مغبرة ، ومعشبة بعد  
 أن كانت مجدبة ، قد كسبت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشاً للناس و  
 الأنعام ، فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يدري أين توارى ،  
 فأدّت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أن ذلك السحاب لو كان بغير مدبر وكان ما  
 وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء ، وإن كان هو الذي يرسله  
 لما احتمله ألقي فرسخ أو أكثر ، ولا أرسله فيما هو أقرب من ذلك ، ولما أرسله قطرة بعد  
 قطرة ، بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنين ويفسد النبات ، ولما جاز إلى بلد و

(١) وفي نسخة : ينفجر بعد تمسكه .

(٢) وفي نسخة : تصفقه الرياح .

(٣) أجزاه أى دفعه برفق .

(٤) وفي نسخة : لا تقطر منه قطرة .

(٥) بكسر الباء ، وفتح الراء جمع بركة : مستنقع الماء ، الحوض .

(٦) وفي نسخة : ومصممة الإذان لدويها وهديرها .



ترك آخر دونه ؛ فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أن مدبر الأمور واحد ، وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور ، ولتأخر بعض وتقدم بعض ، ولكان تسفل بعض ماقدعلا ، ولعلا بعض ما قد سفل ، ولطلع شيء وغاب فتأخر عن وقته أو تقدم ما قبله فعرف القلب بذلك أن مدبر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو الله الأول ، خالق السماء وممسكها ، وفارش الأرض وداحيها ، وصانع ما بين ذلك مما عدّ دنا وغير ذلك مما لم يحص .

وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائمين جديدين لا يلبيان في طول كثرهما ، ولا يتغيّران لكثرة اختلافهما ، ولا ينقصان عن حالهما ، النهار في نوره وضياؤه ، والليل في سواده وظلمته ، يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد ، مع سكون من يسكن في الليل ، وانتشار من ينتشر في الليل ، وانتشار من ينتشر في النهار ، وسكون من يسكن في النهار ، ثم الحرّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى يكون الحرّ برداً ، والبرد حرّاً في وقته وإبانه ، فكل هذا مما يستدل به القلب على الرب سبحانه وتعالى ، فعرف القلب بعقله أن من دبر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال ، وأنه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، ولفسد كل واحد منهم على صاحبه .

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها ، وتوفيق الله إياها ، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأذنت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب .

شرح : قوله ﷺ : ربما ذهب الحواس إماماً بالنوم كما سيأتي أوبآفة فإن العقل لا محالة يدلّه على أن يشير إلى بعض ما يصلحه ، ويطلب ما يقيمه بأي وجه كان ، على أن ذهاب الحواس الخمس لا ينافي بقاء النطق . قوله ﷺ : إلا النزوع إلى الحواس أي الاشتياق إليها ، والحاصل أننا نوافقك ونستدل لك بما تدلّ عليه الحواس ؛ وإن كنت رفضتها وتركيتهما وسلمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول : إن حكم

العقل بوجود الصانع إنما هو من جهة مادته الحواس عليه ممّا نشاهده من آثار صنعه تعالى . قوله ﷺ : فننكشط الانكشاف : الانكشاف . وقوله تعالى : وإذا السماء كَشُطَّتْ<sup>(١)</sup> أي قلعت كما يقلع السقف ، ولعل المراد بالتأخير تأخير ما يحاذي رؤوسنا بحيث يرى ما وراءه ، وبالتقدم أن يتحرك جميعها حركة أبنية حتى يخرج من بينها ، ويحتمل أن يكون المراد فيهما معاً إما الأول أو الثاني ، ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاف وعن الآخر بالزوال ملخص تفنن العبارة ، وعلى التقادير المراد بالزوال الزوال عنّا وعن محاذاتنا . قوله ﷺ : ولا يتداعى قال الجوهري : تداعت الحيطان للخراب أي تهدمت . وقال : انه رأي انهدم . قوله ﷺ : ثم رجوعها إشارة إلى ما يعرض للمتحيّرة من الرجعة والاستقامة والإقامة . وقوله ﷺ : وأخذها عرضاً وطولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدل ، وتارة عن شمالها ، وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج وتارة عن شمالها ، وإلى حركة المائل في السفليين وعرض الورداب والانحراف والاستواء فيهما ،<sup>(٢)</sup> وإلى ميل الذروة والحضيض في المتحيّرة . وخنوسها : غيبتها واستتارها تحت شعاع الشمس . قوله ﷺ : المنطقة أي المحيطة بجميع الخلق ، وفي بعض النسخ المظلة . واستقلها أي حملها ورفعها . قوله ﷺ : متصلة بالسماء أي داخله في ذلك النظام شبيهة بها فيه . قوله ﷺ : يلمس بشيء لعل المراد الاصطكاك الذي يحصل منه صوت ، وفي بعض النسخ كشيء ، ويحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشيء . وقال الفيروز آبادي : الهصر : الجذب . والإمالة . والكسر . والدفع . والإدناء . وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة . وقال : الجليد : ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد . انتهى . وقوله ﷺ : أزجاء أي دفعه . والرسل بالكسر : التأنّي والرفق . وينقع بالياء على المعلوم أو بالتاء على المجهول . والبرك كعنب جمع بركة وهي معروفة . والفجاج بالضم : الطريق الواسع بين جبلين ، وبالكسر جمع الفج بمعناه . والاعتلاء : الارتفاع . وقوله ﷺ : غاصّة أي ممثلة . والمصمخة لعلها مشتقة من الصماخ أي

(١) التكوير : ١١ .

(٢) في نسخة : وعرض الورداب والانحراف والالتواء فيهما .

تؤدّي الصماخ ؛ و الأظهر مصممة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : من نبات بالإضافة على أن يكون مصدراً ، أو بالتثنية ليعكون عشب بدل بعض له . والإقلاع عن الأمر : الكف عنه . و الكر : الرجوع . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : مع سكون من يسكن في الليل أي جعل في معظم المعمورة طول كل منهما وقصر على حد محدود لا يتجاوزه لئلا تفوت مصلحة كل منهما من السكون في الليل والانتشار في النهار ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول الليل والنهار . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وانتشار من ينتشر في الليل كالخفاش والبعوضة وسائر ما ينتشر في الليل من الهوام ، وكالخائف والمسافر الذي تصلحه حركة الليل . قوله : إذا لذهب أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ؛ ووقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين وهذا شأن الناقص ؛ ويحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة الممكنة التي جعلوها شريكاً للواجب تعالى شأنه ؛ وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد . وفي بعض النسخ هكذا : « ولعل بعضهم على بعض ، ولا فسد كل واحد منهم على صاحبه ، وكذلك سمعت الأذن ما أنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقاً لما أدر كته العقول بتوفيق الله إياها وعونه لها إذا أرادت ما عنده أنه الأول لاشبهه له ، ولا مثل له ، ولا ضد له ، ولا تحيط به العيون ، ولا تدركه الأوهام كيف هو لأنه لا كيف له وإنما كيف للمكيف المخلوق المحدود المحدث غير أننا نوقن أنه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله أنه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً ، ولو كان ناقصاً ما خلق الإنسان واختلفت التدابير وانتقضت الأمور ، مع النقص الذي يوصف به الأرباب المتفردون والشر كاه المتعانتون . قال : قد أتيتني . »

مقن : فقال : قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلا أنه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلا الإيضاح والحجة القويّة بما وصفت لي وفسرت . قلت : أمّا إذا حجبت عن الجواب <sup>(١)</sup> واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصة ما يستبين لك أن الحواس لا تعرف شيئاً إلا بالقلب ؛ فهل رأيت في المنام أنك تأكل

(١) في نسخة : أما إذ حجبت عن الجواب .

و تشرب حتى وصلت لذّة ذلك إلى قلبك ؟ قال : نعم . قلت : فهل رأيت أنك تضحك وتبكي وتجول في البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها ؟ قال : نعم مالا أحصي . قلت : هل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قدماء قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت ؟ قال : أكثر من الكثير . قلت : فأخبرني أيّ حواسك أدرك هذه الأشياء في منامك حتى دلت قلبك على معاناة الموتى وكلامهم ، وأكل طعامهم ، والجولان في البلدان ، والضحك والبكاء وغير ذلك ؟ قال : ما أقدر أن أقول لك أيّ حواسي أدرك ذلك أو شيئاً منه ، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر ؟ قلت : فأخبرني حيث استيقظت ألسنت قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه وتقصّه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً ؟ قال : إنه كما تقول وربما رأيت الشيء في منامي ثم لأمسي حتى أراه في يقظتي كما رأيت في منامي . قلت : فأخبرني أيّ حواسك قرّرت علم ذلك في قلبك حتى ذكرته بعد ما استيقظت ؟ قال : إن هذا الأمر ما دخلت فيه الحواس . قلت : أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواس في هذا أن الذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتجّ به على العباد ؟ قال : إن الذي رأيت في منامي ليس بشيء إنما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشك فيه أنه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة ! .

قلت : كيف شبّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض ، وما رأيت من الفرح والحزن ؟ قال : لأن السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء ، وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتهيت ! قلت : فأخبرني إن أتييتك بأمر وجدت لذّته في منامك وخفق لذلك قلبك ألسنت تعلم أن الأمر على ما وصفت لك ؟ قال : بلى .

قلت : فأخبرني هل احتملت قطّ حتى قضيت في امرأة نهمتك <sup>(١)</sup> عرفتها أم لم تعرفها ؟ قال : بلى مالا أحصي . قلت : ألسنت وجدت لذلك لذّة على قدر لذّتك في يقظتك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة ، هذا كسر لحجّتك في السراب . قال : ما يرى المحتمل في منامه شيئاً إلا ما كانت

(١) قضى منه نهمته أي شهوته .

حواسه دلت عليه في اليقظة . قلت : ما زدت على أن قويت مقالتي ، وزعمت أن القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف أنكرت أن القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسه ، وما الذي عرفه إياها بعد موت الحواس وهو لا يسمع ولا يبصر ؟ ولكنك حقيقةً أن لا تنكر له المعرفة وحواسه حيّة مجتمعة إذا أقررت أنه ينظر إلى المرأة بعد ذهاب حواسه حتى نكحها وأصاب لذته منها ؛ فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواس ذاهبة أن يعرف أن القلب مدبر الحواس ومالكها ورئيسها<sup>(١)</sup> والقاضي عليها ، فإنه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تقلعها ، ولا على اللسان أن تقطعه ، وأنه ليس يقدر شيء من الحواس أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب ودلالته و تدبيره لأن الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبر الجسد ، به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمر عليه ؛ لا يتقدم الجسد إن هو تأخر ، ولا يتأخر إن هو تقدم ، وبه سمعت الحواس وأبصرت ، إن أمرها ائتمرت ، وإن نهاها انتهت ، وبه ينزل الفرح والحزن ، وبه ينزل الألم ، إن فسد شيء من الحواس بقي على حاله ، وإن فسد القلب ذهب جميعاً حتى لا يسمع ولا يبصر .

قال : لقد كنت أظنك لا تتخلص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على رده . قلت : وأنا أعطيك تصديق ما أتيتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة . قال : افعل فإنني قد تحيرت في هذه المسألة . قلت : أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك ؟ قال : نعم . قلت : فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسك ؟ قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حق ؟ قال : اليقين هو ؛ فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبه من قلبي .

شرح : خفق القلب : اضطرابه . والنهمة : بلوغ الهمة في الشيء ، والنهم بالتحريك إفراط الشهوة في الطعام . أقول : قد عرفت أن القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة ، ولما كان السائل منكراً لا يدرك ماسوى الحواس الظاهرة بنبيه ﷺ على خطائه بمدركات الحواس الباطنة التي هي آلات النفس .

(١) الراس : الوالى ، فى مقابلة الرؤوس للمستولى عليه .

أقول : ذكر السيّد ابن طاووس قدس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها :

« قلت : أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم ! قلت : وما بلغ من علمهم بها ؟ فقال : إننا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكفي بهما عمّا سواهما . قلت : فأخبرني ولا تخبرني إلا بحق . قال بديني لا أخبرك إلا بحق وبما عاينت . قلت : هات .

قال : أمّا إحدى الخصلتين فإنّ ملوك الهند لا يتخذون إلا الخصيان . قلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنّ لكلّ رجل منهم منجماً حاسباً فإذا أصبح أتى باب الملك فحاسّ الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك ، وما حدث في ليلته التي كان فيها ، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره ، فقال : فلان قارف كذا وكذا مع فلانة ، ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا .

قلت : فأخبرني عن الخصلة الأخرى . قال : قوم بالهند بمنزلة الخنّاقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق و يأخذون أموالهم . قلت : وكيف يكون هذا ؟ قال : يخرجون مع الرفقة والتجّار بقدر ما فيها من الرجال فيمشون معهم أيّاماً ليس معهم سلاح ، ويحدّثون الرجال ويحسبون حساب كلّ رجل من التجّار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكز كلّ واحد منهم صاحبه الذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجّار موتي ! قلت : إن هذا أرفع من الباب الأوّل إن كان ما تقول حقّاً ! قال : أحلف لك بديني إنّه حقّ ولربّما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله . قلت : فأخبرني كيف كان هذا حتّى اطلعوا عليه ؟ قال : بحساب النجوم . قلت : فما سمعت كهذا علماً قطّ ، وما أشكّ أن واضعه الحكيم العليم ، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواسّ ولا بالعقول ولا بالفكر ؟ قال : حساب النجوم وضعته الحكماء وتوارثه الناس .<sup>(١)</sup>

(١) التي هنا انتهى ما يختص به كتاب النجوم ، ويشارك سائر النسخ من قوله : فإذا سألت الرجل منهم . . . .

متن : قلت : أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنك لغافل عن علم أهل بلادك بالنجوم فليس أحد أعلم بذلك منهم . قلت : أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي ممّا لا يدرك بالحواس ولا بالفكر ؟ قال : حساب وضعته الحكماء وتوارثته الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس ، وما للباطن من السعود ، ثم يحسب ولا يخطئ ؛ ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكل علامة فيه بغير معاينة وما هو مصيبه إلى يوم يموت . قلت : كيف دخل الحساب في مواليدهم ؟ قال : لأن جميع الناس إنما يولدون بهذه النجوم ، ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثم لا يخطئ ، إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة التي يولد فيها المولود . قلت : لقد توصفت علماً عجيباً<sup>(١)</sup> ليس في علم الدنيا أدق منه ولا أعظم إن كان حقاً كما ذكرت ، يعرف به المولود الصبي وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته ، وليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس ؟ قال : لا أشك فيه . قلت : فتعال ننظر بقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم ، وكيف عرفها بسعودها ونحوسها ، وساعاتها وأوقاتها ، ودقائقها ودرجاتها ، وبطيئها وسريعها ، ومواضعها من السماء ، ومواضعها تحت الأرض ، ودالاتها على غامض هذه الأشياء التي وصفت في السماء وما تحت الأرض ، فقد عرفت أن بعض هذه البروج في السماء ، وبعضها تحت الأرض ، وكذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض ومنها في السماء فما يقبل عقلي أن مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا . قال : وما أنكرت من هذا ؟ قلت : إنك زعمت أن جميع أهل الأرض إنما يتوالدون بهذه النجوم ، فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب يزعمك من بعض أهل الدنيا ، ولا شك إن كنت صادقاً أنه ولد ببعض هذه النجوم والساعات والحساب الذي كان قبله ، إلا أن تزعم أن ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس . قال : وهل هذا الحكيم إلا كسائر الناس ؟ قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنها قد خلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا الحساب ، وقد زعمت أنه ولد ببعض هذه النجوم ؟ قال : بلى .

(١) وفي نسخة : لقد وصفت علماً عجيباً .

قلت : فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم ؟ وهل هذا العلم إلا من معلّم كان قبلهما وهو الذي أسّس هذا الحساب الذي زعمت أنّه أساس المولود ، والأساس أقدم من المولود ، والحكيم الذي زعمت أنّه وضع هذا إنما يتبع أمر معلّم هو أقدم منه ، وهو الذي خلقه مولوداً ببعض هذا النجوم ، وهو الذي أسّس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها ، هب إن هذا الحكيم عمّر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف ، هل كان نظره في هذه النجوم إلا كنظرك إليها معلّقة في السماء أو تراه كان قادراً على الدنو منها وهي في السماء حتّى يعرف منازلها و مجاريها ، نحوسها وسعودها ، ودقائقها ، وبأيّتها تكسف الشمس والقمر ، وبأيّتها يولد كل مولود ، وأيّتها السعد وأيّتها النحس ، وأيّتها البطيئ وأيّتها السريع ، ثمّ يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها ، وأيّتها السعد وأيّتها النحس ، وكم ساعة يمكث كل نجم منها تحت الأرض ، وفي أيّ ساعة تغيب ، وأيّ ساعة تطلع ، وكم ساعة يمكث طالعاً ، وفي أيّ ساعة تغيب ، وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أن يعلم علم السماء ممّا لا يدرك بالحواس ، ولا يقع عليه الفكر ، ولا يخطر على الأوهام ؟ وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتّى يعرف في أيّ برج ، وفي أيّ برج القمر ، وفي أيّ برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن ؟ وهي معلّقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلا أن تزعم أن هذا الحكيم الذي وضع هذا العلم قدرقى إلى السماء ، وأنا أشهد أن هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلا بمن في السماء ، لأنّ هذا ليس من علم أهل الأرض .

قال : ما بلغني أنّ أحداً من أهل الأرض رقى إلى السماء . قلت : فلعبد هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك ؟ قال : و لو بلغني ما كنت مصدّقاً . قلت : فأنا أقول قولك ، هبه رقى إلى السماء هل كان له بدّ من أن يجري مع كلّ برج من هذه البروج ، ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب ، ثمّ يعود إلى الآخر حتّى يفعل مثل ذلك حتّى يأتي على آخرها ؟ فإنّ منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة ، ومنها ما يقطع دون ذلك ، وهل كان له بدّ من أن يجول في أقطار السماء حتّى يعرف مطالع السعود منها والنحوس ،



والبطيء والسريع ، حتى يحصي ذلك ؟ أوهبه قدر على ذلك حتى فرغ مما في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الأرض وما تحتها و أن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء ؟ لأن مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء ، فلم يكن يقدر على أحكام حسابها ودقائقها وساعاتها إلا بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها ، لأنه ينبغي أن يعرف أي ساعة من الليل يطلع طالعها ، وكم يمكن تحت الأرض ، وأية ساعة من النهار يغيب غائبها لأنه لا يعاينها ، ولا ما طلع منها ولا ما غاب ، ولا بد من أن يكون العالم بها واحداً وإلا لم ينتفع بالحساب إلا تزعم أن ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرضين والبحار فساد مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على قدماسار في السماء حتى علم الغيب منها ، وعلم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء .

قال : وهل أريتني أجبتك إلى أن أحداً من أهل الأرض رقى إلى السماء وقدر على ذلك حتى أقول : إنه دخل في ظلمات الأرضين والبحور ؟ قلت : فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت أن الحكماء من الناس وضعوه وأن الناس كلهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم ؟ .

أقول : في نسخة السيد ابن طاووس عنها زيادة :

« قال : أريت إن قلت لك : إن البروج لم تزل وهي التي خلقت أنفسها على هذا الحساب ما الذي ترد علي ؟ <sup>(١)</sup> قلت : أسألك كيف يكون بعضها سعداً وبعضها نحساً ، وبعضها مضيقاً وبعضها مظلماً ، وبعضها صغيراً وبعضها كبيراً ؟ .

قال : كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس ، فإن بعضهم جميل ، وبعضهم قبيح ، وبعضهم قصير ، وبعضهم طويل ، وبعضهم أبيض ، وبعضهم أسود ، وبعضهم صالح ، وبعضهم طالح . قلت : فالعجب منك إنني أراودك منذ اليوم على أن تقر بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتى كان الآن أقررت بأن الفردة والخنازير خلقن أنفسهن ! .

قال : لقد بهتتني بما لم يسمع الناس مني ! قلت : أفمنكر أنت لذلك ؟ قال :

(١) في نسخة : ما الذي يرد علي .

أشدُّ إنكار . قلت : فمن خلق القردة والخنازير إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهم ؟ فلا بد من أن تقول : إنهن من خلق الناس ، أو خلقن أنفسهن ، أفتقول : إنها من خلق الناس ؟ قال : لا . قلت : فلا بد من أن يكون لها خالق أو هي خلقت أنفسها ؟ فإن قلت : إنها من خلق الناس أقررت أن لها خالقاً ، فإن قلت : لا بد أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به ، ولئن قلت : إنهن خلقن أنفسهن فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع . ثم قلت : فأخبرني بعضهن قبل بعض خلقن أنفسهن أم كان ذلك في يوم واحد ؟ فإن قلت : بعضهن قبل بعض فأخبرني السماوات وما فيهن والنجوم قبل الأرض والإنس والذرّ خلقن أم بعد ذلك ؟ فإن قلت : إن الأرض قبل أفلاترى قولك : إن الأشياء لم تنزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض ؟ .

قال : بلى ولكن أقول : معاً جميعاً خلقن . قلت : أفلاترى أنك قد أقررت أنها لم تكن شيئاً قبل أن خلقن ، وقد أذهبت حجّتك في الأزلية ؟ قال : إنني لعلي حدّ وقوف ، ما أدري ما جيبك فيه لأنني أعلم أن الصانع إنما سمّي صانعاً لصناعته ، والصناعة غير الصانع ، والصانع غير الصناعة لأنّه يقال للرجل : الباني لصناعته البناء ، والبناء غير الباني والباني غير البناء ، وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث . قلت : فأخبرني عن قولك : إن الناس خلقوا أنفسهم فكما لهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم ؟ قال : بكما لهم لم يخلق ذلك ولا شيئاً منهم غيرهم .

قلت : فأخبرني الحياة أحب إليهم أم الموت ؟ قال : أوتشك أنه لا شيء أحب إليهم من الحياة ، ولا أبغض إليهم من الموت ؟ قلت : فأخبرني من خلق الموت الذي يخرج أنفسهم التي زعمت أنهم خلقوها ؟ فإنك لا تنكر أن الموت غير الحياة ، وأنه هو الذي يذهب بالحياة . فإن قلت : إن الذي خلق الموت غيرهم ، فإن الذي خلق الموت هو الذي خلق الحياة ؛ ولئن قلت : هم الذين خلقوا الموت لأنفسهم إن هذا لمحال من القول ؛ وكيف خلقوا أنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم ؟ هذا ما يستنكر من ضلالك أن تزعم أن الناس قدروا على خلق أنفسهم بكما لهم وأن الحياة أحب إليهم من الموت وخلقوا ما يكرهون لأنفسهم ! .

قال : ما أجد واحداً من القولين ينقاد لي ولقد قطعته عليّ قبل الغاية التي كنت أريدها . قلت : دعني فإنّ من الدخول في أبواب الجهالات ما لا ينقاد من الكلام ، وإنّما أسألك عن معلّم هذا الحساب الذي علّم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلقة في السماء .

اقول : رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة :

قال : ما أجد يستقيم أن أقول : إنّ أحداً من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلقة في السماء . قلت : فلا بدّ لك أن تقول : إنّما علّمه حكيم عليهم بأمر السماء والأرض ومدبّرهما . قال : إنّ قلت هذا فقد أقررت لك بأنّ لك هذا الذي تزعم أنّه في السماء . قلت : أمّا أنك فقد أعطيتني أنّ حساب هذه النجوم حقّ ، وأنّ جميع الناس ولدوا بها . قال : الشكّ في غير هذا .

قلت : وكذلك أعطيتني أنّ أحداً من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتّى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق . قال : الطلوع إلى السماء دون هذا . قلت : فلا أراك تجد بداً من أن تزعم أنّ المعلّم لهذا من السماء . قال : لئن قلت أن ليس لهذا الحساب معلّم لقد قلت إذا غير الحقّ ، ولئن زعمت أنّ أحداً من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأنّ أهل الأرض لا يقدرّون على علم ما وصفت لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعينة والدنو منها<sup>(١)</sup> فلا يقدرّون عليه لأنّ علم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلّا بالحواسّ ، وما يدرك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواسّ لأنّها معلقة في السماء وما زادت الحواسّ على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب ، فأما حسابها ودقائقها ونحوها وسعودها وبطيتها وسريعتها وخنوسها ورجوعها فأنتى تدرك بالحواسّ أو يهتدى إليها بالقياس ؟

قلت : فأخبرني لو كنت متعلّماً مستوصفاً لهذا الحساب من أهل الأرض أحبّ إليك أن تستوصفه وتعلّمه ، أم من أهل السماء ؟ قال : من أهل السماء ، إذ كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض .

قلت : فافهم وأدق النظر وناصح نفسك ألسنت تعلم أنه حيث كان جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنهم كن قبل الناس ؟ قال : ما أمتنع أن أقول هذا . قلت : أفليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك : إن الناس لم يزلوا ولا يزالون قد انكسر عليك <sup>(١)</sup> حيث كانت النجوم قبل الناس ؛ فالناس حدث بعدها ، ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدءاً من أن تزعم أن الأرض خلقت قبلهم . قال : ولم تزعم أن الأرض خلقت قبلهم ؟ قلت : ألسنت تعلم أنها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقها فراشاً ومهاداً ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام ، ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلا أن يكون لهم أجنحة ؟ قال : وماذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة ؟ قلت : ففي شك أنت من أن الناس حدث بعد الأرض والبروج ؟ قال : لا ولكن على اليقين من ذلك .

قلت : آتيك أيضاً بما تبصره . قال : ذلك أنفى <sup>(٢)</sup> للشك عنّي . قلت : ألسنت تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك ؟ قال : بلى . قلت : أفليس قد كان أساساً لهذه النجوم ؟ قال : بلى . قلت : فما أرى هذه النجوم التي زعمت أنها مواليد الناس إلا وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرة وتصعد أخرى . قال : قد جئت بأمر واضح لا يشك على ذي عقل أن الفلك الذي تدور به النجوم هو أساسها الذي وضع لها لأنها إنما جرت به . قلت : أقررت أن خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرّة . قال : ما أجد بدءاً من إجابتك إلى ذلك . قلت : أفليس ينبغي لك أن يدلك عقلك على أنه لا يقدر على خلق السماء إلا الذي خلق الأرض والذرة والشمس والقمر والنجوم ، وأنه لو لا السماء وما فيها لهلك ذرّة الأرض .

شرح : أن يكون لبعض الناس أي هذا العلم . اعلم أن كلامه واحتجاجه عليه السلام

(١) وفي نسخة : قد انكسر عليك .

(٢) وفي نسخة : قال : ذلك أنفى للشك عنّي .

مبني على أحد أمرين : الأول ما يحكم به الوجدان من أن العلم بدقائق حركات هذه الكواكب وخواص آثارها والمناسبة بينها وبين ماهي علامة لحدوثها لا يتأتى إلا لخالقها الذي جعلها كذلك ، أو من ينتهي علمه إليه ، ومعلوم أن ما هو الحق من هذه العلوم إنما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به ، ولما لم يحيطوا بجميع ذلك وضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضاً فلذا ترى الرياضيين يتحيرون في بعض الحركات التي لا تستقيم على أصولهم ، ويسمونها ما لا ينحل ، و ترى المنجمين يخطؤون في كثير من أحكامهم لذلك . ثم ذكر عليه السلام على سبيل التنزل أنه لو سلمنا أنه يمكن أن يتيسر ذلك لمخلوق من البشر فلا يتأتى ذلك إلا لمن كان معها في حركاتها ويعاشرها مدة طويلة ليعلم كيفية حركاتها وجرّب بكثرة المعايشة خواصها وآثارها .

و الثاني : أن يكون المراد أنك إذا اعترفت أن كل الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علة لها ولا ثارها لتقدّمها عليهم ، ولا شك في أنه لا بد من حكيم عالم بجميع الأمور قادر عليها ، أسّس ذلك الأساس وبنى عليها تلك الآثار والأحكام التي أمكن للخلق بها استعمال ما لم يأت من الأمور ، فقد أقررت بالصابغ فهو أول عالم بهذا العلم لا الحكيم الذي تزعم أنه يولد بتلك النجوم .<sup>(١)</sup> ويحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلال الدليلين كما لا يخفى بعد التأمل . قوله عليه السلام : مواضعها من السماء أي عند كونها فوق الأرض ، ومواضعها تحت الأرض أي بعد غروبها واستتارها عنا بالأرض . قوله عليه السلام : إلا بمن في السماء أي بمن أحاط علمه وقدرته وحكمه بالسماء وما فيها . قوله عليه السلام : فأنا أقول قولك أي أنا أعتقد ما قلت من أن الحكماء الذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء ، أو أعتقد أنه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلق إرادة الرب تعالى به ، ومع ذلك فإن سلمناه فلا يكفي محض الصعود للإحاطة بذلك . قوله عليه السلام : مع كل برج أي فيه أو بالحركة السريعة . قوله عليه السلام : في ثلاثين سنة وهو زحل ، وهو أبطأ السيارات ، وإنما لم يتعرض عليه السلام للشواهد مع

(١) وبعبارة أخرى إنك بعد ما اعترفت بأن جميع الناس يولدون بهذه النجوم ولم يمكن أن يولد أحد من أهل الأرض إلا بهذه النجوم لأنها علته ، فقد اعترفت بأن واضع هذه النجوم غير أهل الدنيا لأنهم معلولون لها ، وهذا تسليم وإذعان منك بالصانع تعالى .

كونها أبطأ لأن مبنى أحكامهم على السيارات . قوله عليه السلام : لأن مجاريها تحت الأرض لما ذكر عليه السلام سابقاً سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار عليه السلام ههنا إلى أنه لا يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتى يسير معها بعد الغروب فيحاذي ماتحت الأرض من البحار والمواضع المظلمة بالبخارات ، أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتى يحاذي ماتحتها الظلمة ، ثم يبين عليه السلام الحاجة إلى ذلك بأنه لا تكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأن حركاتها الخاصة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التدوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها ، فتارة تسرع وتارة تبطئ ، فلا تتأتى مقايضة بعض حركاتها ببعض .

قوله عليه السلام : كيف يكون بعضها سعداً أي يرجع قولك إلى أنها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا وبعضها هكذا ، فترجح هذه الأحوال الممكنة و حصولها من غير علة مما يحكم العقل باستحالته ، أو المراد أنها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كل منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال ؛ وهذا أظهر . ثم لما لم يفهم السائل ذلك غير الكلام وصرفه إلى ما هو أوضح . وقوله عليه السلام : قد أقررت أنها لم تكن شيئاً إمّا مبني على أن الصنع والخلق لا يتعلقان إلا بالحدث ، أو على ما كان ظاهر كلام السائل أن لوجودها مبدءاً ، ثم إن السائل لما تفتطن بفساد كون الشيء صانعاً لنفسه رجع وأقر بأن العقل يحكم بديهته بأن المصنوع غير الصانع ، و الباني غير البناء ؛ وما ذكره عليه السلام من أن خالق الحياة والموت لابد أن يكون واحداً مما يحكم به الوجدان مع أن الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلاً فيه ، و الموت ليس إلا رفع الحياة ، فلو كان مستنداً إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلاً فيه .

قوله عليه السلام : دون هذا أي أنا أنكر الصعود إلى السماء الذي هو أسهل مما ذكرت فكيف أقر به ، أو المراد أن الصعود إلى السماء أسهل علي من الإقرار بما ذكرت . قوله عليه السلام : إنهم كن قبل الناس أي بالعليّة والسببيّة كما ظن السائل ، أو بالزمان أي تقدّمها على كل شخص ، أو على الجميع بناءً على لزوم التقدّم على كل

من الأشخاص التقدم على الجميع كما قيل ، أو على أنه ﷺ كان يعلم أن السائل كان قائلاً بذلك فذكره ﷺ إلزاماً عليه كما اعترف به ؛ وعلى الأول يكون المراد بقوله : لم يزالوا ولا يزالون عدم استنادهم إلى علة ، وعلى الثاني فالمراد إمّا قدم مادّتهم أو صورهم أيضاً بناءً على القول بالكمون ، وعلى الثالث فالمراد قدم نوعهم . قوله عليه السلام : بعد هذا الفلك أي هي محتاجة إلى الفلك ، والفلك متقدمة عليها بالعلة فلا يصح كون النجوم علة لها للزوم الدور . قوله ﷺ : لم يكن ذرّ أي مذرؤ ومخلوق من الإنس .

ثم أعلم أن حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنه ﷺ - لما قرّر السائل سائلاً على أن النجوم ليست خالقة لأنفسها ، و أنفعاً على أنها ليست مخلوقة للناس وغيرها مما يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخرها عنها ، وعلى أن الأرض أيضاً متقدمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها ، وعلى أن الفلك لتقدمه على النجوم المتقدمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقاً لشيء منها - استدلل ﷺ ههنا على أنه لا بد أن يكون خالق السماء والأرض وما في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما على الأرض من الخلق واحداً .

أمّا اتحاد خالق الأرض والنجوم فيمكن تقريره بوجهين : الأول : أن الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت ، وظاهر أنها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأن من خلق شيئاً يعدّ له ما يصلحه ، ويهيئ له ما سيحتاج إليه فظهر أنه لا بد أن يكون خالق الناس و خالق الأرض واحداً ، والناس بزعمك مخلوقون للنجوم ولزعمك القول بوجود خالق للنجوم ، فلا بد من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إمّا بلا واسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب .

الثاني : أنّا نرى التلازم بين الناس والأرض لحكم العقل بأنّ كلّاً منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذاً الظاهر أن غاية خلق الأرض هو الإنسان ونحوه وهم محتاجون في أمورهم إليها ، وقد تقرّر أن التلازمين إمّا أن يكون أحدهما علة للآخر ، أو كلّ منهما معلول علة ثالثة ، ولا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت ، ولا معلولة

لها لا تنسابها عندك إلى النجوم فلا بد من أن يكونا معلولي علة واحدة . و بأحدهذين التقريرين يثبت اتحاد خالق السماء و خالق هذه الأمور السابقة لاحتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء وما فيها من النجوم ؛ وإليه أشار ﷺ بقوله : وإنه لولا السماء و ما فيها لهلك ذرة الأرض . هذا ما أحاط به نظري العاثر ، وسيأتي في تضعيف كلامه ﷺ توضيح ما قلناه ، والتصريح ببعض ما قررناه ، والله يعلم و حججه ﷺ حقائق كلامهم ودقائق مرامهم ؛ ثم لا يتوهم متوهم من كلامه ﷺ أن للنجوم تأثيراً فيما ظهراً أنه ﷺ إنما ذكرها إلزاماً عليه ، ومما شاة معه لا تمام الحججة عليه <sup>(١)</sup> بل لا يمكن الاستدلال على سعودها ونحوسها وكونها علامات للكائنات أيضاً بهذا الوجه لكن ظاهره أن لها سعادة ونحوسة وأنها علامات ، وسيأتي القول في ذلك مفصلاً في كتاب السماء والعالم .

متن : قال : أشهد أن الخالق واحد من غير شك لأنك قد أتيتني بحجة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجتي ، وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنها في السماء ، ولا مع ذلك يعرف ماتحت الأرض منها إلا معلم ما في السماء منها ، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتفق حسابهم على ما رأيت من الدقة والصواب في شيء لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لا نكرته ولا خبرتك أنه باطل في بدء الأمر فكان أهون علي . قلت : فأعطني موثقاً إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة التي في يدك وماتدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتى يتصل الإهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتدعن بالحق ، ولتنصن من نفسك . قال : ذلك لك . قلت : هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهاها ؟ قال : نعم .

قلت : فمن أين اهتمدوا له ؟ قال : بالتجربة وطول المقياسة . قلت : فكيف خطر

(١) ما ذكره رحمه الله بمعنى التأثير بنحو الاستقلال حق ؛ وأما أصل التأثير بمعنى وجود رابطة السببية والسببية بين هذه الأشياء فهو مما بنى عليه كلامه عليه السلام من أوله إلى آخره كما هو ظاهر . ط



على أوهامهم حتى همّوا بتجربته ؟ وكيف ظنّوا أنّه مصلحة للأجساد وهم لا يرون فيه إلّا المضرة ؟ أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون ممّا لا تدلّهم عليه الحواس ؟ قال : بالتجارب .

قلت : أخبرني عن واضع هذا الطبّ و واصف هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب ، هل كان بدّ من أن يكون الذي وضع ذلك ودلّ على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان ؟ .

قال : لا بدّ أن يكون كذلك ، وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك و جمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكّروا فيه بعقولهم . قلت : كأنك تريد الإيصال من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك ؟ وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء ، والزعران الذي بأرض فارس ، أترأه اتّبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك ؟ وهل يدلّك عقلك على أن رجلاً حكماً قدروا على أن يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسّهم ، وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية التي لم تدرك حواسّهم شيئاً منها ؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع شجر فارس ونباتها ، كيف عرف أنّه لا يكون دواء حتى يضمّ إليه الإهليلج من الهند ، والمصطكي من الروم ، والمسك من التبت ، والدارصيني من الصين ، وخصي يدستر من الترك ، والأفيون من مصر ، والصبر من اليمن ،<sup>(١)</sup> والبورق من أرمينية ،<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من أخلاط الأدوية التي تكون في أطراف الأرض ؟ وكيف عرف أن بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع ؟ أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباعدة في بلدان متفرقة ؟ فمنها عروق ، ومنها لحاء<sup>(٣)</sup> ومنها ورق ، ومنها ثمر ، ومنها عصير ، ومنها مائع ، ومنها صمغ ، ومنها دهن ، ومنها

(١) الصبر وزان كنف : عصارة شجر مر .

(٢) البورق بالفتح معرب بوره : شى . يتكون مثل الملح في شطوط الانهار والبياه .

(٣) اللحاء : قشور العود أو الشجر .

ما يعصر ويطنخ، ومنها ما يعصر ولا يطنخ، مما سمّي بلغات شتّى لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يصير دواءً إلا باجتماعها؛ ومنها مرائر السباع والدواب البريّة والبحريّة، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرّقون باللغات، متغالبون بالمناسبة،<sup>(١)</sup> و متحاربون بالقتل والسبي أفترى ذلك الحكيم تتبّع هذه البلدان حتّى عرف كلّ لغة وطاف كلّ وجه، وتتبّع هذه العقاقير مشرقاً ومغرباً آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض، سليماً لا يعطب، حياً لا يموت، هادياً لا يضلّ، قاصداً لا يجور<sup>(٢)</sup> حافظاً لا ينسى، نشيطاً لا يملّ، حتّى عرف وقت أزمّنتها، ومواضع منابتها مع اختلافاتها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرّق أسمائها، ثمّ وضع مثالها على شبهها وصفتها، ثمّ وصف كلّ شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها؛ أم هل كان لهذا الحكيم بدّ من أن يتبّع جميع أشجار الدنيا ويقولها وعروقها شجرة شجرة، وورقة ورقة، شيئاً شيئاً؟ فهبه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلّته حواسّه على أنّها تصلح لدواء، والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمر والمالح؟

وإن قلت: يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال، فأنسى يسأل عمّا لم يعاين ولم يدركه بحواسّه؟ أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة؟ فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارّها، وتسكينها وتهيجها، وباردها وحارّها، وحلوها ومرارتها وحرافتها،<sup>(٣)</sup> ولينها وشديدها<sup>(٤)</sup>؟ فلئن قلت: بالظنّ إنّ ذلك ممّا لا يدرك ولا يعرف بالطبائع والحواسّ، ولئن قلت: بالتجربة والشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أوّل ما شرب وجرب تلك الأدوية بجهاlette بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارّها وأكثرها السمّ القاتل. ولئن قلت: بل طاف في كلّ بلد، وأقام في كلّ أمة يتعلّم لغاتهم ويجرب بهم أدويتهم تقتل الأوّل فالأوّل منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير، فما كان أهل تلك البلدان

(١) في نسخة: متغالبون بالمناسبة.

(٢) في نسخة: قاصداً لا يجوز.

(٣) الحرافة: طعم يلذع اللسان بحرارته.

(٤) في نسخة: ولينها وباسها.

الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالذين ينقادونه بالقتل ولا يدعونه أن يجاورهم ، و  
 هبه تركوه وسلموا لأمره ولم ينهوه كيف قوي على خلطها ، وعرف قدرها ووزنها و  
 أخذ مثاقيلها وقرط قراريطها ؟ وهبه تتبّع هذا ككّه ، وأكثره سمّ قاتل ، إن زيد على  
 قدرها قتل ، وإن نقص عن قدرها بطل ، وهبه تتبّع هذا ككّه وجال مشارق الأرض و  
 مغاربها ، وطال عمره فيها تتبّعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبّع مالم يدخل  
 في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر ؟ هل كان بدّ حيث زعمت أن ذلك الحكيم  
 تتبّع عقاير الدنيا شجرة شجرة وثمره ثمرة حتى جمعها كلّها فمنها مالا يصلح ولا يكون  
 دواءً إلا بالمرار ؟ هل كان بدّ من أن يتبع جميع طير الدنيا وسباعها و دوابّها دابة دابة  
 وطائراً طائراً يقتلها ويجرّب مرارتها ، كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب ؟  
 ولو كان ذلك فكيف بقيت الدوابّ وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة  
 نبتت أخرى ؟ وهبه أئى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدوابّ التي كان  
 ينبغي أن يتبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى أحاط به كما أحاط بجميع عقاير الدنيا  
 التي بحث عنها حتى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء ؟ فإنك مهما جهلت شيئاً من هذا  
 فإنك لا تجهل أن دوابّ البحر كلّها تحت الماء فهل يدلّ العقل والحواس على أن هذا  
 يدرك بالبحث والتجارب ؟ .

قال : لقد ضيّقت عليّ المذاهب ، فما أدري ما أجيبك به : قلت : فإنني آتيك  
 بغير ذلك ممّا هو أوضح وأبين ممّا اقتضت عليك ، أأنت تعلم أن هذه العقاقير التي منها  
 الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواءً إلا بعد الاجتماع ؟ قال : هو كذلك .  
 قلت : فأخبرني كيف حواس هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها ؟  
 فإنك من أعلم الناس بذلك لأنّ صناعتك الطبّ ، وأنت تدخل في الدواء الواحد من  
 اللّون الواحد زنة أربع مائة مثقال ، ومن الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك و دونه  
 حتى يجيىء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه ، وإن سقيت  
 صاحب القولنج أكثر من ذلك استطلق بطنه وألان <sup>(١)</sup> فكيف أدركت حواسه على هذا ؟

(١) استطلق البطن : مشى . وألان أى جعله ليناً

أم كيف عرفت حواسه أن الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجليين ، والانحدار أهون عليه من الصعود ؟ والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس ، وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه ؟ وكذلك كل دواء يسقى صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في العروق التي تسقى له ، وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرق ؟ أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر ؟ أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم أن الذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينفع به العين لا يغني من وجع الأذن ، وكذلك جميع الأعضاء يصير كل داء منها إلى ذلك الدواء <sup>(١)</sup> الذي ينبغي له بعينه ؟ فكيف أدركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب في الجوف ، والعروق في اللحم ، وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا يبصر ولا يشم ولا يلمس ولا يذوق ؟ .

قال : لقد جئت بما عرفه <sup>(٢)</sup> إلا أننا نقول : إن الحكيم الذي وضع هذه الأدوية وأخلطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الأدوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية و أتى المواضع التي تلك الأدوية فيها . قلت : فأخبرني ألسنت تعلم أن الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال : بلى . قلت : أما تعلم أن الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجد ؟ قال : بلى . قلت : فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه للمريض بعد ما صار غليظاً عبيطاً ليس بأمشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال : لقد حملتني على مطيئة صعبة ما حملت على مثلها قط ، ولقد جئت بأشياء لأقدر على ردها .

شرح : قوله ﷺ : خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر : ما يخلط بالشيء ، أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركبة . قوله ﷺ : ثم وضع مثالها على شبهها أي ضم كلاً ما وجد من كل نوع إلى مثله لأنه يشبهه وبواقفه في الصفة أو ترك الأشياء التي تشبه ما يريد ، وإن كانت موافقة له في الصفات فإن كثيراً من العقاقير تشبه بغيرها لاتفاقهما في كثير من الصفات . قوله ﷺ : فكيف بقيت لعل المفروض أن ذلك كان

(١) في نسخة : يصير كل دواء منها إلى ذلك الداء .

(٢) في نسخة : لقد جئت بما عرف .

في مبادي خلق العالم لقدم ذلك العلم فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلتها في تلك الأزمنة . قوله ﷺ : ليس بأمشاج أي أشياء مختلطة متميزة .

**أقول :** كلامه ﷺ يدل على أن خواص الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنما وصل إلى الخلق بأخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم .

مقن : قلت : فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية التي فيها المنافع لهم حتى خلطوها وتتبعوا عقايرها في هذه البلدان المتفرقة ، وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباعدة ، وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها ، وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك ؟ قال : قد أعيتت عن إجابتك <sup>(١)</sup> لغموض مسائلك وإلجائك إليّ أي أمر لا يدرك علمه بالحواس ، ولا بالتشبيه والقياس ، ولا بد أن يكون وضع هذه الأدوية واضح ، لأنها لم تضع هي أنفسها ، ولا اجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته إياها ؛ فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وطلبوا عقايرها في هذه البلدان المتفرقة ؟

قلت : إنني ضارب لك مثلاً وناصب لك دليلاً تعرف به واضح هذه الأدوية والدال على هذه العقاير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق التي يأخذ فيها الدواء إلى الداء . قال : فإن قلت ذلك لم أجدهم بدءاً من الاثقياد إلى ذلك . قلت : فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة ، وبني عليها حائطاً وثيقاً ، ثم غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول ، وتعاهد سقيها وتربيتها ، ووقاها ما يضرها ، حتى لا يخفى عليه موضع كل صنف منها فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها <sup>(٢)</sup> واهتزت بقولها دفعت إليه <sup>(٣)</sup> فسألته أن يطعمك لونها من الثمار والبقول سمّيته له أترأه كان قادراً على

(١) أي قد أعجزت عن إجابتك .

(٢) أينع الثمر : أدرك وطاب وحان قطافه . وفي بعض النسخ : أيفع أثمارها . فهو من أيفع

الغلام : ترعرع وناهز البلوغ .

(٣) في نسخة : ذهبت إليه .

أن ينطلق قاصداً مستمراً لا يرجع ، ولا يهوي إلى شيء يمر به من الشجرة والبقول حتى يأتي الشجرة التي سألته أن يأتيك بثمرها ، والبقلة التي طلبتها حيث كانت من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها ؟ قال : نعم . قلت : أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة : ادخل الحديقة فخذ حاجتك فإني لا أقدر على ذلك ، هل كنت تقدر أن تنطلق قاصداً لا تأخذ يميناً ولا شمالاً حتى تنتهي إلى الشجرة فتجتنبي منها ؟ قال : وكيف أقدر على ذلك ولا أعلم لي في أي مواضع الحديقة هي ؟ قلت : أفليس تعلم أنك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسف وجولان في جميع الحديقة حتى تستدل عليها ببعض حواسك بعد ما تتصفح فيها من الشجرة شجرة و ثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب بعض حواسك إن تأتيتها ، وإن لم ترها انصرفت ؟ .

قال : وكيف أقدر على ذلك ولم أعاين مغرسها حيث غرست ، ولا منبتها حيث نبتت ، ولا ثمرتها حيث طلعت . قلت : فإنه ينبغي لك أن يدلك عقلك حيث عجزت حواسك عن إدراك ذلك إن الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الذي دل الحكيم الذي زعمت أنه وضع الطب على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب ؛ وكذلك ينبغي لك أن تستدل بعقلك على أنه هو الذي سمّاها وسمى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي سألته الثمرة ، وكذلك لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون الغارس والدال عليها إلا الدال على منافعها ومضارها وقراريطها ومثاقيلها .

قال : إن هذا لكما تقول . قلت : أفرأيت لو كان خالق الجسد وما فيه من العصب واللحم والأعضاء والعروق التي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير ، هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكل داء منها ، وما كان يأخذ في كل عرق ؟ .

قال : وكيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لا يدرك بالحواس ، ما ينبغي أن يعرف هذا إلا الذي غرس الحديقة وعرف كل شجرة وبقلة وما فيها من المنافع والمضار . قلت : أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحداً ؛ لأنه لو كان اثنين أحدهما خالق

الدواء والآخـر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الذي بالجسد ممّا لا علم له به ، ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير ، فلمّا كان خالق الداء والدواء واحداً أمضى الدواء في العروق التي برأ وصوّر إلى الداء الذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرّها وبردها وليّنها وشديدها وما يدخل في كلّ دواء منه من القرايط والمثاقيل ، وما يصعد إلى الرأس منها وما يهبط إلى القدمين منها وما يتفرّق منه فيما سوى ذلك .

قال : لأشكّ في هذا لأنّه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت . قلت : فإنّ الذي دلّ الحكيم الذي وصفت أنّه أوّل من خلط هذه الأدوية ودلّ على عقاقيرها المتفرّقة فيما بين المشرق والمغرب ، ووضع هذا الطبّ على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب ، وهو باني الجسد ، وهو دلّ الحكيم بوحى منه على صفة كلّ شجرة وبلدها ، وما يصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللحاء ؛ وكذلك دلّ على أوزانها من مثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها ، وكذلك هو خالق السباع والطيور والدوابّ التي في مرارها المنافع ممّا يدخل في تلك الأدوية فإنّه لو كان غير خالقها لم يدرك ما ينفع به من مرارها وما يضرّ وما يدخل منها في العقاقير ؛ فلمّا كان الخالق سبحانه وتعالى واحداً دلّ على ما فيه من المنافع منها فسمّاه باسمه حتّى عرف وترك ما لا منفعة فيه منها ، فمن ثمّ علم الحكيم أيّ السباع والطيور والدوابّ التي في المنافع ، وأيّها لا منفعة فيه ، ولولا أنّ خالق هذه الأشياء دلّ عليها ما اهتدى بها .

قال : إنّ هذا لكما تقول وقد بطلت الحواسّ والتجارب عند هذه الصفات . قلت : أمّا إذا صحّت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدلّ بحواسّنا ، هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدوابّ والطيور والناس الذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره ممّا إذا شاء منعه ذلك ؟

قال : ما ينبغي أن تكون الأرض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرس فيه

الأشجار إلّا لخالق هذا الخلق ومملك يده . قلت : فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحديدية لاتصال هذه الأشياء بعضها ببعض . قال : ما في هذا شك . قلت : فأخبرني وناصح نفسك أأست تعلم أن هذه الحديدية وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدواب والطيور والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها إلّا شربها وريتها من الماء الذي لأحياء لشيء ، إلّا به ؟ قال : بلى . قلت : أفترى الحديدية وما فيها من الذرة خالقها واحد ، وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديدية إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديدية ؟ .

قال : ما ينبغي أن يكون خالق هذه الحديدية وذاته هذا الذرة الكثير و غارس هذه الأشجار إلّا المدبر الأول وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره ، وإنّ اليقين عندي لهو أنّ الذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديدية وما فيها من الخلقة لأنّه لو كان الماء لغير صاحب الحديدية لهلك الحديدية وما فيها ، ولكنّه خالق الماء قبل الغرس والذرة وبه استقامت الأشياء وصلحت . قلت : أفرأيت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحديدية مغيض <sup>(١)</sup> لما يفضّل من شربها يحبسه عن الحديدية أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء ؟ قال : بلى ولكنني لا أدري لعلّ هذا البحر ليس له حابس وأنّه شيء لم يزل . قلت : أمّا أنت فقد أعطيتني أنّه لولا البحر ومغيض المياه إليه لهلكت الحديدية . قال : أجل . قلت : فأني أخبرك عن ذلك بما تستيقن بأنّ خالق البحر هو خالق الحديدية وما فيها من الخلقة ، وأنّه جعله مغيضاً لمياه الحديدية مع ما جعل فيه من المنافع للناس .

قال : فأجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره . قلت : أأست تعلم أنّ فضول ماء الدنيا يصير في البحر ؟ قال : بلى . قلت : فهل رأيت زائداً قط في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحد الذي لم يزل عليه ؟ أو هل رأيت ناقصاً في قلّة المياه وشدة الحرّ وشدة القحط ؟ قال : لا . قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنّ خالقه وخالق الحديدية وما فيها من الخلقة واحد ، وأنّه هو الذي وضع له حدّاً لا يجاوزه لكثرة الماء ولا قلّته ، وأنّ بما يستدلّ على ما أقول أنّه يقبل بالأحوال الجبال يشرف على

(١) المغيض : مجتمع الماء ، ومدخله في الأرض وفي نسخة : المغيض بالماء ، وكذا فيما يأتي بعده .



السهل والجبل فلولم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع التي أمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتى إذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهي إليها ذلت أمواجه وخضع أشرافه .

قال : إن ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كل الذي ذكرت ، ولقد أتيتني ببرهان ودلالات ما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها . قلت : وغير ذلك سأتيك به مما تعرف اتصال الخلق بعبه بعض ، وأن ذلك من مدبر حكيم عالم قدير ، ألت تعلم أن عامة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأن أعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول التي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدواب والوحش والطير من البراري التي لآعيون لها ولا أنهار إنما يسقيه السحاب ؟ قال : بلى . قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك وما أدركت بالحواس التي زعمت أن الأشياء لا تعرف إلا بها أنه لو كان السحاب الذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع التي لا تنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأشجار لغير صاحب الحديقة لا مسكه عن الحديقة إذا شاء ، ولكن خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذرأ وبرأ على غرور ووجل ، خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الذي لآ حياة للخليقة إلا به ؟ .

قال : إن الذي جئت به لو اوضح متصل بعبه بعض ، وما ينبغي أن يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض ، وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض ، وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلا خالق السماء والسحاب ؛ يرسل منها ما شاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدواب والبقول وغير ذلك ، إلا أنني أحب أن تأتيني بحجة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشك . قلت : فإني آتيك بها إن شاء الله من قبل إلهيلجتك واتصالها بالحديقة ، وما فيها من الأشياء المتصلة بأسباب السماء لتعلم أن ذلك بتدبير عليم حكيم .

قال : وكيف تأتيني بما يذهب عني الشك من قبل الإلهيلجة ؟ قلت : فيما أريك فيها من إتقان الصنع ، وأثر التركيب المؤلف ، واتصال ما بين عروقها إلى فروعها ، واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتى يتصل بالسماء . قال : إن أريتني ذلك لم أشك . قلت : ألت

تعلم أن الإلهيلجة نابتة في الأرض وأن عروقها مؤلفة إلى أصل ، وأن الأصل متعلق بساق متصل بالغصون ، والغصون متصلة بالفروع ، والفروع منظومة بالأكام والورق ، وملبس ذلك كله الورق ، ويتصل جميعه بظل يقيه حر الزمان وبرده ؟ .

قال : أمّا الإلهيلجة فقد تبيّن لي اتصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الأرض ، فأشهد أن خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لا إتيان الصنع واتصال الخلق وإتلاف التدبير وإحكام التقدير . قلت : إن أريتك التدبير مؤلفة بالحكمة والإتيان معتدلاً بالصنعة ، محتاجاً بعضه إلى بعض ، متصلاً بالأرض التي خرجت منه الإلهيلجة في الحالات كلها أتقر بخالق ذلك ؟ قال : إذن لا أشك في الوجدانية . قلت : فافهم وافقه ما أصف لك : ألت تعلم أن الأرض متصلة بإلهيلجتك وإلهيلجتك متصلة بالتراب ، والتراب متصل بالحر والبرد ، والحر والبرد متصلان بالهواء والهواء متصل بالرياح ، والرياح متصلة بالسحاب ، والسحاب متصل بالمطر ، والمطر متصل بالأزمنة ، والأزمنة متصلة بالشمس والقمر ، والشمس والقمر متصلتان بدوران الفلك ، والفلك متصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليف متقن ، وتدبير محكم ، متصل كل هذا ما بين السماء والأرض ، لا يقوم بعضه إلا ببعض ، ولا يتأخر واحد منهما عن وقته ، ولو تأخر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات ؟ قال : إن هذه الهي العلامات البيّنات ، والدلالات الواضحات التي يجري معها أثر التدبير ، بإتيان الخلق والتأليف مع إتيان الصنع ، لكنني لست أدري لعل ما تركت غير متصل بما ذكرت . قلت : وما تركت ؟ قال : الناس . قلت : ألت تعلم أن هذا كله متصل بالناس ، سخّره لها المدبر الذي أعلمتك أنه إن تأخر شيء مما عدت عليك هلكت الخليقة ، وبأد جميع ما في الحديقة ، وذابت الإلهيلجة التي تزعم أن فيها منافع الناس ؟ .

قال : فهل تقدّر أن تفسّر لي هذا الباب على ما لخصت لي غيره ؟ قلت : نعم أبيت لك ذلك من قبل إلهيلجتك ، حتّى تشهد أن ذلك كله مسخّر لبني آدم . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : خلق الله السماء سقفاً رفوعاً ، ولولا ذلك اغتم خلقه لقربها ، وأحرقتهم

الشمس لدنوّها ، وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر لمنافع الناس ، ونجوماً يعرف بها أصل الحساب ، فيها الدلالات على إبطال الحواسّ ، ووجود معلّمها الذي علّمها عباده ، ممّا لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواسّ ، ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلّا به لأنّه العزيز الجبار الذي دبّرّها وجعل فيها سراجاً وقمرأ منيراً ، يسبحان<sup>(١)</sup> في فلك يدور بهما دافعين ،<sup>(٢)</sup> يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى ، فبني عليه الأيّام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أزمنة مختلفة الأعمال ، أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحد منهما سرمداً على العباد لما قامت لهم معاش أبداً ، فجعل مدبّر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصراً والليل سكناً ، وأهبط فيهما الحرّ والبرد متبائنين لودام واحد منهما بغير صاحبه ما نبئت شجرة ولا طلعت ثمرة ، واهلكت الخليفة لأنّ ذلك متصل بالريح المصرفة في الجهات الأربع ، باردة تبرّد أنفاسهم ، وحارّة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعاشهم ، ورطوبة ترطب طبائعهم ، ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يتفرّق الغمام المطبق حتّى ينسبط في السماء كيف يشاء مدبّره فيجعله كسفاف ترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم ، وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة ، ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليفة ويبدت الحديقة ، فأنزل الله المطر في أيّامه ووقته إلى الأرض التي خلقها لبني آدم ، وجعلها فرشاً ومهاداً ، وحبسها أن تزول بهم ، وجعل الجبال لها أوتاداً ، وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لاتقوم الحديقة والخليفة إلّا بها ، ولا يصلحون إلّا عليها مع البحار التي يركبونها ، ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً طرياً وغيره يأكلونه ؛ فعلم أنّ إله البرّ والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حيّ قيّوم مدبّر حكيم ، وأنّه لو كان غيره لاختلفت الأشياء .

وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج الله منها حبّاً وعباً وقضباً ، وزيتوناً

(١) سبح في الماء ، وبالماء ، عام وانسبط فيه . ويستعار لمرّ النجوم وجرى الفرس وما شاكل .

(٢) أي مستمرين .

ونخلأً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأباً، بتدبير مؤلف مبين، بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم، ومعاشاً يقوم به أجسادهم، وتعيش بهسا أنعامهم التي جعل الله في أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً إلى حين، والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشاً لهم لا يحيون إلا به، وصالحاً لا يقومون إلا عليه، وكذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أن جميع ما في الأرض شيئان: شيء يولد، وشيء ينبت، أحدهما آكل، والآخر مأكول، وبما يدلك عقلك أنه خالقهم ما ترى من خلق الإنسان وتهئية جسده لشهوة الطعام، والمعدة لتطحن المأكول، ومجاري العروق لصفوة الطعام، وهياً لها الأمعاء، ولو كان خالق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتهية للمأكول وليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنها من مدبر حكيم لطيف قد ير عليم، قد آمنت وصدقت أن الخالق واحد سبحانه وبحمده، غير أنني أشك في هذه السمائم القتالة أن يكون هو الذي خلقها لأنها ضارة غير نافعة؛ قلت: أليس قد صار عندك أنها من غير خلق الله؟ قال: نعم لأن الخلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرهم. قلت: سأبصرك من هذا شيئاً تعرفه ولا أنبتك إلا من قبل إلهي لجتك هذه وعلمك بالطب، قال: هات. قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه مضرّة للخلق؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: هذه الأظعمة. قلت: أليس هذا الطعام الذي وصفت يغيّر ألوانهم، ويهيج أوجاعهم حتى يكون منها الجذام والبرص والسلال<sup>(١)</sup> والماء الأصفر، وغير ذلك من الأوجاع؟ قال: هو كذلك؟ قلت: أما هذا الباب فقد انكسر عليك. قال: أجل. قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه منفعة؟ قال: نعم.

قلت: أليس يدخل في الأدوية التي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك، ويدفع الداء ويذهب السقم مما أنت أعلم به لطول معالجتك قال: إنه كذلك.

قلت: فأخبرني أي الأدوية عندكم أعظم في السمائم القتالة؟ أليس الترياق؟

(١) السل بالكسر في اللغة الهزال، وفي الطب القديم قرحة في الرية، وانما سمى المرض به لان من لوازمه هزال البدن، ولان الحمى الدقية لازمة لهذه القرحة.

قال : نعم هو رأسها و أول ما يفرغ إليه عند نهش الحيات <sup>(١)</sup> ولسع الهوام و شرب السمائم .

قلت : أليس تعلم أنه لا بد للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلا أن تطبخ بالأفاعي القاتلة ؟ قال : نعم هو كذلك ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلا بذلك ، ولقد انكسر علي هذا الباب ، فأنا أشهد أن لإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه خالق السمائم القاتلة و الهوام العادية ، وجميع النبات والأشجار ، و غارسها ومنبتها ، وبارئ الأجساد ، وسائق الرياح ، و مسخر السحاب ، و أنه خالق الأدواء التي تبيح بالإنسان كالسمائم القاتلة التي تجري في أعضائه وعظامه ، ومستقر الأدواء وما يصلحها من الدواء ، العارف بالروح ومجرى الدم وأقسامه في العروق واتصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد ، وأنه عارف بما يصلحه من الحر والبرد ، عالم بكل عضو بما فيه ، وأنه هو الذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها ، والدال على نحوها وسعودها وما يكون من المواليد ، وأن التدبير واحد لم يختلف متصل فيما بين السماء والأرض وما فيها ؛ فبين لي كيف قلت : هو الأول والآخر وهو اللطيف الخبير و أشباه ذلك ؟ قلت : هو الأول بلا كيف ، و هو الآخر بالانهاية ، ليس له مثل ، خلق الخلق والأشياء لا من شيء ، ولا كيف بالأعلاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف ، كما أنه لا كيف له ، وإنما الكيف بكيفية المخلوق لأنه الأول لا بد له ولا شبه ولا مثل ولا ضد ولا ند ، لا يدرك ببصر ولا يحس بلمس ، ولا يعرف إلا بخلقه تبارك و تعالى .

قال : فصف لي قوته . قلت : إنما سميت ربنا جل جلاله قوياً للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها وبحارها ورمالها وأشجارها وما عليها من الخلق المتحرك من الإنس ومن الحيوان ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر المنقش بالماء الكثير ، والشمس والقمر وعظمهما وعظم نورهما الذي لا تدركه الأبصار بلوغاً ولا منتهاً ، والنجوم الجارية ، و دوران الفلك ، و غلظ السماء ، وعظم الخلق العظيم

(١) نهش الحية : تناوله بغمه ليعضته فيؤثر فيه ولا يجرحه .

والسمااء المسقفة فوقنا راكدة في الهواء، ومادونها من الأرض المبسوطة، وما عليها من الخلق الثقيل، وهي راكدة لا تتحرك، غير أنه ربما حرك فيها ناحية، والناحية الأخرى ثابتة، وربما خسف منها ناحية والناحية الأخرى قائمة؛ يرينا قدرته ويدلنا بفعله على معرفته، فلهذا سمى قوياً بالقوة البطش المعروفة من الخلق، ولو كانت قوته تشبه قوة الخلق لوقع عليه التشبيه، وكان محتملاً للزيادة، وما احتمل الزيادة كان ناقصاً وما كان ناقصاً لم يكن تاماً، ومالم يكن تاماً كان عاجزاً ضعيفاً، والله عز وجل لا يشبه بشيء، وإنما قلنا: إنه قوي للخلق القوي؛ وكذلك قولنا: العظيم والكبير؛ ولا يشبه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى.

قال: أفرايت قوله: سميع بصير عالم؛ قلت: إنما يسمى تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير، أو دقيق أو جليل، ولا نصفه بصيراً بل يحظ عين كالمخلوق؛ وإنما سمى سميعاً لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورا بهم، ولا خمسة إلا هورادهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، وذيب النمل على الصفا،<sup>(١)</sup> وخفقان الطير في الهواء<sup>(٢)</sup> لا تخفى عليه خافية ولا شيء مما أدركته الأسماع والأبصار وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جل من ذلك ومادق، وما صغر وما كبر؛ ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع الملقول من الخلق؛ وكذلك إنما سمى عليمًا لأنه لا يجهل شيئاً من الأشياء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، علم ما يكون وما لا يكون، وما لو كان كيف يكون، ولم نصف عليمًا بمعنى غريزة يعلم بها، كما أن للخلق غريزة يعلمون بها، فهذا ما أراد من قوله: عليم؛ فعز من جل عن الصفات، ومن نزه نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى، ولولا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدس أسمائه.

قال: إن هذا الكما تقول ولقد علمت أنما غرضي أن أسأل عن ردّ الجواب فيه عند مصرف يسبح عني، فأخبرني لعلي أحكمه فيكون الحجّة قد انشردت للمتعتت المخالف، أو السائل المرتاب، أو الطالب المرتاد، مع ما فيه لأهل الموافقة من الازدياد. فأخبرني عن قوله: لطيف، وقد عرفت أنه للفعل، ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك. قلت: إنما

(١) الصفا · الحجر الصلد الضم.

(٢) خفق الطير: ضرب بجناحه.

سمّيناه لطيفاً للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة<sup>(١)</sup>، ومما هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد<sup>(٢)</sup>، فلمّا رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد<sup>(٣)</sup> والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضاً، وما كان منها في إجماع البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم، وما يفهم من أولادها، ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أنّ خالقها لطيف وأنّه لطيف بخلق اللطيف<sup>(٤)</sup>، كما سمّيناه قوياً بخلق القويّ.

قال : إنّ الذي جئت به لوضح، فكيف جاز للخلق أن يتسموا بأسماء الله تعالى ؟ قلت : إنّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول لله: واحد، ويقول: قويّ والله تعالى قويّ، ويقول: صانع والله صانع، ويقول: رازق والله رازق، ويقول: سميع بصير والله سميع بصير، وما أشبه ذلك، فمن قال للإنسان: واحد فهذا له اسم وله شبيه، والله واحد وهوله اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحداً؛ وأمّا الأسماء فهي دلالتنا على المسمّى لأنّنا قد نرى الإنسان واحداً وإنّما نخبر واحداً إذا كان مفرداً فعلم أنّ الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأنّ أعضائه مختلفة وأجزائه ليست سواءاً، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في

(١) الذر : صفار النمل .

(٢) هذا تنبيه منه عليه السلام على وجود الحيوانات الحية والميكروبات المخفية عن الانظار و المقول ، قبل وجود المكبّرات واختراع الميكروسكوب والانظار بقرون ، وغير خفى أن العلم بذلك في أحد عشر قرناً قبل زماننا لم يك يحصل إلّا لدوى النفوس الكاملة والانظار الثاقبة ، الذين خصهم الله من بريته بفضلهم ، وأيدهم بحكمته ، وانتجهم لولايتهم من بين خلقه ، وعلمهم ما لا يعلم غيرهم من عبيده .

(٣) وفي نسخة : والشهوة للبقاء .

(٤) وفي نسخة : لطيف يخلق اللطيف .

الاسم ، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق ، فإذا قيل لله فهو الواحد الذي لا واحد غيره لأنه لا اختلاف فيه ، وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين .

قال : فأخبرني عن قوله : رؤوف رحيم ، وعن رضاه ومحبته وغضبه وسخطه . قلت : إن الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود ، وإن رحمة الله نوابه لخلقه ؛ والرحمة من العباد شيان : أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء ، والآخر ما يحدث منّا من بعد الرأفة واللطف على المرحوم والرحمة منّا ما نزل به ، وقد يقول الفائل : انظر إلى رحمة فلان وإنّما يريد الفعل الذي حدث عن الرقّة التي في قلب فلان ، وإنّما يضاف إلى الله عز وجلّ من فعل ما حدث عنّا من هذه الأشياء ؛ وأمّا المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لارحة رقة ؛ وأمّا الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا وحالت ألواننا ، ثمّ نجبيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمّي غضباً ، فهذا كلام الناس المعروف ؛ والغضب شيان : أحدهما في القلب ، وأمّا المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جلّ جلاله ، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جلّ وعزّ لا شبه له ولا مثل في شيء من الأشياء .

قال : فأخبرني عن إرادته . قلت : إن الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل ، وأمّا من الله عز وجلّ فالإرادة للفعل إحداً به إنّما يقول له : كن فيكون بلا تعب ولا كيف .

قال : قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل ؛ والحمد لله ربّ العالمين ، الذي هدانا من الضلال ، وعصمنا من أن نشبهه بشيء من خلقه ، وأن نشكّ في عظمته وقدرته ولطيف صنعته وجبروته ، جلّ عن الأشباه والأضداد ، وتكبّر عن الشركاء والأنداد .

شرح : قوله ﷻ : دفعته إليه على بناء المجهول أي دفعته الحاجة والضرورة إليه ، وفي الأساس : دفع فلان إلى فلان : انتهى إليه . قوله ﷻ : مغيض هو بفتح الميم وكسر الغين المعجمة : موضع يجري إليه الماء ويغيب أو يجتمع فيه ، وفي الثاني مصدر ميمي



قوله ﷺ : في الجهات الأربع أي الشمال والجنوب والصلب والدبور ، ويحتمل أن يكون المراد المتغيرة بسبب الصفات الأربعة التي فسرها ﷺ . قوله ﷺ : تلفح أجسادهم أي تنميتها ، مستعاراً من لقاح الشجر ، كما قال تعالى : و أرسلنا الرياح لواقح . وفي أكثر النسخ بالفاء وهو بمعنى الإحراق ، فيكون كناية عن نضجها . والودق : المطر . قوله : وقضباً يعني الرطبة ، سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى . وحدايق غلباً أي عظاماً ، وصفت به الحدائق لتكافئها وكثرة أشجارها ، أولاً لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب . وأباً : مرعى ، من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع ، أو من أب لكذا : إذا تهيأ له لأنه مهيأ للرعي ، وفاكية يابسة تؤب للمشاء . وقال الجوهري : الأثاث : متاع البيت قال الفراء : لا واحد له ، وقال أبو زيد : الأثاث : المال أجمع ، الإبل والغنم والعبيد والمتاع ، الواحدة : أثانة . انتهى . ومتاعاً أي شيئاً ينتفع به . إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا . قوله ﷺ : والاتفاع عطف على أصوافها ، أو في أصوافها . قوله ﷺ : ومستقر اسم مكان معطوف على الأدواء . قوله ﷺ : هو الأول ولا كيف أي كان أزلياً من غير اتصاف بكيفية ، أو من غير أن تعرف كيفية أو ليست بمقارنة زمان قديم بل بلا زمان . قوله ﷺ : لا من شيء ولا كيف أي لا من مادة ولا من شبه ومثال وتصوّر وخیال تمثل فيه كيفية الخلق ثم خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين . قوله ﷺ ثانياً : ولا كيف أي ليس لخلقه وإيجاده كيفية كما في المخلوقين من حركة ومزاولة عمل فكما أنه لا كيف لذاته لا كيف لإيجاده ، وإذا وصف خلقه وإيجاده بالكيف فهو يرجع إلى كيفية خلقه فإذا قيل : كيف خلق الأشياء فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لأنه كيف كان فعله وإيجاده ، وإليه أشار ﷺ بقوله : وإنما الكيف بكيفية المخلوق ، ثم علل ذلك بأن هذه صفات المحدثين ، وهو الأول لا بد له ولا شبه فكيف يتصف بها . قوله ﷺ : الذي خلق خبر مبتداء محذوف أي هو الذي . وقوله ﷺ : وتصريف الرياح عطف على الخلق العظيم ويحتمل العطف على قوله : مثل الأرض . قوله ﷺ : بلوغاً ولا منتهى لعل المراد أنه لا يبلغ الأبصار إليهما ، ولا إلى منتهى نورهما ، أو منتهى جسمهما .

قوله ﷻ: وعظم الخلق العظيم أي السماء أو ما عليها من الملائكة . قوله : ولا يشبهه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أي لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سبباً لأن يظن أنه شيء بخلقه . قوله : إنما غرضي أي غرضي من السؤال أن تجيب عما يعرض لي من إشكال يصرّفني عن الحق ، يسنح ويظهر غشّي ، وفي بعض النسخ عن ردّ الجواب فيه عند متعرّف غيبي . أي إني قد آمنت وأيقنت ، وإنما المقصود من السؤال أن أقدر على أن أجيب عن سؤال متعرّف غيبي جاهل أحقّ لأهديه إلى الحق ؛ وهو أظهر . والحدب : العطف والشفقة ، ولعل المراد بما في أعنان السماء ما يطير في الهواء . وقد مرّ تفسير بعض الفقرات وسيأتي تفسير بعضها .

## ﴿ باب ٦ ﴾

﴿ التوحيد ونفى الشريك ومعنى الواحد والاحد والصمد ﴾  
﴿ وتفسير سورة التوحيد ﴾

الآيات ، البقرة : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ١٦٣ « وقال تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً <sup>(١)</sup> يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشدّ حباً لله ١٦٥ « وقال سبحانه : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ٢٥٥ « وقال تعالى : لله ما في السموات وما في الأرض ٢٨٤

آل عمران : وما من إله إلا الله ٦٢ « وقال تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم <sup>(٢)</sup> ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ٦٥ <sup>(٣)</sup>

(١) أي من الاصنام أو الرؤساء أو الأعم . يحبونهم أو يعظمونهم ويعفونهم كنعظيمه تعالى والليل إلى طاعته . قوله : أشدّ حباً لله أي لا تنقطع محبتهم لله ، بخلاف محبة الانداد فانها لا غرض فاسدة تزول بأدنى سبب . منه رحمه الله .

(٢) أي لا يختلف فيها الرسل والكتب . منه رحمه الله .

(٣) أي الزمتمكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم ، واعترفوا بانكم كافرون بما نطق به الكتب وتطابقت عليه الرسل . منه رحمه الله .

النساء : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ٤٨ « وقال تعالى : » ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً \*  
 إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ١١٧ « وقال : » ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ١٣٢

انعام : قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين \* بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ٤٠ ، ٤١  
 « وقال تعالى : » قل إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله ٥٦

الاعراف : ما لكم من إله غيره \* في مواضع ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣  
 يونس : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ٦٦ « وقال تعالى : » قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوحيكم وأمرت أن أكون من المؤمنين \*  
 وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين \* ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ١٠٤ - ١٠٦

هود : ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير  
 يوسف : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ٣٨ « وقال : » يا صاحبي السجن ، أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار \* ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٩ ، ٤٠ « وقال : » وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ١٠٦

الرعد : له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال \* والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال \* قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه

فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء، وهو الواحد القهار ١٤ - ١٦ «وقال»: قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ٣٠ «وقال»: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمواهم أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ٣٣ «وقال»: قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُوا وإليه مآب ٣٦  
إبراهيم: وليعلموا أنما هو إله واحد ٥٢

النحل: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ✽ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ٢، ٣ «وقال تعالى»: وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ✽ وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ✽ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجفرون ✽ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ✽ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ✽ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ✽ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٥١ - ٥٧

الاسراء: لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ✽ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ٢٢، ٢٣ «وقال تعالى»: ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ٣٩ «وقال تعالى»: قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلاً ✽ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ٤٢، ٤٣ «وقال تعالى»: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ✽ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ٥٦، ٥٧

الكهف: فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً ✽ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاً لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ١٤، ١٥ «وقال الله تعالى»: لكننا هو الله ربّي ولا أشرك

بربّي أحداً ٣٨ «وقال تعالى» : ويقول ياليتني لم أشرك بربّي أحداً ٤٢ «وقال تعالى» :  
أفحسب<sup>(١)</sup> الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ١٠٢ «وقال تعالى» : قل إنما  
أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربّه<sup>(٢)</sup> فليعمل  
عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ١١٠

مريم : واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً \* كلا سيكفرون بعبادتهم  
ويكونون عليهم ضدّاً ٨١، ٨٢

الأنبياء : وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا  
يستحسرون \* يسبحون الليل والنهار لا يفترون \* أم اتخذوا آلهة من الأرض هم  
ينشرون \*<sup>(٣)</sup> لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون \*  
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون \* أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر  
من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون \* وما أرسلنا من قبلك  
من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ١٩-٢٥ «وقال تعالى» : وإذا رآك  
الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم  
كافرون ٣٦ «وقال تعالى» : قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر  
ربّهم معرضون \* أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا  
يصحبون<sup>(٤)</sup> ٤٢-٤٣ «وقال تعالى» : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها  
واردون \* لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون \* لهم فيها ذفiroهم فيها  
لا يسمعون \* إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ٩٨-١٠١ «وقال  
تعالى» : قل إنما يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ١٠٨

(١) مفعول الثاني «لحسب» مقدر أى نافعهم أو لا اعتد بهم ، أوسد «أن يتخذوا» مسد المفعولين .  
منه رحمه الله .

(٢) أى يأمل حسن لقاءه يخاف سوء لقاءه . منه رحمه الله .

(٣) قوله : هم ينشرون أى الموتى ، وهم وإن لم يقرّوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم  
كونها آلهة . منه رحمه الله .

(٤) أى من عذابه ، وقوله : لا يستطيعون استينافى لا بطل ما اعتقدوه . ولا هم منا يصحبون أى  
لا يجارون من عذابنا ولا يصحبهم منا نصر . منه رحمه الله .

**الحجج :** حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ٣١ « وقال » : ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ٧١

**المؤمنون :** ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون \* عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ٩١- ٩٢ « وقال عز وجل » : فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم \* ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ١١٦، ١١٧

**الفرقان :** واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ٣  
**الشعراء :** فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتنكون من المعذنين ٢١٣

**النمل :** الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ٢٦ « وقال تعالى » : قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى . الله خير أمّا يشركون \* أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها . إله مع الله بل هم قوم يعدلون \* (١) أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي (٢) وجعل بين البحرين حاجزاً . إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون \* أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض . إله مع الله قليلاً ما تذكرون \* أمّن يهديكم (٣) في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته . إله مع الله تعالى الله عما يشركون \* أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض . إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ٥٩ - ٦٤

**القصص :** ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون \* قال الذين

(١) أى يعدلون عن الحق . منه رحمه الله .

(٢) أى جبلاً ثابتة . والبحران : العذب والمالح وبعراً فارس والروم . منه رحمه الله .

(٣) أى بالنجوم وعلامات الأرض . بين يدي رحمته أى المعطر من السماء والأرض أى بأسبابها . منه رحمه الله .

حق عليهم القول <sup>(١)</sup> ربنا هؤلاء الذين أغويانا كما غويانا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون \* <sup>(٢)</sup> وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ٦٢ ، ٦٤ \* وقال تعالى : « ولا تكونن من المشركين \* ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ٨٧ ، ٨٨ »

**العنكبوت :** وإن جاهدك للشرك بئ ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنتحكم بما كنتم تعملون ٨ \* وقال عز وجل : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون \* إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم \* وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ٤١ - ٤٣ »

**الروم :** ولا تكونوا من المشركين \* من الذين فرقوا دينهم <sup>(٣)</sup> وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون \* وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون \* ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون \* أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ٣١ - ٣٥ \* وقال تعالى : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ٤٠ »

**لقمان :** يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ١٣ \* وقال : « وإن جاهدك على أن تشرك بئ ما ليس لك به علم فلا تطعهما ١٥ »

**سبا :** قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا

(١) أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشیاطین والذين أغوا الغلق من الانس . ربنا هؤلاء الذين أغويانا يعنون اتباعهم . ما كانوا إيانا يعبدون أى لم يكونوا يعبدوننا ، بل كانوا يعبدون الشیاطین الذين زيفوا عبادتنا ، أو لم يعبدونا باستحقاق . منه رحمه الله .

(٢) أى بحيلة لدفع العذاب أو إلى الحق ، وقيل : « لو » للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين . منه رحمه الله .

(٣) أى الشیاطین حيث أطاعوهم ، وقيل : كانوا يتمثلون ويتمثلون أنهم الملائكة فيعبدونهم . منه رحمه الله .

في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ٢٢ « وقال تعالى » : قل أروني المذنبين ألحقتم به شركاء كلاً بل هو الله العزيز الحكيم ٢٧ « وقال سبحانه » : ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيتاكم كانوا يعبدون \* قالوا سبحانه أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ٤٠ - ٤١

فاطر : يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنسى توفكون ٣ « وقال سبحانه » : وما يستوي البحران هـذا عذب فرات <sup>(١)</sup> سائغ شرا به وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون \* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وستخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى <sup>(٢)</sup> ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير \* إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم <sup>(٣)</sup> ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتئكم مثل خير ١٢-١٤ « وقال تعالى » : قل أرأيتم شركاكم المذنبين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ٤٠

يس : واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون \* لا يستطيعون نصرهم وهم لهم

جند محضون ٧٤، ٧٥

والصافات : والصافات صفّاً \* فالزاجرات زجراً \* فالتاليات ذكراً \* <sup>(٤)</sup>

(١) قيل : الفرات هو الذي ينكسر به العطش ، والسائغ : الذي يسهل انحداره ، والاجاج : الذي يحرق ببلوخته . والمراد بالحلية اللثالي . مواخر أى تشق الماء بجريها . منه رحمه الله .  
(٢) الاجل المسمى مدة دوره أى انتهاء ، أو يوم القيامة . القطمير لفافة النواة . منه رحمه الله .  
(٣) أى على فرض الحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانقاع ، أولتبريهم منكم مما تدعون لهم . منه رحمه الله .

(٤) أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية ، الزاجرين لاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها ، أو الناس من المعاصي والشرائط عن التعرض لهم ، التاليات آيات الله تعالى وأمراته على أنبيائه وأصفياه . أو بطوائف العبادات ، الزاجرين عن الكفر والمعاصي ، التاليات آيات الله وشراعه . أو بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد ، الزاجرين الغيل والعدو ، والتاليات ذكراً لله لا يشغلهم عنه مجاهدة الأعداء . منه قدس سره .



إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ رَبُّ الْمَشَارِقِ ۖ ٥  
ص : وما من إله إلا الله الواحد القهار ۖ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
العزیز الغفار ٦٦، ٦٥

الزمر : ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعِيْ تَصْرِفُونَ ٦ « وقال تعالى :  
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ  
مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ٨  
» وقال تعالى : « قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۖ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ١٤، ١٥ » وقال  
سبحانه : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ  
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٩ » وقال تعالى : « قُلْ أَغْفِرُ لِلَّهِ تَأْسِرُونَ ۖ أَعْبُدْ إِلَهَ  
الْجَاهِلُونَ ۖ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ  
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ بَلِ اللَّهُ فَاعِبٌ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٤-٦٦

المؤمن : ذَلِكُمْ بَأْتُهُ إِذَا دَعَى اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ١٢ « وقال :  
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْءًا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠  
» وقال تعالى : « وَيَأْقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النُّجُودِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ  
بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعِزِّزِ الْغَفَّارِ ٤٢، ٤١ » وقال تعالى :  
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعِيْ تَوْفِيقِي ٦٢ « إلى قوله تعالى : « هُوَ الْحَيُّ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ٦٥ » إلى قوله تعالى : « فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا  
بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ٨٤

السجدة : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا  
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۖ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦ « إلى قوله تعالى : « قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي  
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ » وقال تعالى : « إِذْ جَاءَتْهُمْ  
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ١٤ » وقال تعالى : « وَيَوْمَ يَنَادُهُمْ  
أَيْنَ شُرَكَاؤِكُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا  
مَالَهُمْ مِنْ حَيِّصٍ ٤٧، ٤٨ » وقال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تسجدوا للشمس ولللقمر واسجدوا لله الذي خلقهم إن كنتم إياه تعبدون \* فإن  
استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ٣٧، ٣٨  
حمسق : أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على  
كل شيء قدير ٩ « وقال تعالى : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ١٣  
الزخرف : وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون \* إلا الذي فطرني  
فإنه سيهدين ٢٦، ٢٧ « وقال تعالى : وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون  
الرحمن آلهة يعبدون ٤٥ « وقال تعالى : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه  
يصدون \* وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ٥٧، ٥٨  
الجن : ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم  
عذاب عظيم ١٠

محمد : فاعلم أنه لا إله إلا الله ١٩  
ق : الذي جعل مع الله إلهاً آخر فآلقياء في العذاب الشديد ٢٦  
الذاريات : ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنني لكم منه نذير مبين ٥١  
الطور : أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون ٤٣  
المتنحة : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم  
إننا برآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله ٤  
الجن : قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً ٢٠  
المزمل : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلاً ٩  
التوحيد : قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له  
كفواً أحد .

١ - يد ، ل : الطالقاني ، عن محمد بن سعيد بن يحيى ، عن إبراهيم بن الهيثم البلدي ،  
عن أبيه ، عن المعافى بن عمران ، عن إسرائيل ، عن المقدم بن شريح بن هاني ، عن أبيه قال :  
إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إن الله  
واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابي أمارى ما فيه أمير المؤمنين

من تقسم القلب؛<sup>(١)</sup> فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم؛ ثم قال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول الفائل : واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة؛ وقول القائل : هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا؛ وقول القائل : إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل.

مع : عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل السنجرى، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة الشعراني العمساري - من ولد عماد بن ياسر - عن أبي محمد عبيد الله بن يحيى بن عبد الباقي الآذني، عن أبي المقدم بن شريح ابن هاني، عن أبيه مثله.

بيان : التقسيم : التفرق، والمعنى الأول المذموم هو الوحدة العددية بمعنى أن يكون له ثان من نوعه، والثاني أن يكون المراد به صنفاً من نوع، فإن النوع يطلق في اللغة على الصنف، وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لرومي مثلاً : هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أن صنف هذا صنف من أصناف الناس، أو هذا من صنف من أصنافهم، ويحتمل أن يكون المراد بالأول الذي له ثان في الإلهية، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنه يريد به أي بالناس أنه نوع لهذا الشخص، ويكون ذكر الجنس لبيان أن النوع يستلزم الجنس غالباً فيلزم التركيب من الأجزاء العقلية. والمعنيان المثبتان : الأول منهما إشارة إلى نفي الشريك، والثاني منهما إلى نفي التركيب. وقوله : في وجود أي في الخارج.

(١) تقسم الشيء : فرقه . تقسمته الهموم أي وزعت خواطره .

٢ - يد ، مع : أبي ، عن محمد العطّار ، عن ابن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفري<sup>(١)</sup> قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد ؟ قال : المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية .

سن : أبي ، عن داود بن القاسم مثله .

٣ - ج : عن أبي هاشم الجعفري<sup>(٢)</sup> ، قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : قل هو الله أحد ما معنى الأحد ؟ قال : المجتمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنَّ الله ؛ بعد ذلك له شريك و صاحبة ؟ .

بيان : قوله عليه السلام : بعد ذلك استفهام على الإنكار أي كيف يكون له شريك و صاحبة بعد إجماع القول على خلافه ؟ .

٤ - يد : ابن عصام والذقاق معاً ، عن الكليني<sup>(٣)</sup> ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن جميعاً ، عن سهل ، عن أبي هاشم الجعفري<sup>(٤)</sup> قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد ؟ قال : الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عز وجل : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله .<sup>(٥)</sup>

(١) هو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طاب رحمه الله ، كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، وثقه النجاشي ، وقد شاهد جماعة من الأئمة ، منهم الرضا ، والجواد ، والهادي والعسكري ، وصاحب الأمر عليهم السلام ، وروى عنهم ، وله أخبار ومسايل ، وله شعر جيد فيهم ، و كان مقدماً عند السلطان ، وله كتاب روى عنه أحمد بن أبي عبد الله . وعده ابن طاووس «على ما حكى» في وبيع الشيعة من سفراء الصاحب عليه السلام والإبواب المعروفين الذين لا تختلف الاثنا عشرية فيهم .

(٢) الظاهر من ضامين الأحاديث الثلاثة أنها متحدة ، وأن أبا هاشم الجعفري سئل مرة واحدة عن موضوع واحد ، والاختلاف الذي يترأى فيها جاء من قبل الرواة بعد النقل بالمعنى ونقلها بالتفصيل والإجمال . كما أن الظاهر من الحديث الثاني الذي نقل فيها ألفاظ السائل بتمامها أن المسؤل عنه هو معنى الأحد الواقع في سورة الإخلاص - بل هو صريح في ذلك - لا المعنى الواحد كما في الحديث الأول والثالث المنقولين بالمعنى ؟ وحاصل السؤال استفهام معنى الأحد ، و كأنه أراد فهم الفرق بينه وبين معنى الواحد ، فأجابه عليه السلام بأن الأحد هو الذي لا يرى ذوى الألسن والعقول له شريك في وحدته ، واجتمعوا باتصافه بالوحدانية دون غيره ، ثم استشهد عليه السلام لكونه تعالى كذلك بالاية وأن طوائف الناس بأجمعها مدعته باتصافه بأنه خالق السموات والأرض وأنه إلههما دون غيره . والحاصل كل ما يراه الناس بطوائفه وأصنافه أنه واحد في ذاته أو في صفاته ولم يروا في ذلك له شبه ونظير فهو المسمى بالاحد ، بخلاف الواحد فإنه يحتمله وغيره والأول يسمى بالفارسية «يكناه» والثاني «يك» والأول لا يقع في مراتب الأعداد بخلاف الثاني .

بيان : يحتمل تلك الأخبار وجوهاً :

الأول : أن يكون صَلَّى أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه ، واستدل عليه بما جبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده .

الثاني : أن يكون المراد به أن معنى الواحد هو الذي أقر به كل ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانية .

الثالث : أن يكون هذا اللفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن .<sup>(١)</sup>

ثم الظاهر أن يكون الآية احتجاجاً على مشركي قريش حيث كانوا يقرّون بأن الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى ، ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ؛ ويحتمل أن يكون المراد أن غرائز الخلق كلها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذ رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبية والعناد يرون أنفسهم مذعنة بذلك ، وينبّه على ذلك أنهم عند اضطرارهم في المهالك والمخاوف لا يلجؤون إلا إليه كما نبّه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد ؛ والأول أظهر فإنّ للتوحيد ثلاثة معان : الأول توحيد واجب الوجود ، والثاني توحيد صانع العالم ومدبر النظام ، والثالث توحيد الإله وهو المستحق للعبادة ، وكان مشركوا القريش مخالفين في المعنى الثالث .

٥ - ج : عن هشام بن الحكيم أنه سأل الزنديق الصادق ع عن قول من زعم أن الله لم يزل معه طينة موزية فلم يستطع التفصي<sup>(٢)</sup> منها إلا باهتزاجه بها ودخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء . قال : سبحان الله وتعالى ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصي من الطينة ! إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكأننا إلهين قديمين فامتزجا

(١) اما المعنيان الاولان فهما بحسب الدقة واحد وهو الذي جبل عليه العقول ولا تأثير للشبهة

العرفية في هذه المعاني ؛ واما الثالث فاحتمال فاسد من اصله لا يعمل عليه الاخبار اذ لا معنى لدعوة

القرآن الى الحقيقة الشرعية من غير بيان ولا إشارة إلغاذاً وتعمية . ط

(٢) التفصي : التخلص .

و دبراً العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء ، وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلّي القديم والميت لا يحيى منه حي<sup>(١)</sup> . هذه مقالة الديبصانية أشدّ الزنادقة قولاً وأهمّهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنفتها أوائهم ، وحبروها<sup>(٢)</sup> لهم بالفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجة توجب إثبات ما ادّعوا ، كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ؛ وتكذيباً بما جاءوا به عن الله .

فأمّا من زعم أن الأبدان ظلمة والأرواح نور وأنّ النور لا يعمل الشرّ والظلمة لا تعمل الخير فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ، ولا ركوب حرمة ، ولا إتيان فاحشة ، وأنّ ذلك على الظلمة غير مستنكر . لأنّ ذلك فعلها ، ولاله أن يدعورباً ، ولا يتضرّع إليه ، لأنّ النور ربّ ، والربّ لا يتضرّع إلى نفسه ، ولا يستعيز بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : أحسنت وأسأت ، لأنّ الإساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها ، والإحسان من النور ، ولا يقول للنور لنفسه : أحسنت يا محسن ، وليس هناك ثالث ، فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلاً وأتقن تديراً وأعزّ أركاناً من النور لأنّ الأبدان محكّمة فمن صورّ هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ، وكلّ شيء يرى ظاهراً من الظهر والأشجار والثمار والطيور والدوابّ يجب أن يكون إلهاً ثمّ حبست النور في حبسها والدولة لها ، وما ادّعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنور فدعوى ، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل لأنّه أسير ، وليس له سلطان فلا فعل له ولا تدير ، وإن كان له مع الظلمة تدير فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة فإنّه يظهر في هذا العالم إحسان وخير مع فساد وشرّ ، فهذا يدلّ على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله كما تحسن الشرّ وتفعله ، فإن قالوا : محال ذلك فلانور يثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ويرجع الأمر إلى أن الله واحد وما سواه باطل فهذه مقالة «ماني» الزنديق وأصحابه .

و أمّا من قال : النور والظلمة بينهما حكم فلا بدّ من أن يكون أكبر الثلاثة

(١) وفي نسخة : والميت لا يحيى منه حي .

(٢) أي دجّوها وحسنوها بالفاظ أباطيل موهمة .

الحكم ، لأنه لا يحتاج إلى الحاكم إلا مغلوب ، أوجاهل ، أو مظلوم ، وهذه مقالة المدقونية<sup>(١)</sup> والحكاية عنهم تطول .

قال : فما قصة مانى ؟ قال : متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية ،<sup>(٢)</sup> فأخطأ الملتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما ، وزعم أن العالم دبّر من إلهين : نور وظلمة ، وأن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذبته النصرارى وقبلته المجوس . الخبر .<sup>(٣)</sup>

توضيح وتحقيق : اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الشنوية ولنحقق أصل مذاهبهم ليتضح ما أفاده عليه السلام في الرد عليهم .  
الاول : مذهب الديسانية وهم أصحاب ديسان ، وهم أثبتوا أصليين : نوراً و ظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شرّ وضرّ وفتن وقبح فمن الظلام ؛ وزعموا أن النور حيّ عالم قادر حسّاس درّك ، ومنه تكون الحركة والحياة ؛ والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات ، لا فعل لها ولا تمييز ؛ وزعموا أن الشر يقع منه طبعاً ؛ وزعموا أن النور جنس واحد ، وكذلك الظلام جنس واحد ، وأن إدراك النور إدراك متفق ، وأن سمعه وبصره هو حواسه ، وإنما قيل : سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنهما في نفسيهما شيان مختلفان .

وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة<sup>(٤)</sup> وأنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ، و وجده طعماً لأنّها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك يقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجسّتها ؛ وزعموا أن النور بياض كله ، وأن الظلمة سواد كلّها ؛ وزعموا أن النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه ، وأن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها .

(١) وفي نسخة : وهذه مقالة المرقوبة .

(٢) أي زادها ببعض النصرانية .

(٣) قال الفيروز آبادي : مجوس كصبور رجل صغير الاذنين وضع ديناً ودعاه إليه ؛ معرب «ميج كوش» .

(٤) البجس والمجسّة : موضع اللبس .

واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أن النور دخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها ، وأحب أن يرققها ويلينها ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جسمها ، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد وصفيحته لينة وأسانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد ، فيلطف النور بليته حتى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة ، فلا يتصور الوصول إلى كمال وجوده إلا بلين وخشونة .

وقال بعضهم : بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفيحته ودرجه فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه و ذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد ليجوياً فيه ، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه .

وقال بعضهم : إن النور إنما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ، فلمّا دخل تشبث به زماناً فصار يفعل الجور والقيح اضطارداً لا اختياراً ، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض والحسن البحت ،<sup>(١)</sup> و فرق بين الفعل الضروري وبين الفعل الاختياري .

الثاني : مذهب المانوية أصحاب مانى الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، و ذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقر بنبوّة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى السورّاق أن الحكيم مانى زعم أن العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليّان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً ، وزعم أنهما لم يزالا قويتين حسّاسين ، سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادّان ، والخير والشر متعاذيان تحاذي الشخص والظل ؛ والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه خيرة كريمة حليلة نافعة عاملة ، وفعله الخير والصالح والنفعة والسرور والترتيب

(١) البعث : العرف الخالص .



والنظام والاتفاق ، وجهته فوق ، وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال .  
وزعم بعضهم أنه بجذب الظلمة وأجناسه خمسة : أربعة منها أبدان ، والخامسة  
روحها : فالأبدان النار والريح والنور والماء ، وروحها النسيم ، وهي تتحرك في هذه  
الأبدان ، وصفاته حسنة خيرة طاهرة زكية .

وقال بعضهم : كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، وأرض النور  
لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس ، وشعاعها كشعاع  
الشمس ، ورائحتها طيبة أطيب رائحة ، وألوانها ألوان قوس قزح .

وقال بعضهم : ولا شيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض النور ، وهي  
خمس . وهناك جسم آخر ألطف منه وهو الجو وهو نفس النور ، وجسم آخر ألطف منه  
وهو النسيم وهو روح النور . قال : ولم يزل يولد ملائكة وآلهة أولياء ليس على سبيل  
المناكة بل كما يتولد الحكمة من الحكيم ، والنطق الطيب من الناطق . وملك ذلك  
العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور .

وأما الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لثيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر ، و  
نفسها شريرة لثيمة سفينة ضارة جاهلة ، وفعلها الشر والفساد ، والضرر والغم و  
التشويش والاختلاف ، وجهتها تحت ، وأكثرهم على أنها منحطة من جانب الجنوب .  
وزعم بعضهم : أنها بجذب النور ، وأجناسها خمسة : أربعة منها أبدان والخامسة  
روحها ، فالأبدان هي الحريق والظلمة والسوم والضباب ، وروحها الدخان ، وهو  
يتحرك في هذه الأبدان ، وأما صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة .

وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، فأرض الظلمة  
لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب ، ورائحتها كريهة أنتن الروائح  
وألوانها السواد .

وقال بعضهم : ولا شيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض الظلمة ،  
وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان ، وجسم آخر أظلم منه وهو السوم ، وقال : ولم يزل  
تولد الظلمة شياطين و عفاريت لاعلى سبيل المناكة بل كما يتولد الحشرات من

العفونات القذرة ، قال : و ملك ذلك العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الشرّ والذميمة والظلمة .

ثم اختلفت المانويّة في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه ؛ قال بعضهم إنّ النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار ، وقال أكثرهم : إنّ سبب الامتزاج أنّ أبدان الظلمة تشاغل عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على مازجة النور ، فأجابتها لا سراها إلى الشرّ ، فلمّا رأى ذلك ملك النور وجهه إليها ملكاً من ملامكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة ، فاختلطت الخمسة النوريّة بالخمس الظلاميّة ؛ فخالط الدخان النسيم ، وإنّما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم ، والهلاك والآفات من الدخان ؛ وخالط الحريق النار ؛ والنور والظلمة ؛ والسوموم الريح ؛ والضباب الماء . فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور ، وما فيه من مضرة وشرّ وفساد فمن أجناس الظلمة ، فلمّا رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكاً من ملامكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة ، وإنّما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة . هذا ما ذكر الشهرستاني من تحقيق مذهبهم مع خرافات آخر نقلها عنهم .

وقال ابن أبي الحديد : قالت المانويّة : إنّ النور لانهية له من جهة فوق وأمّا من جهة تحت فله نهاية ؛ والظلمة لانهية لها من جهة أسفل وأمّا من جهة فوق فلها نهاية ؛ وكان النور والظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة ، وإنّ بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء ،<sup>(١)</sup> وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة ، فاقترضى حكمة نوراً لنوار وهو الباري سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى ، والجبال من عظامهم ، والبحار من صديدهم<sup>(٢)</sup> ودمائهم ، والسماء من جلودهم ، وخلق الشمس والقمر وسيّرهما لاستصفاء ما في العالم

(١) وفي نسخة : لينخلص المأمورين من تلك الأجزاء .

(٢) الصديد : القيح المختلط بالدم .

من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة ، وجعل حول العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفي ، فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر في ذلك الخندق وهو ظلام صرف قد استصفي نوره .

و أمّا النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفاء بعالم الأنوار فلا تزال الأفلاك متحركة والعالم مستمرّاً إلى أن يتمّ استصفاء النور الممتزج ، حينئذ يبقى من النور الممتزج شيء منعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه ، فعند ذلك تسقط الأجسام العالية - وهي الأفلاك - على الأجسام السافلة - وهي الأرضون - وتفور نار تضطرم في تلك الأسفل وهي المسماة بجهنّم ، ويكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة ، فتحلّل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التي عجز الشمس والقمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل حينئذ ، ويعود النور كلّ إلى حاله الأولى قبل الامتزاج وكذلك الظلمة .

**الثالث :** المرقوبيّة أثبتوا أصليين متضادّين : أحدهما النور ، والثاني الظلمة ، و أثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدّل الجامع وهو سبب المزاج ، فإنّ المتنافرين المتضادّين لا يمتزجان إلّا بجامع ، وقالوا : الجامع دون النور في الرتبة ، وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم .

و منهم من يقول : الامتزاج إنّما يحصل بين الظلمة والمعدّل إذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيّب به ويلتذّ ملاذّه فبعث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحيّة وهو روح الله وابنه تحنّناً على المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتّى يخلصه من حبال الشياطين ، فمن اتّبعه فلم يلامس النساء ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا ، ومن خالفه خسرو هلك . قالوا : وإنّما أثبتنا المعدّل لأنّ النور الذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان ، فإنّ الضدّين يتنافران طبعاً ، ويتمنعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؟ فلا بدّ من معدّل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه . كذا ذكره الشهرستاني .

وقال ابن أبي الحديد : قول المجوس هو أنّ الغرض من خلق العالم أن يتحصّن

الخالق جلّ اسمه من العدو<sup>(١)</sup> وأن يجعل العالم شبكة له ليقوع العدو فيه ، ويجعله في ربط ووثاق . والعدو عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم حدوثه . قال قوم منهم : إنّ الباري عزّ وجلّ استوحش ففكر فكرة رديّة فتولّد منها الشيطان . وقال آخرون : بل شكّ شكّاً رديّاً فتولّد الشيطان من شكّه . وقال آخرون : بل تولّد من عفونة رديّة قديمة .

وزعموا أنّ الشيطان حارب الباري سبحانه ؛ وكان في الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان الباري سبحانه فلم يزل يزحف حتّى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى في النور ، وأدخل معه البلايا والشُرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك والأرض والعناصر شبكة له ، وهو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأوّل والظلمة فهو أبداً يضطرب ويرمي الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياء الله رماه الشيطان بالموت ، ومن أصحّاه رماه الشيطان بالسقم ، ومن سرّاه رماه الشيطان بالحزن والكآبة فلا يزال كذلك . وكلّ يوم ينتقص سلطانه وقوّته لأنّ الله تعالى يحتال له كلّ يوم ويضعفه إلى أن تذهب قوّته كلّها ، ويخمد ويصير جماداً جامداً هوائياً ، و يجمع الله تعالى أهل الأديان فيعدّ بهم بقدر ما يطهرهم ويصفّيهم من طاعة الشيطان ، ويفسّلهم من الأدناس ثمّ يدخلهم الجنّة وهي لا أكل فيها ولا شرب ولا تمتّع ، ولكنّها موضع لذّة وسرور .

أقول : لما عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة التي يغني تقريرها عن التعرّض لإبطالها وتزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر .

فنقول : يظهر من كلامه ﷺ أنّ الديبانيّة قالوا : بقدّم الطينة أي الظلمة ، وبحدوث الامتزاج ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبته الشهرستاني إلى الزروانيّة حيث قال : زعم بعضهم أنّه كان لم يزل مع الله شيء رديّ إمّا فكرة رديّة ، وإمّا عفونة رديّة ، وذلك هو مصدر الشيطان ، وزعموا أنّ الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات ، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص فلمّا حدث «أهر من» حدثت الشرور والآفات والفتن<sup>(٢)</sup> وكان بمعزل من السماء فاحتال حتّى خرق السماء وصعد .

(١) وفي نسخة : أن ينحصر الخالق جلّ اسمه من العدو .

(٢) وفي نسخة : والآفات والبعث .

ثم إنه استدلل عليه على إبطال مذهبهم بوجهين : الأول أن قولكم : إنه تعالى كان لم يرل متأذياً من تلك الطينة ولم يستطع التفصلي منها يستلزم عجزه تعالى ، والعجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه ، وأيضاً يوجب الاحتياج إلى من يرفع ويدفع ذلك عنه ، وهوينافي وجوب الوجود الذي قام البرهان على اتصاف الصانع تعالى به .

والثاني : أنه لا يخلو إما أن تكون تلك الطينة الأزليّة حسيّة عالميّة قادرة ، فيكون كل منهما إلهاً واجباً بالذات ، لما قد ثبت بالعقل والنقل أن الممكن لا يكون قديماً فإذا حصل العالم من امتزاجهما فلا يجوز على شيء من أجزاء العالم الموت والفناء إذ انتفاء المركّب إنما يكون بانتفاء أحد أجزائه والجزآن هنا قديمان . ويحتمل أن يكون هذا إلزاماً عليهم حيث أثبتوا الظلمة وجعلوها ميتة جاهلة عاجزة جماداً لينسبوا إليها الموت والفناء ؛ زعماً منهم أن مثل هذه الأمور لا يصدر عن النور الحيّ العالم القادر ، وإمّا أن تكون ميتة أي عادمة للقدرة والعلم والإرادة ، وهذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود ، وهو يستلزم الاتصاف بالعلم والقدرة وسائر الكمالات ، وإليه أشار عليه بقوله فلا بقاء للميت مع الأزليّ القديم . ثم أبطل عليه ذلك بوجه آخر ، و هو أنهم ينسبون خلقت الموديات كالحيات والعقارب والسباع إلى الظلمة ، ولو كانت ميتة لا يجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم بديهة أنه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات وكيف يفيض الحياة والعلم والقدرة ممن لم يكن له حظ منها .

وأما المانويّة فيظهر من كلامه عليه في تقرير مذهبهم غير مأمّر من نقل الناقلين لمذهبهم ولا عبرة بنقلهم ، فانهم كثيراً ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة وغيرهم ممّا قد نعلم خلافها ، مع أنه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزاً ، وعلم عليه أن مرادهم بالنور الروح ، وبالظلمة الجسد ؛ والنور هو الربّ تعالى . ويؤيده أنه كان الملعون نصرانيّاً ومذهب النصاري في المسيح عليه قريب من ذلك ، ويحتمل أن يكون ما ذكره عليه مذهباً لجماعة من قدمائهم ، ثم غيروه إلى ما نقل عنهم ؛ وكون النور أسيراً

للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير و معارضة أهرمن له في كثير مما يريد . وقد استدلل عليه السلام على بطلان مذهبهم بوجوه :  
الأول : أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوي والمعاصي لأنها من فعل الجسد الذي هو الظلمة ، ولا يتأتى منه الخير ، ولا يستحق أحد الملامة على الشر ، لكونه مجبوراً عليه ، وقد نراه يلومون الناس على الشرور والمساوي ، فهذا دليل على بطلان مذهبهم .

الثاني : أنهم يستحسنون التضرع إلى الرب تعالى و عبادته والاستعانة به ، و أمثال تلك الأعمال فعل الروح الذي هو الرب بزعمهم فكيف يعبد نفسه و يستعين بنفسه و يتضرع إليها ؟ و إن قالوا : إنه يتضرع إلى الظلمة فكيف يليق بالرب أن يستعيز بغيره ؟

الثالث : أنه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد : أحسنت و لأسأت ، و هذا باطل اتفاقاً و بديهة ؛ و أما بيان الملازمة فلأن الحاكم بذلك إما النور أو الظلمة ، إذ المفروض أنه لا شيء غيرهما . و كلاهما باطلان : أما الأول فلأن الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المدح والممدوح و المفروض اتحادهما ، و يحتمل أن يكون هذا منبهاً على ما يحكم به العقل بديهة من المغايرة بين الأشخاص ، مع أنهم يقولون : بأن أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور و هو الرب تعالى ، و هذا قريب من الوحدة التي قالت به الصوفية . و أما الثاني فلأن الظلمة فعلها الإساءة و تعدّها حسنة ، فكيف تحكم بقبحها ؟

ويمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال : ظاهر أن التحسين والتشجيع من فعل النور ، ولا يتصور منه شيء ، منهما لأن المخاطب في «أسأت» هو الظلمة وهو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحق اللوم ، و هو المراد بقوله : وذلك فعلها ، والمخاطب في « أحسنت » هو النور لأن الحسن فعله فيتحد المدح والممدوح .

الرابع : أنهم يحكمون بأن النور هو الرب تعالى ، ويجب على هذا أن يكون أقوى و لمحكم وأنقن من الظلمة التي هي مخلوقة ، و يلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة

عكس ذلك لأن الأبدان عندهم من فعل الظلمة ، ولأنحكم بقدره الرب وعلمه وحكمته  
إلا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة ، و الأشجار و الثمار ، والطيور والدواب ،  
ولا نشاهد ممّا يقولون من الأرواح شيئاً ؛ فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة  
إلهاً قادراً حكيماً عليمًا . فقلوه عَلَيْهِ السَّلَامُ : من صور مبتداء ، و قوله : يجب أن يكون  
إلهاً خبره . و قوله : كل شيء معطوف على قوله : هذا الخلق .

الخامس : قولهم : بأن النور في حبس الظلمة ينا في القول بر بويست لان كونه محبوساً  
يستلزم عجزه و نقصه ، وكل منهما ينا في الربوبية كما مر ، وما دعوا من أنه في القيامة  
يغلب النور عليها فمع أنه لا ينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجة . وأيضاً يلزمهم  
أن لا يكون للنور فعل لا أنه أسير . وإن قالوا : بأن له أيضاً فعلاً من الخلق و التدبير  
فليس بأسير لأن العقل يحكم بأن الخالق المدبّر لا بدّ من أن يكون عزيزاً منيعاً قادراً  
قاهراً على كل من سواه فلمّا ثبت على قياس قولهم أنه أسير فيلزمهم بما قرّرنا أن  
يكون ما في العالم من الإحسان والخير أيضاً من فعل الظلمة ، فإن حكموا باستحالة  
ذلك أي كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم ، وهو الحكم بتوزيع الخلق ، وثبت  
ما قلناه : من أن الرب تعالى واحد لا يشاركه ولا يضاده في ملكه أحد .

و أمّا مذهب المرقونية فقد بين عَلَيْهِ السَّلَامُ بطلانه بأن القول بالحكم ينا في القول  
بربوبيّة النور ، لأن الحكم يكون قاهراً والنور مقهوراً ، وبديهة العقل حاكمة ببطلان  
كون الرب مقهوراً . وأيضاً يلزم أن يكون الحكم أعلم بالحكمة من النور الذي حكمتم  
أنه رب ، والضرورة قاضية بأن الرب الخالق لمثل هذا الخلق المدبّر لهذا النظام لا يكون  
جاهلاً . هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر ، وبسط القول فيه يحتاج  
إلى كتاب مفرد معمول لذلك . والله الموفق لكل خير .

٦ - فمس : ثم ردّ على الشنوية الذين قالوا بالهين فقال تعالى : ما اتخذ الله  
من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض :  
لو كان إلهين كما زعمتم لكانا يخلقان ، فيخلق هذا ولا يخلق هذا ، ويريد هذا ولا يريد  
هذا ، ولطلب كل واحد منهما الغلبة ، وإذا أراد أحدهما خلق إنسان وأراد الآخر

خلق بهيمة فيكون إنساناً و بهيمة في حالة واحدة وهذا غير موجود ، فلمّا بطل هذا ثبت التدبير ، والصنع لواحد ؛ ودلّ أيضاً التدبير ونباته وقوام بعضه ببعض على أنّ الصانع واحد جلّ جلاله ، و ذلك قوله : ما اتخذ الله من ولد الآية ، ثمّ قال أنفأ : سبحان الله عما تصفون .

بيان : أنفأ بالتحريك أي استنكافاً وتنزّهاً .

٧ - يد : مع : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الربيع بن محمد قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) - وسئل عن الصمد - فقال : الصمد الذي لا خوف له .

٨ - يد ، مع : الدقاق ، عن الكليني ، عن علّان ، عن سهل ، عن محمد بن وليد - و لقبه شباب الصيرفي - عن داود بن القاسم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك ما الصمد ؟ قال : السيّد المصمود إليه <sup>(١)</sup> في القليل والكثير .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطّار ، عن الأشعري ، عن الميثمي ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنّ اليهود سألو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا : انسب لنا ربك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ، ثمّ نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت : ما الصمد ؟ فقال : الذي ليس بمجوّف .

١٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسن بن أبي السري ، عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء من التوحيد ، فقال : إنّ الله تباركت أسماؤه التي يدعابها ، وتعالى في علوّ كنهه ، واحد توحيد في علوّ توحيده ، <sup>(٢)</sup> ثمّ أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدّوس ، يعبد كل شيء ، ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علماً .

إيضاح : واحد خبر «إنّ» والجملتان معترضتان أي تطهرت أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله وعظمته ، أو ثبت ولا يعترها التغيير ، وكلمة «في» في قوله : في علوّ كنهه تعليلية . وقوله (عليه السلام) : توحيد بالتوحيد أي لم يكن في الأزل أحد يوحده

(١) صمد إليه : قصده .

(٢) وفي نسخة : في علوّ توحده .



فهو كان يوحد نفسه فكان متفرداً بالوجود ، متوحداً بتوحيد نفسه ، ثم بعد الخلق عرفهم نفسه ، وأمرهم أن يوحدوه ، أو المراد أن توحده لا يشبه توحيد غيره ، فهو متفرد بالتوحيد ،<sup>(١)</sup> أو كان قبل الخلق كذلك ، وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه ، إذ الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة .

١١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن علي بن سيف بن عميرة ، عن محمد بن عبيد قال : دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي : قل للعباسي<sup>(٢)</sup> يكف عن الكلام في التوحيد وغيره ، ويكلم الناس بما يعرفون ، ويكف عما ينكرون ، وإذا سألك عن التوحيد فقل - كما قال الله عز وجل - : قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفواً أحد \* وإذا سألك عن الكيفية فقل - كما قال الله عز وجل - : ليس كمثله شيء ؛ وإذا سألك عن السمع فقل - كما قال الله عز وجل - : هو السميع العليم ؛ كلم الناس بما يعرفون .

١٢ - يد : حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلقي رضي الله عنه ، قال حدثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن يعقوب بن محمد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة خجندة ، قال : حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن شجاع الفرغاني ، قال حدثني أبو محمد الحسن بن حماد القبري بمصر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقي ، عن أبي البخري وهب بن وهب القرشي ، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل : قل هو الله أحد ، قال : « قل » أي أظهرهما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ، ليتهدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، و « هو » إسم مشار ومكتسب إلى غائب ، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك : « هذا » إشارة إلى الشاهد عند الحواس ، وذلك أن

(١) وفي نسخة : فهو متفرد بالتوحيد .

(٢) العباسي لقب جمع كثير مشترك بين الثقة والضعيف منهم إبراهيم بن هاشم ، وهشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني ، وهشام بن إبراهيم البغدادي المشرقي وغيرهم ، والظاهر من الوحيد البهبهاني أن الواقع في الحديث هو المشرقي ، وأنه ثقة .

الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : قل هو الله أحد . فالهاء تثبت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار وطس الحواس ، والله تعالى عن ذلك <sup>(١)</sup> بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : رأيت الغضض عليه السلام في المنام قبل : بدر بليلة ، فقلت له : علمني شيئاً أنصربه على الأعداء ، فقال : قل : يا هو يا من لا هو إلهو . فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : لي يا عليّ علمت الأسم الأعظم ؛ وكان على لساني يوم بدر ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد <sup>(٢)</sup> فلمّا فرغ قال : يا هو يا من لا هو إلهو اغفر لي وانصربي على القوم الكافرين .

وكان عليّ عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد <sup>(٣)</sup> ، فقال له عمار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ماهذه الكنايات ؟ قال : اسم الله الأعظم ، وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو ، ثم قرأ : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأواخر الحشر ، ثم نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال . قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق <sup>(٤)</sup> ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات .

قال الباقر عليه السلام : الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ما يئسته والإحاطة بكيفيته ، ويقول العرب : أله الرجل : إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً ، ووله : إذا فرغ إلى شيء ممّا يحذره ويخافه ، فالإله هو المستور عن حواس الخلق .

قال الباقر عليه السلام : الأحد الفرد المتفرّد ، والأحد والواحد بمعنى واحد <sup>(٥)</sup> وهو

(١) وفي نسخة : وأنه تعالى عن ذلك .

(٢) وفي نسخة : قرأ يوم بدر قل هو الله أحد .

(٣) طارداً الاقران : حمل بعضهم على بعض .

(٤) وفي نسخة : تأله فيه الخلق .

(٥) لعل المراد أن الأحد والواحد الذان يتصف بهما الله تعالى معناهما واحد ، لا مطلقهما حيث يستعمل . أو أن الواحد الذي يستعمل في غير باب الأعداد والاجناس مترادف مع الواحد في المعنى . كما تقدم تفصيل ذلك في الحديث الأول فتأمل .

المتفرّد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد ، والواحد المتبائن الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ، ومن ثمّ قالوا : إنّ بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأنّ العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين ، فمعنى قوله : الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بالهَيْتة ، متعال عن صفات خلقه .

قال الباقر عليه السلام : وحدّني أبي زين العابدين ، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال : الصمد : الذي لا جوف له . والصمد : الذي قد انتهى سودده . والصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب . والصمد : الذي لا ينام . والصمد : الدائم الذي لم يزل ولا يزال . قال الباقر عليه السلام : كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول : الصمد القامم بنفسه الغني عن غيره . وقال غيره : الصمد : المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد : الذي لا يوصف بالتغاير .

قال الباقر عليه السلام : الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناه . قال : وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال : الصمد : الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء <sup>(١)</sup> ، ولا يعزب عنه شيء <sup>(٢)</sup> . ١٣ - قال وهب بن وهب القرشي : قال زيد بن علي عليه السلام : الصمد الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً ، وتفرّد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ندّ .

١٤ - قال وهب بن وهب القرشي : وحدّني الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه الباقر ، عن أبيه عليه السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ، ولا تتكلّموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ؛ وأنّه سبحانه قد فسّر الصمد <sup>(٣)</sup> فقال : الله أحد الله الصمد ،

(١) أي لا يضره ولا يثقل عليه حفظ شيء .

(٢) أي لا يغيب ولا يغفل عنه شيء .

(٣) وفي نسخة . وأن الله سبحانه قد فسّر الصمد .

ثم فسره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا يتشعب منه البدوات ،<sup>(١)</sup> كالسنة والنوم ، والخطرة والهيم ، والحزن والبهجة ، والضحك والبكاء ، والخوف والرجاء ، والرغبة والسأمة ، والجوع والشبع ؛ تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف . ولم يولد لم يتولد من شيء ، ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء ، والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الأذن ، والشم من الأنف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، كالنار من الحجر . لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ، ومنشئ الأشياء بقدرته ، يتلشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد .

١٥ - قال وهب بن وهب القرشي : سمعت الصادق عليه السلام يقول : قدم وفد من فلسطين<sup>(٢)</sup> على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثم سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف ، فالألف دليل على إنييته ، وهو قوله عز وجل : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله ، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته لطيفة خافية لا يدرك بالحواس ، ولا يقع في لسان واصل ، ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ماعيته وكيفيته بحس أو بوهم ، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق ، وتركيب أرواحهم اللطيفة

(١) البدوات : الآراء المختلفة . ولعله أراد به الحالات المختلفة ؛ وفي بعض النسخ : البدوات .

(٢) الوفد بفتح الواو وسكون الفاء : قوم يجتمعون فيردون البلاد .

في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه ، كما أن لأم الصمد لا تتبين ولا تدخل في حاسة من حواسه الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكر العبد في مائتة الباري وكيفيته أله فيه وتحير ولم تحط فكرته بشيء يتصور له ، لأنه عز وجل خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم ، ومركب أرواحهم في أجسادهم ؛ وأما الصاد فدل على أنه عز وجل صادق ، وقوله صدق وكلامه صدق ، ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ، ووعد بالصدق دار الصدق ؛ وأما الميم فدل على ملكه ، وأنه الملك الحق ، لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه ؛ وأما الدال فدل على دوام ملكه ، وأنه عز وجل دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو الله عز وجل مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل شيء .

ثم قال عليه السلام : لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حيلة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حيلة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء <sup>(١)</sup> ويقول على المنبر : سلوني قبل أن نفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جماً ، هاه هاه ، ألا أجد من يحمله ، ألا وإنني عليكم من الله الحجة البالغة ، فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يسوا من الآخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور .

ثم قال الباقر عليه السلام : الحمد لله الذي من علينا ووفقنا لعبادته الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وجنّبنا عبادة الأوثان ، حمداً سرمداً وشكراً واصباً . وقوله عز وجل : لم يلد ولم يولد يقول الله عز وجل : لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيته وملكه ، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه <sup>(٢)</sup> .

بيان : روي في معاني الأخبار ما يتعلق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد . ثم أعلم أن تحقيق معنى «هو» بهذا الوجه غير معروف ، ولا يبعد أن يكون في أصل الوضع

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) وفي نسخة : فيعازونه في سلطانه .

كذلك . وقوله : ولأنَّه صيغة المتكلم من أله بمعنى تحيّر . واختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنَّه عربيُّ مشتقٌّ ، إمَّا من أله بمعنى عبد ، أو من أله : إذا تحيّر ، إذ العلة - ول تحيّر في معرفته ، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه ، لأنَّ القلوب تطمئنُّ بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته ، أو من أله : إذا فزع من أمر نزل عليه ، وألهه غيره : أجاره ، إذ العابد يفرع إليه وهو يجيره ، أو من أله الفصل : إذا ولع بأمره ، إذ العباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد ، أو من وله : إذا تحيّر وتخبّط عقله ، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستئصال الكسرة عليها ، أو من لاه مصدر لاه يليه ليهاً ولاهاً : إذا احتجب و ارتفع لأنَّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ، ومرتفع على كل شيء وعمّا لا يليق به ، وقيل : إنَّه غير مشتقٍّ وهو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداءً . وقيل : أصله «لاها» بالسريانية فعرب بحذف الالف الأخيرة وإدخال اللام عليه .

وقال الرازي : ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهاً ؛ أحدها : أنَّ الواحد يدخل في العدد والأحد لا يدخل فيه . وثانيها : أنَّك إذا قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال : لكنَّه يقاومه اثنان بخلاف الأحد . و ثالثها : أنَّ الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي . انتهى .

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ومن ثمَّ ليبان أنَّ الواحد الحقيقي هو الذي لا يكون فيه شيء من أنحاء التعدد لأنَّ الوحدة تقابل العدد .

ثمَّ أعلم أنَّهم اختلفوا في معنى الصمد ، فقيل : إنَّه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه : إذا قصده ، وهو السيّد المقصود إليه في الحوائج . وروت العامة عن ابن عباس أنَّه لما نزلت هذه الآية قالوا : ما الصمد ؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هو السيّد الذي يصمد إليه في الحوائج . وقيل : إنَّ الصمد هو الذي لا جوف له ؛ وقال ابن قتيبة : الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت ؛ <sup>(١)</sup> وقال بعض اللغويين : الصمد : هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء .

(١) قال الشيخ قدس سره في كتابه التبيان : ومن قال : الصمد بمعنى الصمت فقد جهل الله ، لأن الصمت هو المتضاغط الاجزاء ، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى .

فعلى الأول عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كل شيء في جميع أموره إليه أي الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كل شيء ، ويكون رفع حاجة الكل إليه ، ولم يفقد في ذاته شيئاً مما يحتاج إليه الكل ، وإليه يتوجه كل شيء بالعبادة والخضوع ، وهو المستحق لذلك ، وإليه يؤمى خبر الجعفري .

وأما على الثاني فهو مجاز عن أنه تعالى أحدي الذات أحدي المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف ، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف ؛ أو عن أنه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان ولا خلوة له عما يليق به ، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته فيستكمل به ، فالجوف كناية عن الخلوة عما لا يصح اتصافه به .

وأما على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثر عن الغير ، وكونه علماً للحوادث كما سيأتي في جواب من سأل الصادق عليه السلام عن رضا الله وسخطه ، فقال : ليس ذلك على ما يوجب من المخلوقين ، وذلك أن الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف ، معتمل ، مركب ، للأشياء فيه مدخل ؛ وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد وأحدي الذات وأحدي المعنى ، وهذا الخبر يؤيد بعض المعاني السابقة أيضاً .

وقد نقل بعض المفسرين عن الصحابة والتابعين والأئمة واللغويين قريباً من عشرين معنى ،<sup>(١)</sup> ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول لأنه لا شتماله على

(١) تقدمت جملة من المعاني المروية عن الأئمة عليهم السلام في الخبر ١٣ و ١٤ . وأما ما نقل من المعنى عن غيرهم فقد نقل عن سعيد بن جببر أن المعنى : هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وعن قتادة : هو الباقي بعد فناء خلقه . وعن ربيع : هو الذي لا يعثره الآفات . وعن مقاتل بن حيان : هو الذي لا عيب فيه . وعن الأصم : هو الخالق للأشياء . وعن السدي : هو المقصود في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب . وعن الحسين بن الفضل البجلي : هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا يعقب حكمه ولا راد لقضائه . وعن أبي بن كعب : هو الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والأرض . وعن يمان وأبي مالك : هو الذي لا ينام ولا يسهو . وعن ابن كيسان : هو الذي لا يوصف بصفة أحد . وعن أبي بكر الوراق : إنه الذي آيس الخلائق من الإطلاع على كَيْفِيَّتِهِ . وعن غيرهم : إنه السيد المعظم ، وإنه العالم بجميع المعلومات ، وإنه الحليم ، وإنه الفرد المأجد لا يقضى في أمر دونه ، وإنه الذي لا تدركه الأبصار ، وإنه المنزه عن قبول النقائص والزيادات ، وعن أن يكون مورداً للتغيرات والتبدلات ، وعن إحاطة الأزمنة والإمكانة والآفات والجهات . وسيأتي في الحديث ٢١٠ و ٢١١ معنى آخر .

الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب ، ولدلالته على كونه مبدءاً للكل يدل على اتصافه بجميع الصفات الكمالية ، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى .

وقوله عليه السلام : لا يوصف بالتغاير أي بالصفات الموجودة المغايرة للذات ، ويحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنه ليس له ضد ولا نقيض ؛ وفيما رواه الطبرسي رحمه الله : لا يوصف بالنظائر . والبدوات بالفتحات : ما يبدو ويسنح ويظهر من الحوادث والحالات المتغيرة والآراء المتبدلة ، يقال : بدا أي ظهر ، وبداله في الأمر : نشأله فيه رأي ، وهو ذوبدوات . والإنيية : التحقيق والوجود . والصعداء بضم الصاد وفتح العين : تنفّس طويل . والجوانح : الضلوع تحت الترائب ممالي الصدر . والواصب : الدائم والثابت . والمعازة : المغالبة .

١٦ - يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن بزيح ، عن يونس ، عن الحسن بن السري ، عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن الله عز وجل - تباركت أسماؤه وتعالى في علو كنهه - أحد توحد بالتوحيد في توحيده ، ثم أجراه على خلقه ، فهو أحد صمد ملك قدوس يعبد كل شيء ويصمد إليه ، وفوق الذي عسينا أن نبلغ ، ربنا وسع كل شيء علماً .

سن : اليقطيني ، عن يونس ، عن الحسن بن السري مثله .

١٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن فضال ، عن الحلبي وزرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى أحد صمد ، ليس له جوف ، وإنما الروح خالق من خلقه نصر وتأيد وقوة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين .

١٨ - يد : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان قال : سألت رجلاً من الثنوية أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام - وأنا حاضر - فقال له : إني أقول : إن صانع العالم اثنان ، فما الدليل على أنه واحد ؟ فقال : قولك : إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إنباتك الواحد ، فالواحد مجمع عليه ، وأكثر من واحد مختلف فيه .



قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الصانع واحد لأكثر من ذلك أنهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كل واحد منهما قادراً على منع صاحبه مما يريد أو غير قادر ، فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع ، ومن جاز عليه ذلك فمحدث ، كما أن المصنوع محدث ؛ وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والنقص ، وهما من دلالات الحدث ، فصح أن القديم واحد .

و دليل آخر : وهو أن كل واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادراً على أن يكتُم الآخر شيئاً ، فإن كان كذلك فالذي جاز الكتمان عليه حادث ، وإن لم يكن قادراً فهو عاجز ، والعاجز حادث بما يتناه .<sup>(١)</sup> وهذا الكلام يحتج به في إبطال قديمين صفة كل واحد منهما صفة القديم الذي أثبتناه . فأما ما ذهب إليه ماني وابن ديسان من خرافاتهما في الامتزاج ، ودانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام ، ولدخولهما في تلك الجملة اقتضت على الكلام فيهما ولم أفرد كلا منهما بما يسئل عنه منه .

١٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصقار ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد ؟ قال : اتصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال عز وجل : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .

بيان : إما إشارة إلى برهان التمانع أو إلى التلازم ، وسيأتي بعض تقريراتهما .  
٢٠ - ف : عن داود بن القاسم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصمد ، فقال : الذي لا سرّة له . قلت : فإنهم يقولون : إنه الذي لا جوف له ، فقال : كل ذي جوف له سرّة .

بيان : الغرض أنه ليس فيه تعالى صفات البشر وسائر الحيوانات ، وهو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت وهو لا يستلزم كونه تعالى جسماً مصمّناً .

(١) المجتبان مدخولتان لأن عموم القدرة في الواجب لا يستلزم تعلقها بكل امر ؛ فمن الجائز أن يكون المنع المفروض والكتمان المفروض محالين لاتعلق بهما القدرة ؛ فلا يلزمه نقص الواجب وحدوثه . ط

٢١- جمع : سئل ابن الحنفية عن الصمد . فقال : قال علي عليه السلام : تأويل الصمد لاسم ولا جسم ، ولا مثل ولا شبه ، ولا صورة ولا تمثال ، ولا حد ولا حدود ، ولا موضع ولا مكان ، ولا كيف ولا أين ، ولا هنا ولائمة ، ولا ملاً ولا خلاً ، ولا قيام ولا قعود ، ولا سكون ولا حركة ، ولا ظلماني ولا نوراني ، ولا روحاني ولا انساني ، ولا يخلو منه موضع ولا يسهه موضع ، ولا على لون ، ولا على خطر قلب ، ولا على شم رائحة ، منفى عنه هذه الأشياء .

٢٢- ج : عن هشام بن الحكم أنه قال : من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال : لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك : إنهما اثنان من أن يكونا قويتين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً ، فإن كنا قويتين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالربوبية ؟ <sup>(١)</sup> وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد - كما نقول - للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت : إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة ، أو متفكرين من كل جهة ، فلمّا رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، <sup>(٢)</sup> واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ، دلّ صحة الأمر والتدبير وإيتلاف الأمر على أن المدبّر واحد .

يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم مثله ؛ وزاد فيه : ثم يلزمك إن ادّعت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتّى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، وإن ادّعت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتّى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة ، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة .

ك : علي ، عن أبيه مثله .

بيان : ولنشر ههنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ، ثم لنذكر ما يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار .

(١) وفي نسخة : ويتفرد بالتدبير .

(٢) وفي نسخة بعد قوله : والفلك جارياً : والتدبير واحداً .

فأما البراهين : فالأول أنه لما ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدد  
لكان امتياز كل منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخيصهما  
إلى أمر خارج ، وكل محتاج ممكن .

**والثاني :** أنه لو تعدد الواجب لذاته فإمّا أن يكون امتياز كل منهما عن الآخر  
بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضي ، والعارض معلول  
للمعروض فيرجع إلى كون كل منهما علّة لوجوب وجوده وقد ثبت بطلانه . وإمّا أن  
يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما وهو أفحش ، فإنه إمّا أن يكون معلولاً  
لماهيتهما أو لغيرهما ، وعلى الأول إن اتحد ماهيتهما كان التعيين مشتركاً وهذا  
خلف ، وإن تعددت الماهية كان كل منهما شيئاً عرض له وجوب الوجود أعني الوجود  
المتأكد للواجب ، وقد تبين بدلائل عينية الوجود بطلانه ، وعلى الثاني يلزم الاحتياج  
إلى الغير والإمكان ؛ وبالجمله لو كان الواجب متعدداً لكان نسبة الوجوب إليهما  
نسبة العوارض فكان ممكناً لا واجباً .

**الثالث :** أنه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود  
الآحاد ، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين ، أو أمراً زائداً عليه ، و لكان  
هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء ، والمحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثر و  
المؤثر في الشيء يجب أن يكون مؤثراً في واحد من أجزائه ، وإلا لم يكن مؤثراً في  
ذلك الشيء ، وقد ادّعوا الضرورة فيه ، ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من  
الأجزاء لكون كل من الجزئين واجباً ، فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير  
فيه ، أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد .

**الرابع :** برهان التمانع وأظهر تقريراته أن وجوب الوجود يستلزم القدرة و  
القوة على جميع الممكنات قوة كاملة بحيث يقدر على إيجادها ودفع ما يصاده مطلقاً ،  
وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، والنقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع  
العقلاء عليه ، ومن المحال عادة إجماعهم على نظري ، ولئن لم يكن ضرورياً فنظري ظاهر  
متسق الطريق ، واضح الدليل ، واستحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر ؛ فنقول

حينئذ : لو كان في الوجود واجباً لكانا قويين ، وقوتهما يستلزم عدم قوتهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريد نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قوي بهذا المعنى الذي زعمنا أنه لازم لسلب النقص .

فإن قلت : هذا إنما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لصدّه ممكناً وبالعكس ؛ وليس كذلك بل إرادة كل منهما له بشرط إرادة الآخر لصدّه ممتنع ، ونظير ذلك أن إرادة الواجب للممكن بشرط وجود صدّه محال ، ولا يلزم منه نقص . قلت : امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير ، وامتناعه بالغير تحقق النقص والعجز - تعالى عن ذلك - وأما امتناع إرادة الشيء بشرط وجود صدّه فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتي ، وإن كان امتناع الإرادة امتناعاً بالغير ؛ ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإن المراد ممتنع بالغير .

فإن قلت : وجود الشيء كما يمتنع بشرط صدّه ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم صدّه ونقيضه ، والأول امتناع بالذات ، والثاني امتناع بالغير ، وكما أن إرادة الأول منه تعالى محال ولا نقص فيه ، كذلك إرادة الثاني ؛ وظاهر أن إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثاني فينبغي أن لا يكون فيه نقص . قلت : فرق بين الأمرين فإن وجود الممكن إذا قيد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير ولم يتعلق به إرادة ضرورة ، وأما إذا لم يقيد الوجود به بل أطلق فغير ممتنع فيمكن تعلّق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم ، وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أو من دافع آخر ؛ بخلاف إرادة الآخر له فإنه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع ، وإلا فالآخر مدفوع فصار حاصل الفرق حينئذ أن الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدين في زمان الضد الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى ، وهو أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتي بخلاف ما نحن فيه فإنه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات .

لا يقال : لعل انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه ، ولانسلم منافاة توسط الواجب بالذات بين الفاعل وفعله ، لاستقلاله واستلزامه النقص . لأننا نقول : الأول بين البطلان فإن تحقق إرادة الآخر وانتفاعها ممكن في نفسه لكنه ينتفي فيما نحن فيه من قبل ذي الإرادة لوانتفى فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولامستندة إليه ؛ وأما الثاني فربما تدعى البداية في استلزامه النقص وهو غير بعيد وبهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه .

الخامس : تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدراني ، وهو أنه لا يخلو أن يكون قدرة كل واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم ، أو لا شيء ، منهما كاف ، أو أحدهما كاف فقط ، وعلى الأول يلزم اجتماع المؤثرين التاميين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقاً فلا يكون إلهاً ؛ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

لا يقال : إنما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أما إذا كان كل منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتفقا على الإيجاد بالاشتراك فلا يلزم العجز كما أن القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها ، وذلك لا يستلزم عجزهما لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك ، وإنما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل . لأننا نقول : تعلق إرادة كل منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأول ، وإن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني ، والملازمتان يمتنعان لا تقبلان المنع ، وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذي يستقل في الحمل قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين ، وليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلاً ، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة والإرادة ؛ ولا يتصور الزيادة والنقصان في شيء منهما السادس : أن كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنما ادعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر ، ولو كان في الوجود واجباً لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه ، واحتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أولاً يؤثر ولا

يدبر أيضاً فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر أو عدمه مما لا يذهب إليه وهم واهم ، فإن الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ومع هذه الصفات الكمالية يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده ، وأما ما زعمت الثنوية من الإله الثاني فليس بهذه المثابة . ومما يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل .

وقد أثبتنا في كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يؤمّي إلى هذا الدليل ، حيث قال عليه السلام : و اعلم أنّه لو كان لربك شريك لأتتكرسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت صفته وفعاله ، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضافه في ذلك أحد ولا يحاجّه ، وأنّه خالق كل شيء .

**السابع :** الأدلة السمعية من الكتاب والسنة وهي أكثر من أن تحصى ، وقدمنا بعضها ، ولا محذور في التمسك بالأدلة السمعية في باب التوحيد ، وهذه هي المعتمد عليها عندي . وبسط الكلام في تلك الأدلة وما سواها مما لم نشر إليها موكول إلى مظانها ، ولنرجع إلى حل الخبر وشرحه ، وقد قيل فيه وجوه :

**الاول :** أن المراد بالقوي القوي على فعل الكل بالإرادة مع إرادة استبداده به ، والمراد بالضعيف الذي لا يقوى على فعل الكل ، ولا يستبد به ولا يقاوم القوي ، فإن كانا قوين فلم لا يدفع كل منهما صاحبه ويتفرّده ، أي يلزم من قوتيهما انفراد كل بالتدبير ، ويلزم منه عدم وقوع الفعل ، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير ، وثبت احتياج الضعيف إلى العلة الموجدة لأن القوي أقوى وجوداً من الضعيف ، وضعف الوجود لا يتصور إلا بجواز خلو الماهية عن الوجود ، ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المبائن الموجود له .

وإن قلت : إنهما اثنان أي المبدأ اثنان ، وهذا هو الشق الثاني ، أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كل منهما على بعض ، أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة ، وإن كان يقدر على الكل وفي هذا الشق لا يخلو من أن يكونا متفقين أي في الحقيقة من كل جهة ، ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيين للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيينين المختلفين ، واستحالة

استنادهما إلى الحقيقة ، واستحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدء ، أو مختلفين ومفترقين من كل جهة وذلك معلوم الانتفاء فإننا لمسارأينا الخلق منتظماً ، والخلق جارياً ، والتدبير واحداً ، والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وإيتلاف الأمر على أن المدبر واحد لا اثنان مختلفان من كل جهة ، ثم ذلك المدبر الواحد لا يجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أخرى فيكون المدبر اثنان ، ويلزمك إن ادعيت اثنان فرجة ما بينهما لأن لهما وحدة فلا يتمايزان إلا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنان ، لامتناع الاثنينية بالامميز بينهما ، وعبر عن الفاصل المميز بالفرجة حيث إن الفاصل بين الأجسام يعبر عنه بالفرجة ، وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنكم لا تستحقون أن تخاطبوا إلا بما يليق استعماله في المحسوسات ، وذلك المميز لا بد أن يكون وجودياً داخلاً في حقيقة أحدهما ، إذ لا يجوز التعدد مع الاتفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميز ذات حقيقة يصح انفكاكه عن الوجود وخلوها عنه ولو عقلاً ، وإلا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ فلا يكون مبدءاً ولا داخلاً فيه ، فيكون المميز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمشفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودي اثنان لا واحداً ، ويكون الاثنان اللذان ادعيتهما ثلاثة ، فإن قلت به وادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقق المميز بين الثلاثة ، ولا بد من مميزين وجوديين حتى تكون بين الثلاثة فرجتان ولا بد من كونهما قديمين كما مر فيكونوا خمسة ، وهكذا ، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة ، أي يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة ، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية ؛ أو المراد أنه يلزمك أن يتناهى المعداد المنتهي ضرورة بمعرض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة ، وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لا يحتاج إلى ضمنية ، وعلى الأولين يصير بضم ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً .

**الثاني :** أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين ، تقرير الأول - بعد ما تقرّر أن ما لا يكون قوياً على إيجاد أي ممكن كان لا يكون واجباً بالذات - أن يقال : لا يصح أن يكون الواجب بالذات اثنان ، وإلا كان كل منهما قوياً على إيجاد أي ممكن كان ،

وكلّ ممكن بحيث يكون استناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحّح خروجه من القوّة إلى الفعل ، وحينئذ لم يكن محيص إمام من لزوم استناد كلّ معلول شخصيٍّ إلى عاتين مستبدّين بالإفاضة وذلك محال ؛ أو من لزوم الترجّح بلامرجّح وهو فطري الاستحالة ، أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض ، وهذا البرهان يتمّ عند قوله عليه السلام : للعجز الظاهر في الثاني .

وقوله عليه السلام : وإن قلت إلى قوله : على أنّ المدبّر واحد إشارة إلى برهان ثان ، وهو أحد الوجوه البرهانية في قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ؛ وتلخيص تقريره أنّ التلازم بين أجزاء النظام الجمليّ المنتظم المتسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقته القوانين الحكميّة لا يستتبّ إلا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحّح إلا بعليّة أحدهما الآخر ، أو بمعلوليّتهما لعلّة واحدة موجبة ، فلو تعدّد اختلّ الأمر وفسد النظام .

وتقرير الثالث هو أنّك لو ادّعت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال في الوجود ، وافتراق في الهويّة ، ويكون هناك موجود ثالث هو المركّب من مجموع الاثنين ، وهو المراد بالفرجة ، لأنّه منفصل الذات والهويّة ، وهذا المركّب لتركّبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركّب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه فإذ لم تفتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة فإنّ قد لزمت أنّ يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادّعت اثنين وهكذا ؛ ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنّه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة .

الثالث : أن يكون إشارة إلى حجّتين : إحداهما عاميّة مشهورة ، والأخرى خاصيّة برهانيّة : أمّا الأولى فقولهُ : لا يخلو قولك إلى قوله : في الثاني ومعناه أنّه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويّين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ، والثلاثة بأسرها باطلة أمّا الأولى فلا نه إذا كانا قويّين وكلّ منهما في غاية القوّة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض - والقوّة يقتضي الغلبة والقهر على كلّ شيء سواه - فما السبب المانع لأن يدفع كلّ واحد منهما صاحبه حتّى يتفرّد بالتدبير والقهر على



غيره ؟ إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كل ذي قوة على قدر قوته والمفروض أن كلاً منهما في غاية القوة . وأمّا فساد الشق الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس ، لما حكموا بالفطرة من أن الضعف ينافي الإلهية ، ولظهوره لم يذكره عليه السلام . وأيضاً يعلم فساد فساد الشق الثالث ، وهو قوله : وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه أي الإله واحد - كما نحن نقول - للعجز الظاهر في المفروض ثانياً لأن الضعف منشأ العجز ، والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقاً محتاجاً لأنه محتاج إلى من يعطيه القوة والكمال والخيرية .

وأما الحجة البرهانية فأشار إليها بقوله : « وإن قلت : إنهما اثنان ، وبيانه أنه لو فرض موجودان قديمان فإما أن يتفقاً من كل جهة ، أو يختلفان من كل جهة ، أو يتفقان من جهة ويختلفان من جهة أخرى والكل محال : أما بطلان الأول فلا لأن الاثنينية لا تتحقق إلا باحتياز أحد الاثنين عن صاحبه ولو بوجه من الوجوه ؛ وأما بطلان الثاني فلما نبه عليه بقوله : فلما رأينا الخلق منتظماً ، وتقريره أن العالم كله كشخص واحد كثير الأجزاء والأعضاء مثل الإنسان ، فإننا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصة وتباين صفاتها وأفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ، وبفتقر بعضها إلى بعض ، وكل منها يعين بطبعه صاحبه ، وهكذا نشاهد الأجزاء العالوية وما ارتكز فيها من الكواكب النيرة في حرركاتها الدورية وأضوائها الواقعة منها نافعة للسفليات ، محسلة لأمزجة المركبات التي يتوقف عليها صور الأنواع ونفوسها ، وحياة الكائنات ونشوء الحيوان والنبات ، فإذا تحقق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام واتصال التدبير على أن إلهه واحد ، وإليه أشار بقوله : دل صحة الأمر والتدبير واتلاف الأمر على أن المدبر واحد . وأما بطلان الشق الثالث - وهو أنهما متفقان من وجه ومختلفان من وجه آخر - فبأن يقال - كما أشار إليه عليه السلام بقوله : « ثم يلزمك » - : إنه لا بد فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه وصاحبه عنه ، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجودياً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر ، أو أمران وجوديان يختص كل منهما بواحد فقط ، وأما كون الفارق المميز لكل منهما عن صاحبه أمراً عديمياً فهو ممتنع بالضرورة إذ لا أعدام

بما هي أعداد لاتمايز بينها ولا تميز بها ، فإذا فرض قديمان فلا أقل من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ، ويسلب عن الآخر ، وهو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر ، وهو أيضاً لاحالة قديم موجود معهما ، وإلا لم يكونا اثنين قديمين فليزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض اثنان وهذا خلف ، ثم يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة ، وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لا نهاية له وهو محال .

**أقول :** الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : على أن المدبر واحد على الأعم من الوحدة النوعية والشخصية ، ولو حملت على الشخصية يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ولا يخفى توجيهها .

**الرابع :** أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر ، وتقرير الأول أنه لو كان اثنين فإما أن يكونا قويين أي مستقلين بالقدرة على كل ممكن في نفسه سواء كان موافقاً للمصلحة أو مخالفاً ، وهو إثمائته وركبونهما قديمين ؛ وإما أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلين بالقدرة على ممكن ما في نفسه ؛ وإما أن يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً ؛ والأول محال لاشتماله على التناقض ، لأن كون كل منهما قوياً بهذا المعنى يستلزم أن يكون قوياً على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأول بعينه أو مثله أو ضده في محله لأن عدم الملنا في شرط في صدور كل ممكن ، وعدم القوة على الشرط ينا في القوة على المشروط ولا شك أن المدفوع كذلك ضعيف مسخّر ، فقوة كل منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر ، وفي فعل تركه حتى فعل الآخر ضده يستلزم تمكينه الآخر في فعله ، وهذا تفرّد بالتدبير ، فالاستفهام في لم لا يدفع إنكاري أي معلوم ضرورة أنه يدفع كل منهما الآخر ويتفرّد بالتدبير ؛ وبطلان الشق الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما أي ضعفه ، وعدم كونه بمن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشق الثاني بطريق أولى . وتقرير الثاني هو أنه لو كان المدبر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إما متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما ولا في كل منهما ما يختص به ويرجح صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي والمصلحة

و نحوهما و إِمَّا غير متساوية من جميع الوجوه وكلاهما باطل .  
 أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا تَهْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَ كُلُّ مِنْهُمَا لِذَلِكَ الْمَعْلُولِ مُسْتَلْزِمًا لِفَعْلِ  
 الْآخَرِ إِيَّاهُ لِحِكْمَةِ كُلِّ مِنْهُمَا أَمْ لَا ، فعلى الْأَوَّلِ إِحْدَاثُ أَحَدِهِمَا ذَلِكَ الْمَعْلُولِ  
 يَسْتَلْزِمُ التَّرْجِيحَ بِلَا مَرْجَحٍ ، لِأَنَّ إِحْدَاثَ كُلِّ مِنْهُمَا ذَلِكَ الْمَعْلُولِ لَيْسَ أَوَّلَى بَوَاجِهِهِ مِنْ  
 تَرَكَهُ إِيَّاهُ وَإِحْدَاثَ الْآخَرِ إِيَّاهُ ، وَعَلَى الثَّانِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَ التَّارِكِ لَهُ مَعَ تَجْوِيزِهِ  
 التَّرْكَ عَلَى الْآخَرِ قِيحًا وَخِلَافَ الْحِكْمَةِ أَمْ لَا ، وَالْأَوَّلُ يَسْتَلْزِمُ النِّقْصَ ، وَالثَّانِي يَسْتَلْزِمُ  
 عَدَمَ إِمْكَانِ رِعَايَةِ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا تَحْصَى فِي خَلْقِ الْعَالَمِ ، لِأَنَّهُ اتَّفَاقِي حَيْثُذُ ، وَمَعْلُومٌ  
 بِدِهْيَةِ أَنَّ اتَّفَاقِي لَا يَكُونُ مُنْتَظَمًا فِي أَمْرٍ سَهْلٍ ، كَصُدُورِ مِثْلِ قَصِيدَةٍ مِنْ قَصَائِدِ الْبُلَغَاءِ  
 الْمَشْهُورِينَ عَمَّنْ لَمْ يَمَارَسِ الْبَلَاغَةَ ، وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ اتَّفَاقًا مُصْرَاعٍ بَلِيغٍ ،  
 أَوْ مُصْرَاعَانِ فَضْلًا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ .

وَأَمَّا بَطْلَانُ الثَّانِي فَلَا تَهْ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُخْتَلِفَةً مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ بِأَنْ لَا يَكُونَ  
 أَحَدُهُمَا قَادِرًا عَلَيْهِ أَصْلًا لِأَنَّ اخْتِلَافَ نِسْبَةِ قَادِرِينَ إِلَى مَعْلُولٍ وَاحِدٍ شَخْصِيٌّ إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ  
 فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صُدُورُهُ عَنْ أَحَدِهِمَا أَصْلَحَ وَأَنْفَعُ مِنْ صُدُورِهِ عَنِ الْآخَرِ ، وَهَذَا  
 إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ فِيمَا كَانَ نَفْعُ فَعْلِهِ رَاجِعًا إِلَيْهِ كَالْعِبَادِ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَادِرَانِ بَرِيئِينَ مِنْ  
 الِاتِّفَاعِ كَمَا فِي مَا نَحْنُ فِيهِ فَلَا يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ فِيهِ بِدِهْيَةٍ ، وَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ الْغَنِيِّ الْمَطْلُوقِ  
 إِنَّمَا يَفْعَلُ مَا هُوَ الْخَيْرُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ نَفْعٌ سِوَاءِ كَانَ لِغَيْرِهِ فِيهِ نَفْعٌ كَمَا  
 فِي ثَوَابِ الْمُطِيعِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، وَمِثَالُهُ عِقَابُ الْكَافِرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُطِيعِينَ فِيهِ نَفْعٌ .

وَتَقْرِيرُ الثَّالِثِ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمُدَبِّرُ اثْنَيْنِ فَنِسْبَةُ مَعْلُولٍ مَعْلُولٍ إِلَيْهِمَا إِمَّا مُتَسَاوِيَةً مِنْ  
 جَمِيعِ الْوُجُوهِ أَوْ لَا وَكِلَاهُمَا بَاطِلٌ ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا تَهْ صُدُورُ بَعْضِ الْمَعْلُولَاتِ عَنْ أَحَدِهِمَا  
 وَبَعْضُ آخَرِ مِنْهَا عَنِ الْآخَرِ مِنْهُمَا حَيْثُذُ يَحْتَاجُ إِلَى ثَالِثٍ هُوَ الْفَرْحَةُ بَيْنَهُمَا أَيْ مَا يُمَيِّزُ  
 وَيُعَيِّنُ كُلَّ مَعْلُولٍ مَعْلُولٍ لَوْ أَحَدُ مَعْيِنَيْنِ مِنْهُمَا حَتَّى يَكُونَ الْمُدَبِّرَانِ اثْنَيْنِ لَاهْتِمَاعِ التَّرْجِيحِ  
 مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِينَ بِلَا مَرْجَحٍ أَيْ بِلَا دَاعٍ أَصْلًا كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فَيَلْزِمُ خِلَافَ الْفَرَضِ وَ  
 هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُدَبِّرُ ثَلَاثَةً ثُمَّ نَنْقُلُ الْكَلَامَ إِلَى الثَّلَاثَةِ وَهَكَذَا إِلَى مَا لَا نَهَيَاةَ لَهُ فِي الْكَثَرَةِ  
 وَيَلْزِمُ التَّسْلُسُ . وَإِنَّمَا لَمْ يَكْتَفَ بِثَلَاثَةٍ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ الْكَلَامَ إِلَى الثَّلَاثَةِ بِالْإِحْتِيَاجِ إِلَى فَرْجَةٍ

واحدة للتمييز حتى يكون المجموع أربعة لخمسة ، وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلًا به أيضاً لأنَّ هناك ثلاثة تميزات ، وتخصيص واحد منهما بمميز كما هو المفروض واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتحاد النسبة تحكم . وأمّا بطلان الثاني فلما مرَّ في بيان بطلان الشقِّ الثاني من الدليل الثاني .

أقول : لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدمات في الكلام .

الخامس : أن يكون الأول إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة و الثاني إلى التلازم كما مرَّ ، والثالث يكون إلزاماً على المجسِّمة المشتركة القائلين بالهين مجسِّمين متباعدين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله ، ويكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلاء أو سطح فاصل بينهما لتحقق الانثنية . هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حلِّ هذا الخبر الذي تحيرت فيه الأفهام والفكر ، ولم تتعرض لبسط الكلام في كلِّ وجه ، ولا لإيراد ما يرد على كلِّ منها من الإشكالات والاعتراضات احترازاً عن الإسهاب والإطناب والله الموفق للصواب .

٢٣ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن عباد بن سليمان ، عن سعد بن سعد قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد ، فقال : هو الذي أنتم عليه .

٢٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، ويعقوب بن يزيد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته وهو يقول - في قوله عزَّ وجلَّ : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » قال : هو توحيدهم لله عزَّ وجلَّ .

٢٥ - يد : الأشعري ، عن ابن مبرويه ، عن الفرَّاء ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد نصف الدين ، واستنز لو الرزق بالصدقة .

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل خبر الأعرابي : سمعت من أثق بدينه ومعرفته باللغة والكلام يقول : إن قول القائل : واحد اثنان وثلاثة إلى آخره إنما وضع في أصل اللغة للإبانة عن كمّية ما يقال عليه لأنَّ له مسمّى يتسمّى به بعينه ، أو لأنَّ

له معنى سوى ما يتعلمه الإنسان لمعرفة الحساب ، ويدور عليه عقد الأصابع عند ضبط  
 الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، ولذلك متى أراد مريد أن يخبر غيره عن كمية شيء ،  
 بعينه سمّاه باسمه الأخص ، ثم قرن لفظة الواحد به وعلّقه عليه يدلّ به على كميّته لا على  
 ما عدّ ذلك من أوصافه ، ومن أجله يقول القائل : درهم واحد ، وإتّما يعني به أنه درهم  
 فقط ، وقد يكون الدرهم درهماً بالوزن ودرهماً بالضرب فإذا أراد المخبر أن يخبر عن  
 وزنه قال : درهم واحد بالوزن ، وإذا أراد أن يخبر عن عدده أوضربه قال : درهم واحد  
 بالعدد ، ودرهم واحد بالضرب . وعلى هذا الأصل يقول القائل : هورجل واحد ، وقد  
 يكون الرجل واحداً بمعنى أنه إنسان وليس بإنسانين ، ورجل ليس برجلين ، وشخص  
 ليس بشخصين ، ويكون واحداً في الفضل ، واحداً في العلم ، واحداً في السخاء ، واحداً  
 في الشجاعة ، فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميّته قال : هورجل واحد فدلّ ذلك من قوله  
 على أنه رجل وليس هو برجلين ، وإذا أراد أن يخبر عن فضله قال : هذا واحد عصره ،  
 فدلّ ذلك على أنه لاثاني له في الفضل ، وإذا أراد أن يدلّ على علمه قال : إنّه واحد في  
 علمه ؛ فلودلّ قوله : واحد بمجرّدده على الفضل والعلم كما دلّ بمجرّدده على الكميّة  
 لكن كل من أطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلاً لاثاني له في فضله ، وعالمًا لاثاني له في  
 علمه ؛ وجوذاً لاثاني له في جوده ، فلمّا لم يكن كذلك صحّ<sup>(١)</sup> أنه بمجرّدده لا يدلّ  
 إلا على كميّة الشيء دون غيره ، وإلا لم يكن لما أضيف إليه من قول القائل : واحد عصره  
 ودهره فائدة ، ولا كان لتقييده بالعلم والشجاعة معنى لأنّه كان يدلّ بغير تلك الزيادة  
 وبغير ذلك التقييد على غاية الفضل وغاية العلم والشجاعة ؛ فلمّا احتيج معه إلى زيادة لفظ  
 واحتيج إلى التقييد بشيء صحّ ما قلناه . فقد تقرّر أنّ لفظة القائل واحد إذا قيل على  
 الشيء دلّ بمجرّدده على كميّة في اسمه الأخص ، ويدلّ بما يقرن به على فضل المقول عليه  
 وعلى كماله وعلى توحّده بفضله وعلمه وجوده ، وتبيّن أنّ الدرهم الواحد قد يكون  
 درهماً واحداً بالوزن ، ودرهماً واحداً بالعدد ، ودرهماً واحداً بالضرب ، وقد يكون  
 بالوزن درهمين ، وبالضرب درهماً واحداً ، ويكون بالدوايق ستّة دوايق ، وبالفلوس

(١) في نسخة : فلمّا لم يكن كذلك وضح .

ستين فلساً ، ويكون بالأجزاء كثيراً ، وكذلك يكون العبد عبداً واحداً ولا يكون عبيدين بوجه ، ويكون شخصاً واحداً ولا يكون شخصين بوجه ، ويكون أجزاء كثيرة وأبعاضاً كثيرة ، وكل بعض من أبعاضه يكون جواهر كثيرة متحدة اتحد بعضها ببعض وتركب بعضها مع بعض ، ولا يكون العبد واحداً وإن كان كل واحد منه في نفسه إنمائه عبد واحد ، وإنمائه لم يكن العبد واحداً لأنه مامن عبد إلا وله مثل في الوجود أوفي المقدور ، وإنما صح أن يكون للعبء مثل لأنه لم يتوحد بأوصافه التي من أجلها صار عبداً مملوكاً ، ووجب لذلك أن يكون الله عز وجل متوحداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ليكون إلهاً واحداً فلا يكون له مثل ويكون واحداً لا شريك له ولا إله غيره ، فالله تبارك وتعالى إله واحد لا إله إلا هو ، وقديم واحد لا قديم إلا هو ، وموجود واحد ليس بحال ولا محل ، ولا موجود كذلك إلا هو ، وشيء واحد لا يجانسه ولا يشاكله شيء ، ولا يشبهه شيء ، ولا شيء كذلك إلا هو ، فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود ولا في الوهم ، وشيء لا يشبهه شيء بوجه ، وإله لا إله غيره بوجه ، وصار قولنا : يا واحد يا أحد في الشريعة اسماً خاصاً له دون غيره ، لا يسمى به إلا هو عز وجل ، كما أن قولنا : الله اسم لا يسمى به غيره .

وفصل آخر في ذلك وهو أن الشيء قديم مع ما جانسه وشاكله ومماثلة ، يقال : هذا رجل ، وهذا رجلان ، وثلاثة رجال . وهذا عبد ، وهذا سواد ، وهذا عبدان ، وهذا سوادان ولا يجوز على هذا الأصل أن يقال : هذا إلهان إذ لا إله إلا إله واحد ، فالله لا يعد على هذا الوجه ، ولا يدخل في العدد من هذا الوجه بوجه . وقد يعد الشيء مع ما لا يجانسه ولا يشاكله ، يقال : هذا بياض ، وهذا بياض وسواد ، وهذا محدث ، وهذا محدثان ، وهذا ليسا بمحدثين ولا بمخلوقين . بل أحدهما قديم والآخر محدث ، وأحدهما رب والآخر مربوب ، فعلى هذا الوجه يصح دخوله في العدد ، وعلى هذا النحو قال الله تبارك وتعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولأدننى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » الآية . وكما أن قولنا : فلان إنمائه هو رجل واحد لا يدل على فضله بمجرده كذلك قولنا : فلان ثاني فلان لا يدل بمجرده إلا على كونه ؛ وإنمائه يدل على فضله متى قيل : إنه ثانيه في الفضل ، أو في الكمال ، أو العلم .

فأمّا توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيد بصفاته العلى<sup>(١)</sup> وأسمائه الحسنى ، و لذلك كان إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه ، والموحد هو من أقرّ به على ما هو عليه عز وجل من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص ، و إذا كان ذلك كذلك فمن لم يعرف الله عز وجل متوحداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقرّ بتوحيده بأوصافه العلى فهو غير موحد ؛ وربما قال جاهل من الناس : إن من وحد الله وأقرّ أنّه واحد فهو موحد وإن لم يصفه بصفاته التي توحّد بها ، لأن من وحد الشيء فهو موحد في أصل اللغة فيقال له : أنكرنا ذلك لأن من زعم أن ربّه إله واحد وشيء واحد ثم أثبت معه موصوفاً آخر بصفاته التي توحّد بها فهو عند جميع الأمّة وسائر أهل الملل تنوي غير موحد ، ومشارك مشبه غير مسلم ، وإن زعم أن ربّه إله واحد ، وشيء واحد ، وموجود واحد ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الله تبارك وتعالى متوحداً بصفاته التي تفرّد بالالهيّة من أجلها ، وتوحّد بالوحدانيّة لتوحيده بها ليستحيل أن يكون إله آخر ، ويكون الله واحداً والإله واحد لا شريك له ولا شبيه لأنّه إن لم يتوحّد بها كان له شريك وشبيه كما أن العبد ملّا لم يتوحّد بأوصافه التي من أجلها كان عبداً كان له شبيه ، ولم يكن العبد واحداً وإن كان كل واحد منّا عبداً واحداً ، وإذا كان كذلك فمن عرفه متوحداً بصفاته ، وأقرّ بماعرفه ، واعتقد ذلك كان موحداً وتوحيد ربّه عارفاً ، والأوصاف التي توحّد الله تعالى بها وتوحّد برؤسيتها لتفرّد بها في الأوصاف التي يقتضي كل واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلا واحداً لا يشاركه فيه غيره ولا يوصف به إلا هو ؛ وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنّه موجود واحد لا يصحّ أن يكون حالاً في شيء ، ولا يجوز أن يحلّه شيء ، ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أولّ الأوّلين ، وآخر الآخريّن ، قادر يفعل ما يشاء ، لا يجوز عليه ضعف ولا عجز ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أقدر القادرين ، وأقهر القاهرةين ، عالم لا يخفى عليه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، لا يجوز عليه جهل ولا سهو ، ولا شك ولا نسيان ؛ مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أعلم العالمين ، حي لا يجوز عليه موت ولا نوم ،

(١) في نسخة : فهو توحده بصفاته العلى .

ولا ترجع إليه منفعة ، ولا تناله مضرة ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أبقى الباقين ، وأكمل الكاملين ، فاعل لا يشغله شيء ، عن شيء ، ولا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه إله الأولين والآخرين ، وأحسن الخالقين ، وأسرع الحاسيين ، غني لا يكون له قلة ، مستغن لا يكون له حاجة ، عدل لا تلحقه مذمة ، ولا ترجع إليه منقصة ، حكيم لا يقع منه سفاهة ، رحيم لا يكون له رقة ويكون في رحمته سعة ، حلیم لا يلحقه موجدة <sup>(١)</sup> ، ولا يقع منه عجلة ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسيين ، وذلك لأن الأولين لا يكون إلا واحداً ، وكذلك أقدر القادرين ، وأعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين ، وأحسن الخالقين ، وكل ما جاء على هذا الوزن ؛ فصح بذلك ما قلناه ، وبالله التوفيق ومنه العصمة والتسديد .

### ﴿باب ٧﴾

﴿عبادة الاصنام والكواكب و الاشجار والنبيرين و علة حدودها﴾  
﴿وعقاب من عبدها أو قرب اليها قرباناً﴾

الايات ، الانعام : قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ٧١

الاعراف : أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون \* ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون \* ون تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ- إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُونَ \* إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ \* وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ \* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ١٩١- ١٩٨

يونس : ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ١٨

(١) الموجدة بفتح الميم وسكون الواو : الغضب .



« وقال تعالى : قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنتى تؤفكون » قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ٣٥، ٣٤ هود : فلاتك في مريم مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل و

إنّا لموقوهم نصيبهم غير منقوص ١٠٩

النحل : أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ١٧ « وقال تعالى : والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون » أموات غير أحياء وما يشعرون أيمان يبعثون » إليهم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٢٠-٢٢ « وقال تعالى : والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون ٧١ « وقال تعالى : و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون » فلاتضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهرأ هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على موليه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٧٣-٧٦

مريم : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ٤٢

الحج : يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد » يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ١٢، ١٣ « وقال : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ٧٣ ، ٧٤

الفرقان : وإذا رأوك إن يتخذونك إلهزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً »

أرأيت من اتخذ إلهه هويه أفأنت تكون عليه. كيلاً ٤١ - ٤٣ « وقال الله تعالى : ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ٥٥

الشعراء : وائل عليهم نبأ إبراهيم \* إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون \* قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين \* قال هل يسمعونكم إذ تدعون \* أو ينفعونكم أو يضرون \* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون \* قال أفرأيت ما كنتم تعبدون \* أنتم وآباؤكم الأقدمون \* فإني أنهم عدوئي إلا رب العالمين \* « إلى قوله تعالى : وبرزت الجحيم للغاوين \* وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون \* من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون \* فكبكبا فيها هم والغاوين \* وجنود إبليس أجمعون \* قالوا وهم فيها يختصمون \* تالله إن كنا لفي ضلال مبين \* إذ نسويكم برب العالمين \* وما أضلنا إلا المجرمون \* فمالنا من شافعين \* ولا صديق حميم \* فلو أن لنا كرة فكنون من المؤمنين ٦٩ - ١٠٢

الشمس : وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون \* ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون \* الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ٢٤، ٢٦ العنكبوت : إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ١٧ « إلى قوله تعالى : وقال إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ١٧ - ٢٥

الروم : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون \* ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشر كائهم كافرين « إلى قوله تعالى : ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون ١٢ - ٢٨

يس : ما اتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينتقدون \* إني إذا لفي ضلال مبين ٢٣ ، ٢٤

الصفات : إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون \* ويقولون أننا لناركو آلهمنا لشاعر مجنون ٣٥، ٣٦ \* وقال تعالى : أمفكاً آلهة دون الله تريدون \* فما ظنكم برب العالمين \* إلى قوله : أتعبدون ما تنتحتون \* والله خلقكم وما تعملون ٨٦-٩٦ \* وقال تعالى : أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين \* الله ربكم ورب آبائكم الأولين ١٢٥، ١٢٦

ص : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب \* وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد \* ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ٥ - ٧

الزمر : فاعبد الله مخلصاً له الدين \* ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ٢، ٣ \* وقال عز وجل : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ٣٨ \* وقال تعالى : أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون \* قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون \* وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ٤٣ - ٤٥

المؤمن : قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جئني بالبينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ٦٦ \* إلى قوله تعالى : إذا غلغلت في أعناقهم والسلاسل يسحبون \* في الحميم ثم في النار يسجرون \* ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون \* من دون الله قالوا ضلوا عن سبيلهم لم يكن ندوا من قبل شيئاً كذلك يضل الكافرين ٧١-٧٤ السجدة : لا تسجدوا للشمس وللنجم ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه

تعبدون ٣٧

حمعسق : والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ٦ الزخرف : ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم

يعلمون \* ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ٨٦ ، ٨٧

الجانائية : أفرأيت من اتخذ إلهه هويه ٦٣

الاحقاف : قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين \* ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ٤ - ٦ «وقال تعالى : ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم \* قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بآلهتنا إن كنت من الصادقين » إلى قوله تعالى : فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ٢١ - ٢٨

النجم : أفرأيتم اللات والعزى \* ومنوة الثالثة الأخرى \* ألكم الذكرو له الأثنى \* تلك إذا قسمة ضيزى \* إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان ١٩-٢٣

الجمد : قل يا أيها الكافرون \* لا أعبد ما تعبدون « إلى آخر السورة » .

أقول : سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوة وكتاب الاحتجاج وكتاب المعاد .

١ - فس : قوله : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » قال : كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها فأنسوا بها ، فلمّا جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم : إن هؤلاء آلهة كانوا آبؤكم يعبدونها فعبدوهم وذلّ منهم بشر كثير ؛ فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله .

٢ - فس : « ولا تذرن ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » قال : كانت ودّ صنماً للكلب ، <sup>(١)</sup> وكانت سواع لهذيل ، <sup>(٢)</sup> ويغوث لمراد ، <sup>(٣)</sup> وكانت يعوق لهمدان ، وكانت

(١) بدومة الجندل .

(٢) كانت لهم برهات من أرض ينبع - وينبع عرض من أراض المدينة - وكان سدنتها بنو لحيان .

(٣) ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا .

نسر لخصين . (١)

٣ - ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه أن علياً صلوات الله عليه سئل عن أساف ونائلة وعبادة قريش لهما ، فقال : نعم كانا شابين صبيحين ، وكان بهما تأنيث ، وكانا يطوفان بالبيت فصادفاهما من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرين فقالت قريش : لولا أن الله تبارك وتعالى رضي أن يعبداه معه ماحوا لهما عن حالهما . (٢)

٤ - ع : في أسئلة الشاميين عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن أول من كفر وأنشأ الكفر فقال عليه السلام : إبليس لعنه الله .

٥ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب وابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، وكرام بن عمرو ، عن عبد الحميد بن أبي الديلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن قاييل لما رأى النار قد قبلت قربان هاييل قال له إبليس : إن هاييل كان يعبد تلك النار ، فقال قاييل : لا أعبد النار التي عبدها هاييل ، ولكن أعبد ناراً أخرى ، وأقرب قرباناً لها فتقبل قرباني ، فبنى بيوت النار فقرّب ؛ ولم يكن له علم بربه عز وجل ، ولم يرث منه ولده إلا عبادة النيران .

ص : بالإسناد إلى الصدوق ، عن ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن سنان مثله .

٦ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن النعمان ، عن بريد العجليّ قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما سمّي العود خلافاً لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ فسمّي العود خلافاً . وهذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

بيان : إنّما سمّي العود أي الشجرة المعهودة خلافاً ؛ لأن إبليس عمل سواعاً منها على خلاف ودّ فلذلك سميت بها .

(١) كذا في النسخ ولكن الصحيح « لحمير » عبده بارض يقال لها : بلخ ، وكان لحمير أيضاً بيتاً بصنعاء يقال له : ومام ، يعظمونه ويتقربون عنده بالدبايح . وفي القاموس النسر : صنم كان لدى الكلاخ بارض حمير .  
(٢) الحديث موضوع وهو قصة تاريخية خرافية ط .

٧- ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، <sup>(١)</sup> عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز وجل : وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، قال : كانوا يعبدون الله عز وجل فماتوا فضع قومهم وشق ذلك عليهم ، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم : أتخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله ، فأعد لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز وجل ، وينظرون إلى تلك الأصنام ، فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم ، فقالوا : إن آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء ، فعبدوهم من دون الله عز وجل ؛ فذلك قول الله تبارك وتعالى : « ولا تذرنا ودًّا ولا سواعاً » الآية .

٨- ص : بالإسناد عن الصدوق رحمه الله ، عن ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الأحول ، عن يزيد بن معاوية قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبي صلى الله عليه وآله : إن إبليس اللعين هو أول من صور صورة على مثال آدم عليه السلام ليفتن به الناس ، ويضلهم عن عبادة الله تعالى ، وكان ودًّا في ولد قاييل وكان خليفة قاييل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظمونه ويسودونه ، فلما أن مات ود جزع عليه إخوته وخلف عليهم ابناً يقال له : « سواع » فلم يغن غناء أبيه منهم فأتاهم إبليس في صورة شيخ فقال : قد بلغني ما أصبتم به من موت ود عظيمكم ، فهل لكم في أن أصور لكم على مثال ود صورة تستريحون إليها وتأنسون بها ؟ قالوا : افعل . فعمد الخبيث إلى الآ نك <sup>(٢)</sup> فأذابه حتى صار مثل الماء ، ثم صور لهم صورة مثال ود في بيته فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون لها ، وأحب سواع أن يكون التعظيم والسجود له ، فوثب على صورة ود فحكها حتى لم يدع منها

(١) لا يخلو الحديث عن احتمال إرسال ، لأن الكشي روى عن ابن مسعود ، عن محمد بن نصير ، عن محمد بن قيس ، عن يونس قال : لم يسمع حريز بن عبد الله من أبي عبد الله عليه السلام إلا حديثاً أو حديثين ، انتهى . مع أن نرى عنه أحاديث كثيرة .

(٢) الآ نك بالمد وضم النون : الأسرب أو أبيضه أو أسوده أو خالصة .

شيئاً ، وهموا بقتل سواع ، فوعظهم وقال : أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ودّ ، وأنا ابنه ، فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس ، فمالوا إلى سواع بالطاعة والتعظيم فلم يلبث سواع أن مات ، وخلف ابناً يقال له : « يغوث » فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس وقال : أنا الذي صورّت لكم صورة ودّ ، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيّره ؟ قالوا : فافعل ، فعمد إلى عود فنجره ونصبه لهم في منزل سواع ، وإنّا سمّي ذلك العود خلافاً ، لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ ، قال : فسجدوا له وعظّموه ، وقالوا ليغوث : ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ودّ ، فوضعوا على البيت حراً أساً وحجاباً ، ثم كانوا يأتون الصنم في يوم واحد ، ويعظّمونه أشدّ ما كانوا يعظّمون سواعاً ، فلمّا رأى ذلك يغوث قتل الحرسة والحجاب ليلاً ، وجعل الصنم رميماً ، فلمّا بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه فتواري منهم إلى أن طلبوه ورأى سواع وعظّموه ثم مات وخلف ابناً يقال له : يعوق فأتاهم إبليس فقال : قد بلغني موت يغوث ، وأنا جاعل لكم مثاله في شيء لا يقدر أحد أن يغيّره قالوا : فافعل ، فعمد الخبيث إلى حجر أبيض فنقره بالحديد حتّى صور لهم مثال يغوث فعظّموه أشدّ ممّا مضى ، وبنوا عليه بيتاً من حجر ، وتبايعوا أن لا يفتحوا باب ذلك البيت إلّا في رأس كل سنة ، وسمّيت البيعة يومئذ لا تهم تبايعوا وتعاقدوا عليه ؛ فاشتدّ ذلك على يعوق فعمد إلى ربطة وخلق فألقاها في الحائر ، ثم رماها بالنار ليلاً فأصبح القوم وقد احترق البيت والصنم والحرس وأرفض الصنم ملقى فجزعوا وهموا بقتل يعوق فقال لهم : إن قتلتم رئيسكم فسدت أُموركم ، فكفّوا فلم يلبث أن مات يعوق وخلف ابناً يقال له : نسر ، فأتاهم إبليس فقال : بلغني موت عظيمكم فأنا جاعل لكم مثال يعوق في شيء لا يبلى فقالوا : افعل فعمد إلى الذهب وأوقد عليه النار حتّى صار كالماء ، وعمل مثلاً من الطين على صورة يعوق ثم أفرغ الذهب فيه ، ثم نصبه لهم في ديرهم واشتدّ ذلك على نسر ، ولم يقدر على دخول تلك الدير فانهاز عنهم في فرقة قليلة من إخوته يعبدون نسراً ، والآخرون يعبدون الصنم حتّى مات نسر ، وظهرت نبوءة إدريس فبلغه حال القوم وأنهم يعبدون جسماً على مثال يعوق ، وأن نسراً كان يعبد من دُون الله ، فساد إليهم بمن معه حتّى نزل مدينة

نسروهم فيها فهزمهم<sup>(١)</sup> وقتل من قتل ، وهرب من هرب فتفرقوا في البلاد ، وأمر بالصنم فحمل وألقى في البحر ، فاتخذت كل فرقة منهم صنماً ، وسموها بأسمائها فلم يزالوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلا تلك الأسماء ثم ظهرت نبوة نوح عليه السلام<sup>(٢)</sup> فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام ؛ فقال بعضهم : لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً .

بيان : ارفضاض الشيء : تفرقه ، وترقبض : تكسّر . واتحازعنه : عدل .

٩ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبي الجوزاء ، عن الحسين بن علوان ، عن منذر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكر أن سلمان قال : إن رجلاً دخل الجنة في ذباب وآخر دخل النار في ذباب . فقيل له : وكيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : مرّاً على قوم في عيد لهم ، وقد وضعوا أصناماً لهم لا يجوز بهم أحد حتى يقرب إلى أصنامهم قرباناً قلّ أم كثر ، فقالوا لهما ، لا تجوزا حتى تقربا كما يقرب كل من مرّاً ، فقال أحدهما : ما معي شيء ، أقربّه ، وأخذ أحدهما ذباباً فقرّبّه ، ولم يقرب الآخر ، فقال : لا أقرب إلى غير الله جلّ وعزّ شيئاً فقتلوه فدخل الجنة ، ودخل الآخر النار .

١٠ - شى : عن الزهري قال : أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه ، فقال له الرجل : فإن كنت ابن أبيك فأنتك من أبناء عبدة الأصنام ؛ فقال له : كذبت إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة ففعل ، فقال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام . فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قطّ ، ولكن العرب عبدة الأصنام ، وقالت بنو إسماعيل : هؤلاء شفعاؤنا عند الله فكفرت ولم تعبد الأصنام .

بيان : لعل المراد أنهم أقرّوا بوحداية الصانع ، وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها ، فنفى عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك في الربوبية ، وقدمت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق .<sup>(٣)</sup>

(١) وفي نسخة : فهزمهم .

(٢) وفي نسخة : فظهرت نبوة نوح عليه السلام .

(٣) والرواية مع ذلك لا تغلو عن شيء ؛ فإن توحيد الصانع بهذا المعنى أساس الثنوية ؛ واتخاذ الأصنام آلهة وعبادتها ليس إلا القول بكونهم شفعاء . ط



١١ - كا : محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، عن العباس بن عامر ، عن أحمد بن رزق الغمشاني ، عن عبد الرحمن بن الأشج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كانت قريش تطلق الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان يغوث قبالة الباب ، وكان يعوق عن يمين الكعبة ، وكان نسرأ عن يسارها ، وكانوا إذا دخلوا خرواً سجداً ليغوث ، ولا ينحنون<sup>(١)</sup> . ثم يستديرون بحيالهم إلى يعوق ، ثم يستديرون بحيالهم إلى نسر ، ثم يلبسون فيقولون : لبنيك اللهم لبنيك ، لبنيك لاشريك لك ، لاشريك هو لك ، تملكه وما ملك . قال : فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة ، فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلا أكله ، وأنزل الله عز وجل : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

١٢ - فس : قال علي بن إبراهيم في قوله : «أفرايت من اتخذ إلهه هواه» قال : نزلت في قريش وذلك أنه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكة وتفرقوا ، وكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة ، أو حجراً حسناً هواه فعبده ، وكانوا ينحرون لها النعم ، ويلطخونها بالدم ويسمونها سعد صخرة ، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى الصخرة فيتمسحون بها الغنم والإبل ؛ فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يتمسح بالصخرة إبله ويبارك عليها ، فنفرت إبله وتفرقت ، فقال الرجل شعراً :

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا      ☆      فشتتنا سعد فما نحن من سعد  
وما سعد إلا صخرة مسودة      ☆      من الأرض لا تهدي لغى ولا رشد  
ومر به رجل من العرب والشلب يبول عليه فقال شعراً :  
أرب يبول الثعلبان برأسه ؟      ☆      لقد ذل من البت عليه الثعلاب :

## ﴿باب ٨﴾

### ﴿نفى الولد والصاحبة﴾

الآيات ، النساء : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً \* لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ١٧٢، ١٧١

المائدة : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير \* وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ١٨، ١٧  
أقول : سيأتي كثير من الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوة ، وكثير منها في أبواب الاحتجاجات .

التوبة : وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون \* اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما مروءة إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ٣٠-٣١

يونس : قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ٦٨  
الاسرى : أفأصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ٤٠

الكهف : وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً \* ما لهم به من علم ولا لا بانهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ٤ ، ٥

مريم : ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فما يقول له كن فيكون ٣٥ وقال تعالى : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً \* لقد جئتم شيئاً إدّاً \* تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً \* أن دعوا للرحمن ولداً \* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً \* إن كل ش من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً \* لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً ٨٨ - ٩٤

الأنبياء : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون \* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون \* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون \* ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ٢٦ - ٢٩

الصفات : فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون \* أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون \* ألا إنهم من إفكهم ليقولون \* ولد الله وإنهم لكاذبون \* أصطفى البنات على البنين \* مالكم كيف تحكمون \* أفلا تذكرون \* أم لكم سلطان مبين \* فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين \* وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون \* سبحانه الله عما يصفون \* إلا عباد الله المخلصين \* فإتكم وماتعبدون \* ما أنتم عليه بفاتنين \* إلا من هو صال الجحيم \* وما منّا إلا له مقام معلوم \* وإنا لنحن الصافون \* وإنا لنحن المسبّحون ١٤٩ - ١٦٦

الزمر : لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى ممّا يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد

القهار ٤

الزخرف : وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين \* أم اتخذ ممّا يخلق بنات وأصفيكم بالبنين \* وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم \* أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين \* وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون \* وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون \* أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون \* بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ١٥ - ٢٢

« وقال تعالى : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » سبحانه رب السموات والأرض  
رب العرش عما يصفون ٨١ ، ٨٢

الطور : أم له البنات ولكم البنون ٣٩

النجم : ألكم الذكر وله الأنثى \* تلك إذا قسمة ضيزى ٢١، ٢٢ « وقال تعالى :  
إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى \* وما لهم به من علم إن  
يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ٢٧ ، ٢٨  
الجن : وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ٣

١ - فس : جعفر بن أحمد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ،  
عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : قوله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن  
ولداً » قال : هذا حيث قالت قريش : إن لله ولداً ، وإن الملائكة إناث ، فقال الله تبارك  
وتعالى ردّاً عليهم : « لقد جئتم شيئاً إدّاً » أي عظيماً « تكاد السموات يتفطرن منه » ممّا  
قالوا : أن دعوا للرحمن ولداً ، فقال الله تبارك وتعالى : « وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً  
إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدداً وكلهم  
آتيه يوم القيامة فرداً » واحداً واحداً .

٢ - يد : ماجيلويه ، عن عمه ، عن البرقي ، عن الليثيني ، عن سليمان بن رشيد ،  
عن أبيه ، عن المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الحمد لله الذي لم يلد فيورث  
ولم يولد فيشارك .

٣ - فس : قوله : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ، يعني أول الآنفين  
له أن يكون له ولد .<sup>(١)</sup>

بيان : هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية . قال الجوهرى : قال أبو زيد : العبد  
بالتحرّيك : الغضب والأنف ، والاسم العبدة مثل الأنفة ، وقد عبد أي أنف . وقال أبو عمرو :  
قوله تعالى : فأنا أول العابدين من الأنف والغضب انتهى . وثانيها أن يكون من قبيل

(١) أنف من العار : ترفع وتنزه عنه . كرهه . وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنا  
أول العابدين أي الجاهدين .

تعلق المحال بالمحال أي ليس له ولد ، إذ لو كان له ولد لكنت أول العابدين له ، فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح ، وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه ، ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده . وثالثها : أن المعنى : إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله ، الموحدين له ، المنكرين لقولكم . ورابعها : أن «إن» بمعنى «ما» للنفي ؛ والمعنى : ما كان للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين لله المقرين بذلك .  
أقول : سيأتي ما يتضمن نفي الصاحبة والولد في باب جوامع التوحيد ، وسندكر احتجاج النبي ﷺ على القائلين بالولد في المجلد الرابع .

### ﴿باب ٩﴾

﴿النهى عن التفكير في ذات الله تعالى ، والخوض في مسائل التوحيد﴾

﴿واطلاق القول بأنه شيء﴾

الآيات ، الزمر : وما قدروا الله حق قدره ٦٧

١ - شيء : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن رجلاً قال لأبى المومنين عليه السلام : هل تصف ربنا نردادله حباً وبه معرفة ؟ فغضب وخطب الناس ، فقال فيما قال : عليك يا عبد الله بما دلتك عليه القرآن من صفته ، وتقدر ساك فيه الرسول من معرفته فائتم به واستضيء بنور هدايته ، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة الرسول وأمة الهداة أثره فكل علمه إلى الله ولا تقدر عليه عظمة الله <sup>(١)</sup> واعلم يا عبد الله أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب ، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فقالوا : آمنّا به كل من عند ربنا ، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً .

(١) وفي نسخة : ولا تقدر عظمه الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

بيان : الاقتحام : الهجوم والدخول مغالبة . والسدد جمع السدة وهي الباب المغلق وفيه إشكال لدلالته على أن الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى ، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة ، وسيأتي القول فيه في كتاب الإمامة ،<sup>(١)</sup> إلا أن يقال : إن هذا إلزام على من يفسر الآية كذلك ، أو يقال : بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين ؛ وسيأتي تمام القول في ذلك في محله إن شاء الله تعالى .

٢ - ج : روي عن هشام أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام : أن الله تعالى ماهو ؟ فقال عليه السلام : هوشي ، بخلاف الأشياء ،<sup>(٢)</sup> أرجع بقولي : شيء إلى أنه شيء ، بحقيقة الشيئية غير أنه لاجسم ولا صورة ، ولا يحس ولا يجس ،<sup>(٣)</sup> ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان . الخبر .

بيان : اعلم أن الشيء مساو للموجود إذا أخذ الوجود أعم من الذهني والخارجي ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء ، وشيئته كونه ماهية قابلة له ؛ وقيل : إن الوجود عين الشيئية . فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله : بحقيقة الشيئية أي بالشيئية الحقيقة الثابتة له في حد ذاته لأنه تعالى هو الذي يحق أن يقال له : شيء أو موجود ، لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه ، وغيره تعالى في معرض العدم والفناء ، وليس وجودهم إلا من غيرهم ، أو المراد أنه يجب معرفته بمحض أنه شيء ، لأن يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدى لمعرفتها فإنه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته ؛ وقيل : إنه إشارة إلى أن الوجود عين ذاته تعالى .

(١) قد بينا في تفسير «الميزان» أنه هو المتيقن في الآية ، وتكلمنا في الأخبار الكثيرة التي يشير إليها . ط

(٢) أي هو موجود يخالف سائر الموجودات ، فإن سائر الموجودات لها وجود وماهية زائدة على وجودها ، ولكن الله تعالى حقيقته صرف الوجود ، وعين الوجود ، وله حقيقة الشيئية وهي الوجود . ثم بين عليه السلام وجه اختلافه تعالى مع سائر الأشياء بقوله : غير أنه لاجسم الخ . ولعله عليه السلام أشار بقوله : هوشي . بخلاف الأشياء إلى أنه لا يعرف أحد حقيقة ذاته وصفاته ، وإنما يعرف بمفهوم سلبى وهو أنه موجود مغاير لخلق في الذات والصفات ، مثل الامكان والحدوث والجسمية وغيرها .

(٣) بالجسم إمامن جسته بيده أي مسته بيده ليتعرفه ، أو بعينه أي أحد النظر إليه ليتبينه ، وإمامن جس الأخبار والأموار أي بحث وتفحص عنها .

٣ - لى : أبي ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد ابن جمران ، عن أبي عبيدة الحداد قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إياك والخصومات ، فإنها تورث الشك ، وتحبط العمل ، وتردي صاحبها ، وعسى أن يتكلم الرجل بالشيء لا يغفر له ؛ يا زياد إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به ،<sup>(١)</sup> وطلبوا علم ما كفوا<sup>(٢)</sup> ، حتى انتهى بهم الكلام إلى الله عز وجل فتحيروا ، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ، أو يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه .

سن : أبي ، عن ابن أبي عمير مثله .

٤ - لى : ابن الوليد ، عن الصقار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي اليسع ،<sup>(٣)</sup> عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إياكم والتفكر في الله ، فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً<sup>(٤)</sup> إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار .

٥ - ن : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن بندار ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد ابن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : هل يقال لله : أنه شيء ؟ فقال : نعم ، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه فقال : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » فهو شيء ليس كمثله شيء .

٦ - فسى : قوله : « وأن إلى ربك المنتهى » حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا ، وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتأهت عقولهم حتى

(١) أى علم ما كفوا به ، وهو العلم بما أمر الله به ونهاه عنه ، والعلم بحبوباته ومبغوضاته .

(٢) أى علم ما كفاهم الله مؤنته - أن كان من الكفاية - أو علم ما صرفه الله عنهم - أن كان من الكف - والمراد التفحص عما كانت أفهام البشر عن دركه قاصرة ، كالكلاب في العرش وما فوقه ، والكلام في كنه الذات والصفات .

(٣) الظاهر هو عيسى بن السري أبو اليسع الكرخي البغدادي ، وثقه النجاشي وغيره ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب .

(٤) أى تحيراً وضلالاً .

كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه  
بيان : التكلم فيما فوق العرش كناية عن التفكر في كنه ذاته و صفاته تعالى ،  
فالمراد إمّا الفوقية المعنوية ؛ أو بناءً على زعمهم حيث قالوا : بالجسم والصورة ؛ ويحتمل  
على بعد أن يكون المراد التفكر في الخلأ البحت بعد انتهاء الأبعاد .

٧- شئ : عن ربمي ، عمن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « وإذا رأيت الذين  
يخوضون في آياتنا » قال : الكلام في الله والجدال في القرآن « فأعرض عنهم حتى يخوضوا  
في حديث غيره » قال : منهم القصاص .

بيان : القصاص علماء المخالفين فانهم كروا القصص و الأكاذيب فيما يبنون  
عليه علومهم ، وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام  
لأنهم ارفهم عن أهل البيت عليهم السلام .

٨- يد ، مع : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر والفقيمي <sup>(١)</sup> عن هشام  
ابن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزندق - حين سأله عن الله ما هو ؟ - : قال  
هو شيء بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى إثبات سغنى ، وإنه شيء ، بحقيقة الشيئية ،  
غير أنه لا جسم ولا صورة .

٩- يد ، مع : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن محمد بن عيسى ، عمن ذكره ، رفعه  
إلى أبي جعفر عليه السلام أنه سئل أيجوز أن يقال : إن الله عز وجل شيء ؟ قال : نعم تخرجه  
من الحدين : حد التعطيل ، وحد التشبيه .

ج : مرسلًا مثله .

بيان : حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود و الصفات الكمالية و الفعلية و  
الإضافية له تعالى ، وحد التشبيه الحكم بالاشتراك مع اممكثات في حقيقة الصفات  
وعوارض الممكثات .

١٠- يد : العطار ، عن أبيه ، عن سهل قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام - سنة خمس

(١) نسبة إلى فقيم - وزان هذيل - بطن من دارم وهم بنو فقيم بن جرير بن دارم ، وأما النسبة إلى  
فقيم كناية « فقيمي » كرمي ، نص على ذلك في القاموس وغيره .



وخمسين ومائتين - : قد اختلف ياسيدي أصحابنا في التوحيد ، منهم من يقول : هو جسم ، ومنهم من يقول : هو صورة ، فإن رأيت ياسيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطوِّلاً على عبدك .

فوقع بخطه - عليه السلام - : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ، الله تعالى واحد ، أحد ، صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، خالق وليس بمخلوق ، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك ، ويصور ما يشاء ، وليس بمصور ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، وتعالى عن أن يكون له شبه ، هولاء غيره ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

بيان : وهذا عنكم معزول أي لا يجب عليكم التفكر في الذات والصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه .

١١ - سر : السياري<sup>(١)</sup> قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصوم والصلاة ، إنما العبادة في التفكر في الله .

بيان : أي التفكر في قدرته وعظمته بالتفكر في عظمة خلقه ، كما فسّره في الأخبار الأخر ، أو بالتفكر فيما جاء عن الله وحججه عليه السلام في ذلك .

١٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل ، فيها : أخبرني عن الله عز وجل هل يوصف بالصورة وبالتخطيط ، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد .

فكتب صلى الله عليه عليه على يدي عبد الملك بن أعين : سألت رجلاً عن التوحيد وماذهب فيه من قبلك ، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقهم ، المفترون على الله . واعلم رجلاً الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل ، فأنف

(١) هو أحمد بن محمد بن سيار أبو عبد الله الكاتب ، بصرى ، كان من كتاب آل طاهر في زمن أبي عبد الله عليه السلام ، ضيف الحديث ، فاسد المذهب . نص على ذلك النجاشي .

عن الله البطلان والتشبيه ، فلانفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عما يصفه الوصفون ، ولا تعد القرآن فتضل بعد البيان .

بيان : على يدي عبد الملك أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب .

١٣ - ضا : إياك والخصومة فإنها تورث الشك ، و تحبط العمل ، و تردى صاحبها ،<sup>(١)</sup> وعسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له .<sup>(٢)</sup>

١٤ - ونروي أنه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله جل وعز فتحيروا ، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه .<sup>(٣)</sup>

١٥ - وأروي : تكلموا فيمادون العرش فإن قوماً تكلموا في الله جل وعز فتأهوا .

١٦ - وأروي عن العالم عليه السلام - وسألته عن شيء من الصفات - فقال : لا تتجاوز مما في القرآن .

١٧ - وأروي أنه قرئ ، بين يدي العالم عليه السلام قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فقال : إنما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام ، فقال : لا تدرك الأوهام كيفيته وهو يدرك كل وهم ، وأما عيون البشر فلا تلحقه ، لأنه لا يحد فلا يوصف ؛ هذا ما نحن عليه كلنا .

١٨ - يد : الدقائق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسين بن سعيد قال : سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله : إنه شيء ؟ فقال : نعم ، تخرجه من الحدين : حد التعطيل وحد التشبيه .<sup>(٤)</sup>

١٩ - يد : ابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن عدة من أصحابه ، عن اليقطيني قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : ما تقول : إذا قيل لك : أخبرني عن الله عز وجل ، أشيء هو أم لا شيء هو ؟ قال : فقلت له : قد أثبت عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول : « قل أي شيء أكبر

(١) أي تهلك صاحبها وتضاهيها .

(٢) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ٣ .

(٣) الظاهر أنه قطعة من الحديث السادس .

(٤) الظاهر أنه مع ما تقدم تحت رقم ٩ .

شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فأقول : إنه شيء لا كلاً شيئاً ؛ إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه . قال لي : صدقت وأصبت .

ثم قال الرضا عليه السلام : للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : نفي ، وتشبيه ، وإثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لا يجوز ، و مذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه .  
شي : عن هشام المشرقي ، عنه عليه السلام مثله . وزاد في آخره وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور .

٢٠ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله تبارك وتعالى خلق من خلقه ، وخلق خلقه ، وكلما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عز وجل فهو مخلوق ، والله خالق كل شيء ، تبارك الذي ليس كمثله شيء .  
يد : حمزة بن محمد العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عطية ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : خالق كل شيء .

يد : ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المعز أ رفعه عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل .

ايضاح : الخلو بكسر الخاء وسكون اللام : الخالي . وقوله عليه السلام : خلو من خلقه أي من صفات خلقه أو من مخلوقاته ، فيدل على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنها لا بد أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدّمتين الأخيرتين المبنيّتين على التوحيد ، واتّصافه بمخلوقه مستحيل لما تقرّر من أن الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد ، ويدل أيضاً على بطلان ماذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضاً لماهيات الممكنات .  
وقوله عليه السلام : وخلق خلقه أي من صفاته ، أو المراد أنه لا يحل في شيء بوجه من الوجوه ، فينفى كونه عارضاً للشيء أو حالاً فيه أو متمكناً فيه إذ ما من شيء إلا وهو مخلوق له بحكم المقدّمتين الأخيرتين .

٢١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن النخعي بن سعيد ، عن

النضر، عن ابن حميد رفعه قال : سئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال : إن الله تعالى علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد » والآيات من سورة الحديد إلى قوله : « وهو عليهم بذات الصدور » فمن رام ما وراء ذلك فقد هلك .

بيان : ظاهره المنع عن التفكر والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص ، وقيل : المراد أنه تعالى بين لهم صفاته ليتفكروا فيها ؛ ولا يخفى بعده .

٢٢ - سن : أبي ، عن صفوان ، وابن أبي عمير معاً ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا سليمان إن الله يقول : « وأن إلى ربك المنتهى » فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا .

٢٣ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الرحيم القصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الصفة فقال : فرفع يديه إلى السماء ثم قال : تعالى الله الجبار ، إنه من تعاطى مائمه هلك . يقولها مرتين .

بيان : تعالى الله الجبار أي عن أن يكون له جسم أو صورة أو يوصف بصفة زائدة على ذاته ، وأن يكون لصفاته الحقيقية بيان حقيقي ؛ من تعاطى أي تناول بيان مائمه من صفاته الحقيقية هلك وضلّ ضلالاً بعيداً .

٢٤ - سن : بعض أصحابنا ، عن حسين بن ميثاق ، <sup>(١)</sup> عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من نظر في الله كيف هو هلك .

٢٥ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا محمد إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في الله ، فإذا سمعتم ذلك فقولوا : لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء .

(١) قال العلامة في القسم الثاني من الغلاصة : الحسين بن ميثاق - بالياء المنقطعة تحتها نقطتين المشددة بعد اليم ، والحاء غير المعجمة بعد الالف - المدائني ، روى عن أبيه ، قال ابن الفضال : إنه ضعيف غال انتهى . وقال النجاشي في ترجمة أبيه : ميثاق المدائني ضعيف جداً له كتاب يعرف برسالة ميثاق ، وطريقها أضعف منها وهو محمد بن سنان .

بيان : أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقصروا على التوحيد ونفي الشريك منبهاً على أنه لا يجوز الكلام فيه ، وتبيين معرفته إلا بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره ؛ وإذا أجزوا الكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيهاً له عما يقولون .

٢٦ - سن : ابن فضال ، عن ثعلبة ، عن الحسن الصيقل ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : تكلّموا فيما دون العرش ، ولا تكلّموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلّموا في الله فتأهوا ، حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ،

٢٧ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص أخي مرزم ، عن الفضل بن يحيى قال : سأل أبي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة ، فقال : لا تتجاوز عما في القرآن .

٢٨ - سن : أبو أيوب المدني ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ ملكاً كان في مجلسه فتناول الربّ تبارك وتعالى فقذف ما يدري أين هو .

بيان : أي فقد من مكانه سخطاً من الله عليه ؛ أو تحيّر وسار في الأرض فلم يعرف له خبر . وقيل : هو على المعلوم أي فقد ما كان يعرف وكان لا يدري في أيّ مكان هو من الحيرة ؛ ولا يخفى ما فيه .

٢٩ - سن : محمد بن عيسى ، عن ذكره رفعه قال : سئل أبو جعفر عليه السلام أيجوز أن يقال لله : أنّه موجود ؟ قال : نعم تخرجه من الحدّين : حدّ الإبطال وحدّ التشبيه .

٣٠ - م : لقد مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، وهم قعود في بعض المساجد في أوّل يوم من شعبان ، وإذا هم يخوضون في أمر القدر وغيره ممّا اختلف الناس فيه ، قد ارتفعت أصواتهم واشتدّ فيه جدالهم ، فوقف عليهم وسلّم فردّوا عليه ووسّعوا له ، وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم ، فلم يحفل بهم ،<sup>(١)</sup> ثم قال لهم - وناداهم - : يا معاشر المتكلمين ألم تعلموا أنّ الله عبادة قد أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم ؟ وأنّهم هم الفصحاء البلغاء الألباء ،<sup>(٢)</sup> العالمون بالله وأيامه

(١) أي فلم يبال بهم ولم يهتم لهم .

(٢) الألباء جمع اللبيب : العاقل .

ولكنهم إذاذكروا عظمة الله انكسرت أسنتهم ، وانقطعت أفئدتهم ، وطاشت عقولهم ، وتاهت حلومهم ، إعرز الله وإعظاماً وإجلالاً ، فإذا أفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخطئين ، وأنهم برآء من المقتصرين والمفرطين ألا إنهم لا يرضون الله بالقليل ، ولا يستكثرون الله الكثير ، ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم إذا رأيتهم مهيمون مروءون ، خائفون ، مشفقون ، وجلون ؛ فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أن أعلم الناس بالضرر أسكتهم عنه ، وأن أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه ؟ .  
بيان : لا يدلون من قولهم : أدل عليه أي أوثق بمحبته فأفرط عليه . والهيام : الجنون من العشق .

٣١ - كشي : علي بن محمد ، عن محمد بن موسى الهمداني ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن غيره ، عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال : اجتمع ابن سالم ، وهشام بن الحكم ، وجميل بن دراج ، وعبد الرحمن بن الحجاج ، ومحمد بن جمران ، وسعيد بن غزوان ، ونحو من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد ، وصفة الله عز وجل ، وعن غير ذلك ، لينظروا أيهم أقوى حجة ، فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير ، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام فتكلموا وساقا ما جرى بينهما ، وقال : قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم : كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه ، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به . قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم ، ويسأله أن يعلمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار فأجابه في عرض كتابه : فهمت رحمك الله ، واعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك .

٣٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن اليقطيني ، عن ابن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت : أتوهم شيئاً ؟ فقال : نعم غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ولا تدركه إلا وهام ، كيف تدركه إلا وهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام ؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود .

بيان : اعلم أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لاذهنأ ولا عيناً كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه ، وهذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء ؛ إذ اتقرر هذا فاعلم : أن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى مجرد التعطيل ، و منعوا من إطلاق الشيء ، والموجود وأشباههما عليه ، محتجين بأنه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئية وكذا الموجود وغيره . و ذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن ، وبأنه لا يمكن تعقل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه ، وبكذب جميع الأحكام الإيجابية عليه تعالى . و يرد قولهم الأخبار السالفة ، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه ، وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي ، و بين المفهومات الاعتبارية والحقائق الموجودة .

فأجاب عليه السلام بأن ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولا محدوداً بحد إلا أنه مما يصدق عليه مفهوم شيء ، لكن كل ما يتصور من الأشياء فهو بخلافه لأن كل ما يقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكية كصفات نفسانية ، وأعراض قائمة بالذهن ، و معانيها مهيئات كلية قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء <sup>(١)</sup> .

## ﴿باب ١٠﴾

﴿أدنى ما يجزى من المعرفة في التوحيد ، وأنه لا يعرف الله إلا به﴾

١ - يد ، ن : ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن مختار بن محمد بن مختار الهمداني ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنه لا إله غيره ، ولا شبه له ولا نظير له ، وأنه قديم مثبت ، موجود غير فقيد ، وأنه ليس كمثله شيء .

(١) اعلم أن هذا الخبر وما يساوقه في البيان من أخبار التوحيد من غرد الأخبار الواردة عن معادن العلم والحكمة - عليهم السلام - . وما ذكره المصنف في هذا البيان وما يشابهه من البيانات متألفة من مقدمات كلامية أو فلسفية عامة غير وافية لايضاح تمام المراد منها وإن لم تكن أجنبية عنها بالكلية ، وليبيان لمراد منها مقام آخر . ط

بيان : قوله عليه السلام : موجود إما من الوجود أو من الوجدان أي معلوم . وكذا قوله : عير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود ، ألا يفقده الطالب . وقيل : أي غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له .

٢ - يد ، ن : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن زياد ، عن عبد العزيز بن المهدي قال : سألت الرضا عليه السلام ع-ن التوحيد ، فقال : كل من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد . قلت : كيف يقرأها ؟ قال : كما يقرأها الناس . وزاد فيه : كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّي .

٣ - يد : الدقاق والورق معاً ، عن الصوفي ، عن الروياني ، عن عبد العظيم الحسيني قال : دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بصري قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله إنّي أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضياً ثبتت عليه حتى ألقى الله عز وجل . فقال : هاتها أبا القاسم .

فقلت : إنّي أقول : إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج من الحدّين : حدّ الإبطال ، وحدّ التشبيه ، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسم الأجسام ، ومصور الصور ، وخالق الأعراض والجواهر . رب كل شيء ومالكة وجاعله ومحدثه ، وإنّ محمد عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ، وأقول : إنّ الإمام والخليفة وولي الأئمة بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ علي بن الحسين ، ثمّ محمد بن علي ، ثمّ جعفر بن محمد ، ثمّ موسى ابن جعفر ، ثمّ علي بن موسى ، ثمّ محمد بن علي ، ثمّ أنت يا مولاي .

فقال عليه السلام : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ قال : فقلت : وكيف ذلك يا مولاي ؟ قال : لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

قال : فقلت : أقررت وأقول : إن وليّهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وأقول : إنّ المعراج حق ، والمسائلة في القبر حق ، وإنّ



الجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور؛ وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فأنبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٤ - يد: ماجيلويه، عن عمه، عن محمد بن علي القرشي، عن محمد بن سنان، عن محمد بن يعلى الكوفي، عن جوير، عن الضحّاك، عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم. قال: ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرابيه؟ قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حق معرفته. قال الأعرابي: وما معرفة الله حق معرفته؟ قال: تعرفه بلامثل ولا شبه ولا ند، وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر، لا كفوله ولا نظير، فذلك حق معرفته.

بيان: الند بالكسر: المثل.

٥ - يد: أبي وابن الوليد معاً، عن محمد العطار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعري، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن علي الطاحن، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيب - يعني أبا الحسن عليه السلام - ما الذي لا يجتري في معرفة الخالق جلّ جلاله بدونه؟ فكتب عليه السلام:

ليس كمثله شيء، لم يزل سمياً وعلماً وبصيراً، وهو الفعال لما يريد. (١)

(١) رواه الكليني في الكافي في باب أدنى المعرفة عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. أقول: قوله: في حال استقامته إشارة إلى تغير حاله، لأنه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغلو، نص على ذلك الشيخ في الفهرست حيث قال: طاهر بن حاتم بن ماهويه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغلو، وله روايات، أخبرنا برواياته حال استقامته جماعة عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، ومحمد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. انتهى. وقال النجاشي: طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم كان صحيحاً ثم خلط عليه الخ.

بيان : المشهور أن الكاف زائدة ، وقيل : أي ليس مثل مثله شيء فيدل على نفي مثله بالكناية التي هي أبلغ ، لأنه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله ، أو المعنى : أنه ليس ما يشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة .

٦ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني ناظرت قيوماً فقلت لهم : إن الله أكرم وأجل من أن يعرف بخلقه ، بل العباد يعرفون بالله <sup>(١)</sup> . فقال : رحمك الله .

٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالمعروف والعادل والإحسان <sup>(٢)</sup> .

٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن بعض أصحابنا ، عن علي بن عتبة رفعه قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرف ربك ؟ فقال : بما عرفني نفسه . قيل :

(١) على صيغة المعلوم أي العباد يعرفون الله بالله ، أي يعرفون الله بتوقيفه وهدايته ، أو بما وصف نفسه وعرفهم من الصفات اللاتفة بجماله وجلاله ، أو يكون الإشارة إلى البرهان المسمى ببرهان الصديقين الذي هو أشرف البراهين وأسدها ، وهو الاستدلال به تعالى عليه ، والاستشهاد بذاته تعالى على صفاته ، وبصفاته على أفعاله « أولم يكف بربك أنه على كل شيء قدير » . ولعله إليه أشار الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله : بك عرفتك وأنت دللتني عليك ، ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت . وبقوله : يا غفار بنورك اهتدينا . وتأتي هذه الاحتمالات في قوله : اعرفوا الله بالله . أو على صيغة المجهول ويكون المراد - على ما قيل - أنه تعالى لا يعرف حق المعرفة إلى خلقه والاستدلال بهم عليه ، بل الخلق يعرفون بنور ربهم ، كما تعرف الذرات بنور الشمس دون العكس ، وليس نور الله في آفاق النفوس بأقل من نور الشمس في آفاق السماء ، قال عز من قائل : « وأشرق الأرض بنور ربها » فضوؤه قاطع لرين أرباب الضمائر ، ونوره ساطع في أبصار أصحاب البصائر .

(٢) رواه الكليني في الكافي - في باب أنه لا يعرف إلا به - عن علي بن محمد ، عن ذكره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبد الله عليه السلام . وقال في ذيله : يعني إن الله خلق الاشخاص والانوار والجواهر والاعيان . إلى آخر ما يأتي ذيل الخبر الاتي من الصدوق ، وظاهره أن المعنى من الكليني لا من الإمام عليه السلام .

وكيف عرفك نفسه ؟ فقال : لاثشبهه صورة ، <sup>(١)</sup> ولا يحسّ بالحواسّ ، ولا يقاس بالناس ، قريبٌ في بُعدِه ، بعيدٌ في قربه ، فوق كلّ شيءٍ ولا يقال شيءٌ فوقه ، أمام كلّ شيءٍ ولا يقال له ، أمام ، داخل في الأشياء لا كشيءٍ في شيءٍ داخل ، وخارج من الأشياء لا كشيءٍ من شيءٍ خارج ، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره ، ولكلّ شيءٍ مبدأ . <sup>(٢)</sup>

سن : بعض أصحابنا ، عن صالح بن عقبة ، عن قيس بن سميان ، عن أبي ربيعة - مولى رسول الله ﷺ - <sup>(٣)</sup> رفعه قال : سئل أمير المؤمنين ع عليه السلام وذكر مثله .

بيان : قريب من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكلّ . في بعده أي مع بعده عن الكلّ من حيث المبانيّة في الذات والصفات فظهر أن قربه ليس بالمكان ، بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قربه حفظاً وتربيةً ولطفاً ورحمةً ، وقدرٌ أنه يحتمل أن يكون إشارة إلى أن جهة قربه أي بالعلية واحتياج الكلّ إليه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته إذ الخالق لا يشابه المخلوق ، وكذا العكس . فوق كلّ شيءٍ أي بالقدرة والقهر والغلبة ، وبالكمال والاتصاف بالصفات الحسنة ، ولا يقال : شيءٌ فوقه في الأمرين ، وفيه إشعار بأنّه ليس المراد به الفوقية بحسب المكان وإلا لا يمكن أن يكون شيءٌ فوقه . أمام كلّ شيءٍ أي علّة كلّ شيءٍ ومقدّمٌ عليها ، ويحتاج إليه كلّ موجود ، ويتضرّع إليه ويعبده كلّ مكلف ، أو كلّ شيءٍ متوجّه نحوه في الاستكمال ، والتشبه به في صفاته الكمالية ؛ و

(١) وفي نسخة : لا يشبه صورة .

(٢) وفي نسخة : ولكلّ شيءٍ مبتدأ .

(٣) هكذا في البحار والمحاسن المطبوعين . والصحيح - كما في الكافي - : عن أبي ربيعة بن قيس بن سميان بن أبي ربيعة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله . فالسند مصحّف بتبديل « ابن » « بمن » في موضعين وتبديل « على » « بصالح » . وضبط عقبة بضم الميم المهملة ، وسكون القاف ، وفتح الباء ثم الهاء . واختلف في ضبط ربيعة . قال الفاضل المامقاني في رجاله : ربيعة بالراء المهملة المضمومة ، والباء الموحدة المفتوحة ، والثناة الساكنة ، والحاء المهملة المفتوحة ، والهاء . وفي بعض النسخ : ذنعة بالزاي والنون والحاء المهملة ، وعن بعض كتب الرجال : بريرة بالباء الموحدة ثم الراء المهملة ، وقيل : إن نسخ الكافي في كتاب التوحيد : أبو ربيعة بالباء الموحدة المضمومة ، والراء المفتوحة و الباء المثناة من تحت بعدها حاء مهملة ، وكذا ضبطه في الإيضاح وقال : كذا وجدناها معربة في كتاب البرقي . انتهى .

الكلام في قوله : ولا يقال له : أمام كما مر . داخل في الأشياء أي لا يخلو شيء من الأشياء ولا جزء من الأجزاء عن تصرفه وحضوره العلمي وإفاضة فيضه وجوده عليه ، لا كدخول الجزء في الكل ، ولا كدخول العارض في المعروف ، ولا كدخول المتمكن في المكان . خارج من الأشياء ، بتعالى ذاته عن ملابستها ومقارنتها والاتصاف بصفتها والائتلاف منها ، لا كخروج شيء من شيء ، بالبعد المكاني أو المحلي . وقوله : ولكل شيء مبدء أي علّة في ذواتها وصفاتها كالتعليل لماسبق .

٩ - يد : محمد بن إبراهيم بن اسحاق الفارسي ، عن أحمد بن محمد بن سعيد النسوي ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصغدّي - بمر - <sup>(١)</sup> عن محمد بن يعقوب بن الحكم العسكري ، و أخيه معاذ بن يعقوب ، عن محمد بن سنان الحنظلي ، عن عبد الله بن عاصم ، عن عبد الرحمن ابن قيس ، عن ابن هاشم الرّماني ، عن زاذان ، <sup>(٢)</sup> عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى ، وما سأل عنه أبابكر فلم يجبه ، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابها عنها ، وكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمد ، أم عرفت محمد بالله ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما عرفت الله عز وجل بمحمد - عليه السلام - ولكن عرفت محمد بالله عز وجل ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرّفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة ، كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلاشبه ولا كيف . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وحدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال : سمعت محمد بن يعقوب يقول : معنى قوله : اعرّفوا الله بالله يعني أن الله عز وجل خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعيان ، فالأعيان : الأبدان ، والجواهر : الأرواح ، وهو جل وعز لا يشبه

(١) قال الفيروز آبادي : صنف بالضم : موضع بسر قند ، وموضع ببغداد .

(٢) بالزاي المعجمة والالف والذال المعجمة والالف والنون ، عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يكنى أبا عمرة الفارسي . وعده العلامة في غانة القسم الأول من الخلاصة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر ، ولكن كناه بأبي عمرو الفارسي .

جسماً ولا روحاً ، وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أثرٌ ولا سببٌ ، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام ، فمن نفى عنه الشبهين : شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ، ومن شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله .

**أقول :** قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد : القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال : عرفنا الله بالله ، <sup>(١)</sup> لأننا إن عرفناه بعقولنا فهو عز وجل وإلهها ، وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسله وحججه عليه السلام فهو عز وجل بأعنيهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثنا فيه عرفناه ؛ وقد قال الصادق عليه السلام : لولا الله ما عرفناه ، ولولا نحن ما عرف الله . ومعناه : لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته ، ولولا الله ما عرف الحجج . وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول : لو أن رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لدلّه ذلك على أن لهما صانعاً ومحدثاً . فقلت : إن هذا شيء لم يكن ، وهو إخبار بمالم يكن ان لو كان كيف كان يكون ، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا حجة الله - تعالى ذكره - على نفسه كما في الأنبياء عليهم السلام ، منهم من بُعث إلى نفسه ، ومنهم من بُعث إلى أهله وولده ، ومنهم من بُعث إلى أهل محلّته ، ومنهم من بُعث إلى أهل بلده ، ومنهم من بُعث إلى الناس كافة .

وأما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ، ثم إلى القمر ، ثم إلى الشمس ، وقوله - فلما أفلت - : يا قوم إنني بريء مما تشركون فإني عليه السلام كان نبيّاً ملهماً مبعوثاً مرسلًا ، وكان جميع قوله إلى آخره بإلهام الله عز وجل إياه ، وذلك قوله عز وجل : «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه» وليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام ؛ ولو استغني في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز وجل وتعريفه لما أنزل الله عز وجل ما أنزل من قوله : فاعلم أنه لا إله إلا الله ، ومن قوله : قل هو الله أحد إلى آخره ؛ ومن قوله : بديع السموات والأرض أننى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، إلى قوله : وهو اللطيف الخبير ، وآخر الحشر وغيرها من آيات التوحيد .

(١) سيجى حق معنى معرفة الله بالله في رواية عبد الأعلى على نحو الإشارة ، وأما ذكره رحمه الله زعماً منه أن المعرفة مستندة إلى الله وليست بمكتسبة فيعزل عن مراد الرواية . ط

تبين و تحقيق : اعلم أن هذه الأخبار لا سيما خبر ابن السكّن تحتل وجوهاً :  
 الأول : أن يكون المراد بالمعرف به ما يعرف الشيء به بأنه هو هو فمعنى اعرّفوا الله بالله :  
 اعرّفوه بأنه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهته  
 شيء منها ، وهذا هو الذي ذكره الكليني رحمه الله ، وعلى هذا فمعنى قوله : والرسول  
 بالرسالة : معرفة الرسول بأنه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام ، وهذا الدين ، وهذا  
 الكتاب ، ومعرفة كل من أُولي الأمر بأنه الأمر بالمعروف ، والعالم العامل به ، و  
 بالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كل شيء ، والإحسان أي الشفقة على خلق الله و  
 التفضل عليهم و دفع الظلم عنهم . أو المعنى : اعرّفوا الله بالله أي بما يناسب ألوهيته من  
 التنزيه والتقديس ، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال ، وأُولي  
 الأمر بما يناسب درجتهم العالية التي هي الرئاسة العامة للدنيا والدين ، وبما يحكم  
 العقل به من اتّصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزية  
 على من سواه ؛ ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه  
 بالقول الناقصة فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه ، وإلى الغلو في أمر الرسول و  
 الأئمة صلوات الله عليهم .

وعلى هذا يحتمل وجهين : الأول أن يكون المراد : اعرّفوا الله بعقولكم بمحض  
 أنّه خالق إله ، والرسول بأنه رسول أرسله الله إلى الخلق ، وأُولي الأمر بأنه المحتاج  
 إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ، ثم عوّلوا في صفاته تعالى و صفات حججه  
 على ما يبينوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم والثاني أن يكون  
 المعنى : اعرّفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيه ، والرسول بما أوضح لكم من  
 وصفه في رسالته إليكم ، والإمام بما بين لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف  
 اتّصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة . ويحتمل الأخيرين وجهاً ثالثاً ، وهو أن  
 يكون المراد لا تعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهية ، وكذا الإمام .  
 الثاني : أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانتها من قوى النفس العاقلة و  
 المدركة وما يكون بمنزلتها ويقوم مقامها ، فمعنى اعرّفوا الله بالله : اعرّفوه بنور الله المشرق

على القلوب بالتوسّل إليه والتقرّب به ، فإنّ العقول لا تهتدي إليه إلّا بأنوار فيضه تعالى واعرّفوا الرسول بتكميله إياكم برسالته ، وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربّكم فإنّها توجب الروابط المعنويّة بينكم وبينه ، وعلى قدر ذلك يتيسّر لكم من معرفته ، وكذا معرفة أولي الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعادِل والإحسان واستكمال العقل بها .

**الثالث :** أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدلّة والحجج ، فمعنى اعرّفوا الله بالله أنّه إنّما تتأتّى معرفته لكم بالتفكّر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوقيفه وهدايته ، لا بما أرسل به الرسول من الآيات والمعجزات فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته تعالى ، واعرّفوا الرسول بالرسالة أي بما أرسل به من المعجزات والدلائل أو بالشرعة المستقيمة التي بعث بها ، فإنّها لا تطبقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقيّة من أرسل بها ، واعرّفوا أولي الأمر بعلمهم بالمعروف ، وإقامة العدل والإحسان ، وإتيانهم بها على وجهها ، وهذا أقرب الوجوه ؛ ويؤيده خبر سلمان وكذا خبر ابن حازم ، إذ الظاهر أن المراد به أن وجوده تعالى أظهر الأشياء ، وبه ظهر كل شيء ، وقد أظهر الآيات للخلق على وجوده وعلمه وقدرته ، وأظهر المعجزات حتّى علم بذلك حقيّة حججه ﷺ ، فالعباد معروفون به ، ولا يحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه . ويمكن أن يقرأ «يعرفون» على بناء المعلوم أيضاً .

وأما ما ذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أن المعنى أن جميع ما يعرف الله به ينتهي إليه سبحانه . ويرد عليه أنّه على هذا تكون معرفة الرسول وأولي الأمر أيضاً بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله في ذلك ؛ وأيضاً لا يلائمه قوله : اعرّفوا الله بالله ، إلّا أن يقال : الفرق باعتبار أصناف المعرفة ، فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله ، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها ، ومعرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف ، والمراد باعرّفوا الله بالله : حصلوا معرفة الله التي تحصل بالله ؛ هكذا حقيقة بعض الأفاضل . ثم إنّ في كلامه تشويشاً وتناقضاً ، ولعل مراده أخيراً نفى معرفة صفاته الكماليّة حق معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلّا أن التصديق بوجوده تعالى يتوقف على ذلك وإن كان بعض كلماته يدل عليه .

## ﴿باب ١١﴾

﴿الدين الحنيف والفطرة وصيغة الله والتعريف في الميثاق﴾

الآيات ، البقرة : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ١٣٨  
 الروم : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق  
 الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٠

١ - مع : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة  
 قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « حنفاء لله غير مشركين به » فقلت : ما  
 الحنيفية ؟ قال : هي الفطرة .<sup>(١)</sup>

بيان : أي الملة الحنيفية هي التوحيد الذي فطر الله الخلق عليه ، ويؤمى إليه قوله  
 تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك  
 الدين القيم » واختلف في معنى ذلك الفطرة فقيل : المعنى أنه خلقهم على نوع من الجبلة  
 والطبع المنتهياً لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها ،  
 وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات ، وتقليد الآباء والأمهات . وقيل : كلهم  
 مفلطرون على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله تعالى صانع له ،  
 وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره . وقيل : المعنى أنه خلقهم لها لا أنه خلق كل  
 الخلق لأن يوحدوه ويعبدوه . قال الجزري : فيه : خلقت عبادي حنفاء أي طاهري  
 الأعضاء من المعاصي لأن الله خلقهم كلهم مسلمين ، لقوله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم  
 كافر ومنكم مؤمن » .

وقيل : أراد أنه خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق : « ألت بر بكم  
 قالوا بلى » فلا يوجد أحد إلا وهو مقرر بأن له رباً وإن أشرك به ؛ والحنفاء جمع

(١) الظاهر أنه متحد مع الحديث الاتي تحت الرقم ١٢٥١١ .



حنيف ، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم ؛ وأصل الحنف : الميل . انتهى .

أقول : الذي يظهر من الأخبار هو أن الله تعالى قرّر عقول الخلق على التوحيد و الإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق ، فقلوب جميع الخلق مذعنةٌ بذلك و إن جحدوه معاندةً . وسيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى .

٢ - فُس : الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن جعفر بن بشير ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : فأقم وجهك للدين حنيفاً قال : الولاية .

٣ - فُس : الحسن بن علي بن زكريا ، عن الهيثم بن عبد الله الرماني ، عن علي ابن موسى الرضا صلوات الله عليه ، عن أبيه ، عن جده محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : هو لا إله إلا الله ، محمد رسول الله - عليه السلام - علي أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى ههنا التوحيد .

٤ - يد أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن علاه بن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : التوحيد .

٥ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : التوحيد .  
٦ - يد : بالإسناد عن ابن هاشم ، وابن يزيد معاً ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير <sup>(١)</sup> عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على التوحيد . <sup>(٢)</sup>

يد : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

(١) في التوحيد المطبوع : بكير عن زرارة ، والظاهر أنه غير صحيح .

(٢) الظاهر اتحاده مع ما يأتي تحت رقم ١٠٨ و ١٣٠ .

سن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة مثله .

٧ - يد : ابن المتوكل ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألسنت بربكم وفيهم المؤمنين والكافر .

٨ - يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد وعبدالله ابني محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن بزيع ، عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم جميعاً على التوحيد .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن علي بن حسان ، (١) عن الحسن بن يونس ، (٢) عن عبد الرحمن بن كثير ، (٣) عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : التوحيد ، ومحمد رسول الله ، وعلي أمير المؤمنين .

ير : أحمد بن موسى ، عن الخشاب ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير مثله .

١٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن المغيرة ، عن ابن مكان ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أصلحك الله قول الله عز وجل في كتابه طرة الله التي فطر الناس عليها ، قال : فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه لهم . قلت : وخاطبوه ؟ قال : فطأ رأسه ثم قال : لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولا ن رازقهم .

(١) هو علي بن حسان الواسطي كما في التوحيد المطبوع ، وسيأتي الحديث عنه عن عبد الرحمن بن كثير تحت رقم ١٩ . وستأتي ترجمته ههنا .

(٢) عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام وظاهره كونه إمامياً .

(٣) مولى عباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، كان ضعيفاً ، غر أصحابنا عليه ، وقالوا : كان يضع الحديث ، له كتاب فضائل سورة إننا أنزلناه ، وكتاب صلح الحسن عليه السلام . وكتاب فذك ، وكتاب الاظلة كتاب فاسد مختلط . قاله النجاشي . واستظهر الوحيد البهبهاني وثاقته من رواية الثقة كنه ويراد المشايخ رواياته في كتب الاخبار واعتناؤهم بها فتأمل .

١١ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، وابن أبي الخطّاب ، وابن يزيد جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألت عن قول الله عزّ وجلّ : «حنفاء لله غير مشركين به» وعن الحنيفة ، فقال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم الله على المعرفة .

قال زرارة : وسألت عن قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم » الآية قال : أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرفهم وأراهم صنعه و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على الفطرة ، يعني على المعرفة بأن الله عزّ وجلّ خالقه ، فذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » .

١٢ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام من قول الله : « حنفاء لله غير مشركين به » ما الحنيفة ؟ قال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، فطر الله الخلق على معرفته .<sup>(١)</sup>

١٣ - سن : أبي ، عن عليّ بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على معرفته أنّه ربهم ، ولولا ذلك لم يعلموا - إذ أسئلوا - من ربهم ولا من رازقهم .<sup>(٢)</sup>

١٤ - سن : المحسن بن أحمد ،<sup>(٣)</sup> عن أبان الأحمر ،<sup>(٤)</sup> عن أبي جعفر عليه السلام ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : عروة الله الوثقى : التوحيد ، والصبغة : الإسلام .

(١) الظاهر اتحاده مع صدر الحديث المتقدم .

(٢) الظاهر اتحاد ذلك مع ما تقدم تحت رقم ٦ و ٨ و ١٠ .

(٣) محسن بفتح السين المشددة كما في الحديث من الإيضاح ، وبكسر ها كما في الحديث عن تاج العروس هو محسن بن أحمد البجلي يكنى أبا محمد ؛ وأورده الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ، و قال النجاشي : محسن بن أحمد القمي من موالى قيس عيلان ، ووى عن الرضا عليه السلام ، أخبرنا محمد بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الزراري ، عن علي بن الحسن السعدآبادي ، عن أحمد بن محمد ابن خالد ، عن محسن بن أحمد بكتابه . انتهى . وظاهرهما كون الرجل إمامياً .

(٤) هو أبان بن عثمان الأحمر البجلي أبو عبد الله ، عده الكشي من الذين اجتمعت المصابة على تصحيح ما يصح عنهم .

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : صبغة الله : أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فانها حلية الإنسان ، كما أن الصبغة حلية المصبوغ ، أو هداية هدايته وأرشدنا حاجته ، أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره . وسماء صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب ، أو للمشكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم . (١)

١٥ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن أبان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : هي الإسلام .

١٦ - سن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم ، ونسوا الموقف ، وسيدكرونها يوماً ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه .

١٧ - سن : البرنطي ، عن رفاعه ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » قال : نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا - وقبض يده - .

١٨ - شف : من كتاب القاضي القزويني ، عن هارون بن موسى التلعكبري عن محمد بن سهل ، عن الحميري ، عن ابن يزيد ، عن علي بن حسان ، (٣) عن عبد الرحمن بن

(١) قال الشيخ الطوسي في كتابه النبيان - بعد ذكر ذلك المعنى من الفراء - : وقال قتادة : اليهود تصبغ أبناءها يهوداً ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى . فهذا غير المعنى الأول ، وإنما معناه أنهم يلتقون أولادهم اليهودية والنصرانية فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه ، فقيل : صبغة الله التي أمر بها ورثتها يعني الشريعة لا صبغتهم . وقال الجبائي : سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالشاهدة من أثر العبادة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة .

(٢) هو علي بن حسان بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن أخي عبد الرحمن بن كثير ، قال النجاشي : ضعيف جداً ، ذكره بعض أصحابنا في الغلاة ، فاسد الاعتقاد له كتاب تفسير الباطن تخليط كله . انتهى . وحكى عن ابن النضائري أنه لا يروى إلا عن عمه . أقول : الظاهر اتحاد الحديث مع ما تقدم في الباب تحت الرقم ١٠ وتقدم ترجمة عبد الرحمن هنا .

كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : هي التوحيد ، وأنّ محمداً رسول الله - عليه السلام - وأنّ علياً أمير المؤمنين - عليه السلام - .  
١٩ - شئ : عن زرارة ، عن أبي جعفر وجران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبغة الإسلام .

٢٠ - شئ : عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق .  
٢١ - شئ : عن الوليد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الحنيفية هي الإسلام .  
٢٢ - غو : قال النبي صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه .<sup>(١)</sup>

بيان : قال السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر - بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر - : والصحيح في تأويله أن قوله : يولد على الفطرة يحتمل أمرين : أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين ، ويكون « على » بمعنى اللام فكأنه قال : كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين ؛ لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته ، يشهد بذلك قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون » والدليل على أن « على » يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي يزيد عن العرب أنهم يقولون : صف عليّ كذا وكذا حتى أعرفه ، بمعنى صف لي ، ويقولون : ما أغبطك عليّ يريدون ما أغبطك لي ، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ، وإنّما ساغ أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ؛ وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص ، وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى : « وأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها » أراد دين الله

(١) رواه السيد المرتضى في أول الجزء الرابع من أماليه مرسل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله . ورواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن الاسود بن سريع واللفظ هكذا : كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه الخ قاله السيوطي في ج ٢ ص ٩٤ من الجامع الصغير .

الذي خلق الخلق له ، وقوله تعالى : « لا تبدل لخلق الله » أراد به أن ما خلق الله العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فكأنه قال : لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا

و الوجه الآخر في تأويل قوله ﷺ : الفطرة أن يكون المراد به الخلقة ، و تكون لفظة « على » على ظاهرها لم يرد بها غيره ، ويكون المعنى : كل مولود يولد على الفطرة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به ؛ لأنه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به ، وإن لم ينظروا و يعرفوا ؛ فكأنه ﷺ قال : كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً ، وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها . وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام : حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يعتمل وجهين : أحدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقت له عبادتي و ديني فإني كما جعله أبواه كذلك ، أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشبهة و قلده الضلال عن الدين ، وإنما خص الأبوين لأن الأولاد في الأكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنه إنما خلقهم للإيمان فصدّهم عنه آبائهم ، أو من جرى مجراهم . والوجه الآخر : أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما ، لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق بالشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه ﷺ قال : لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح ، لكن آبائهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم ؛ وعبر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله : يهودانه وينصرانه .

## ﴿ باب ١٢ ﴾

﴿ اثبات قدمه تعالى و امتناع الزوال عليه ﴾

١ - لي : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن البرنطي<sup>(١)</sup> ، عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : جاء خبر من الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربك ؟ فقال له : نكلك أمك ومتى لم يكن حتى يقال : متى كان ، كان ربّي قبل القبل بلا قبل ، ويكون بعد البعد بلا بعد ، ولا غاية ولا منتهى لغايته ، انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية .

ج : مرسل بن زيادة قوله : فقال : يا أمير المؤمنين أفنبّي أنت ؟ فقال : ويليك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلّى الله عليه وآله .

يد : بالإسناد المتقدم مع تلك الزيادة .

وقال الصدوق بعده : يعني بذلك عبد طاعة لا غير ذلك .

بيان : لما كان «متى كان» سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده ، ولا يصح فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله : متى لم يكن حتى يقال متى كان ، ونسبه على بطلان الاختصاص الذي اخذ في السؤال ، ثم بين عليه السلام سر مدية ، فقال : كان ربّي قبل القبل أي هو قبل كل ما هو قبل شيء ولا قبل بالنسبة إليه ، وبعد كل ما هو بعد شيء ، ولا شيء بعده ، أو هو قبل الموصوف بالقبليّة والبعدية لذاته أي الزمان وبعده بلا زمان إذ هو مبدأ كل شيء وغاية له ، والغاية : نهاية الامتداد ، وقد يطلق على نفس الامتداد ، والمعنى : أنه لا غاية لوجوده وسائر كمالاته أزلاً وأبداً ، ولعل المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهم له من الامتداد نهاية .

(١) في بعض نسخ الكافي : عن أبي إبراهيم ، عن أبي الحسن الموصلي . ولعله كان بدلا عن أبي الحسن ، لأن المكرر في أسناد الكافي رواية البرنطي عن أبي الحسن الموصلي بدون واسطة ، ولم نعرف لأبي الحسن هذا إسماً ، واحتمال كونه كنية لعبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصلي لا يلائم رواية التلمكيري عنه ، وسامعه منه في سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، مع كون الرجل راوياً عن أبي عبد الله عليه السلام .

ويحتمل أن يكون المراد بها أولاً أيضاً الامتداد فيكون مجزوراً أي بلا امتداد زمني، ويحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية، أي كل ما توهمت أنه غاية له فهو موجود بعده، ولا ينتهي إليه وجوده فكل غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله وبعده فهو منتهى كل غاية أي بعدها، أو هو علة لها وإليه ينتهي وجودها، فكيف تكون غاية له؟ ويحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنها منقطعة عنه لا تصل إليه، وبكونه منتهى كل غاية أنه منتهى رغبات الخلائق وحاجاتهم، ويمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلة الغائية أيضاً، والله يعلم.

٢ - مع: ابن المتوكل، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمد بن حكيم، عن ميمون البان<sup>(١)</sup> قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - وقد سئل عن قوله جل وعز: «هو الأول والآخر» - فقال: الأول لآعن أول قبله ولآعن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أول آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء.

بيان: لا عن أول قبله أي لا مبتدئ عن أول يكون قبله زماناً ولآعن بدء على وزن فعل، أو بدي، على وزن فعل أي مبتدئاً سبقه رتبة بالعلية. وقوله: لا عن نهاية أي لامعها مجازاً. ويحتمل أن تكون «عن» تعليلية أي ليست آخريته بسبب أن له نهاية بعد نهاية غيره. وقوله: لا يقع عليه الحدوث ناظر إلى الأول. وقوله عليه السلام: ولا يحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أي آخريته بأنه أبدي بجميع صفاته لا يعتريه تغيير في شيء من ذلك. وسيأتي تحقيقه في باب الأسماء

٣ - ج: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الله عز وجل متى كان؟ فقال له: ويلك أخبرني أنت متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟<sup>(٢)</sup> سبحانه من

(١) بالباء الموحدة والالف والنون المخففة، عده الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد والصادقين عليهم السلام، وظاهره كونه إمامياً إلا أنه مجهول.

(٢) لأن ما يصح أن يسئل عن وجوده «بمتى» يصح أن يسئل عن عدمه أيضاً بذلك، فما لا يصح أن يسئل عن عدمه بمتى، لا يصح أن يسئل عن وجوده أيضاً بذلك. والله تبارك وتعالى حيث لم يكن زمانياً - بل يكون وجوده أزلياً غير مسبوق بالعدم وأبدياً غير ملحق به - فلا يصح أن يسئل عن وجوده أو عدمه بمتى.



لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي مثله .

فسي : أبي ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي ، عن أبي الربيع مثله .

٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن إسحاق بن حرث ، <sup>(١)</sup> عن أبي بصير قال : أخرج أبو عبد الله عليه السلام حقاً <sup>(٢)</sup> فأخرج منه ورقة فإذا فيها : سبحان الواحد الذي لا إله غيره ، <sup>(٣)</sup> القديم المبدى الذي لا بدء له ، الدائم الذي لا نفاد له ، الحي الذي لا يموت ، الخالق ما يرى وما لا يرى ، العالم كل شيء بغير تعليم ، ذلك الله الذي لا شريك له .

٥ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن عبد الله بن محمد ، عن علي بن مهزيار قال : كتب أبو جعفر عليه السلام إلى رجل بخطبه - وقرأته - في دعاء كتب به أن يقول : يا ذا الذي كان قبل كل شيء ، ثم خلق كل شيء ، ثم يبقى ويفنى كل شيء ، ويا ذا الذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره .

٦ - يد : محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر ، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان ، عن علي بن سلمة اللبقي ، <sup>(٤)</sup> عن إسماعيل بن يحيى ، عن عبد الله بن عبد الله بن طلحة ، عن سعد بن سنان ، <sup>(٥)</sup> عن الضحّاك ، عن النزال بن سبرة قال : جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربنا ؟ قال : فقال له علي عليه السلام : إنما يقال : متى كان شيء لم يكن فكان ، و ربنا هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف يكون ، كان لم

(١) لم نجد له ذكر في كتب التراجم .

(٢) في القاموس الحق - بالضم - : وعاء من خشب .

(٣) وفي نسخة : فإذا فيها سبحان الله الواحد الذي لا إله غيره .

(٤) في التوحيد المطبوع : علي بن سلمة اللبقي .

(٥) الإسناد في التوحيد المطبوع هكذا : إسماعيل بن يحيى بن عبد الله ، عن عبد الله بن طلحة بن هجيم قال : حدثنا ابن (أبو) سنان (أبوسفيان) الشيباني سعيد بن سنان الخ أقول : رجال الحديث كلها من السامة .

يزل بلال يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية .

بيان : بلا كينونة كائن أي كان ولم يحدث حادث بعداً ولا على نحو حدوث الحوادث قال الفيروز آبادي : الكون : الحدث كالكينونة . قوله : بلا كيف يكون أي صفة موجودة زائدة ، ولعل الوصف بقوله : يكون للإشعار بأنه إذا كان له كيف يكون حادثاً لا محالة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بلال يزل أي بلا زمان قديم موجود يسمى بلم يزل ليكون معه قديماً ثانياً . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ثانياً : بلا كيف يكون تأكيد لما سبق ، ويحتمل أن يكون الأول لنفي الكيفيات الجسمانية أو الحادثة ، والثاني لنفي الصفات الحقيقية الزائدة أو القديمة ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأخير أنه ليس لوجوده في الأزل واتصافه بها كيف ، فيكون إشارة إلى نفي معلومية الوجود أو زيادته . وفي الكافي بسند آخر : كيف يكون له قبل . وهو أظهر كما سيأتي أيضاً . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بلا غاية أي امتداد وزمان موجود . ولا منتهى غاية أي في الأزل . ولا غاية أي منتهى ينتهي إليها غاية أي امتداد في لا يزال .

٧ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمد بن يحيى الخزّاز ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال رأس الجالوت لليهود : إن المسلمين يزعمون أن عليّاً من أجدل الناس وأعلمهم ، اذهبوا بنا إليه لعلني أسأله عن مسألة أخطئ فيها . فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين إنني أريد أن أسألك عن مسألة . قال : سل عما شئت . قال : يا أمير المؤمنين متى كان ربُّنا ؟ قال : يا يهودي إنما يقال «متى كان» لمن لم يكن فكان ؛ هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف ، <sup>(١)</sup> يا يهودي كيف يكون له قبل وهو قبل القبل ؟ بلا غاية ولا منتهى غاية ، ولا غاية إليها غاية ، انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية . فقال : أشهد أن دينك الحق وأن ما خالفه باطل .

**أقول :** قد أثبتنا خبر محمد بن عبد الله الخراساني في باب إثبات الصانع ، وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان ، وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار .

(١) في الكافي : بلى يا يهودي ثم بلى يا يهودي كيف يكون الخ .

## ﴿باب ١٢﴾

﴿نفى الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد﴾

﴿وأنه لا يدرك بالحواس والالوهام ، والعقول والافهام﴾

الايات : الأنعام ٩١ ، والحج ٧٤ ، والزمر ٦٧ : ما قدروا الله حق قدره

حمصق : ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ١١

١ - ما : محمد بن أحمد بن شاذان القمي ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن علي بن بلال ، <sup>(١)</sup> عن محمد بن بشير الدهقان ، <sup>(٢)</sup> عن محمد بن سماعة قال : سألت بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له : أخبرني أي الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربك ، قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك .

٢ - نص : علي بن الحسين ، عن هارون بن موسى ، عن محمد بن همام ، عن الحميري ، عن عمر بن علي العبدى ، عن داود بن كثير الرقي ، عن يونس بن ظبيان قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت : يا ابن رسول الله إنني دخلت على مالك <sup>(٣)</sup> وأصحابه فسمعت بعضهم يقول : إن الله وجهاً كالوجوه وبعضهم يقول : له يدان ! واحتجوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى : « يدي استكبرت » وبعضهم يقول : هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة ! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله ؟ قال : - وكان متكئاً فاستوى جالساً - وقال : اللهم عفوك عفوك . ثم قال : يا يونس من زعم أن الله وجهاً كالوجوه فقد أشرك ، ومن زعم أن الله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا

(١) البغدادي الثقة ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .

(٢) لم نجده في التراجم بهذا العنوان .

(٣) أحد الائمة الاربعة للامة ، حكى عن ابن النديم في فهرسه أنه قال : مالك بن أنس بن أبي عامر من حمير ، و عداة في بني تميم بن مرة من قریش ، وحمل به ثلاثين سنين ! وكان شديد البياض إلى الشفرة ، طويلاً عظيم الهامة أصلح الرأس ، يلبس الثياب المدينة الجياد ويكثر حلق شاربه ولا يفتري شيء ، وكان يأتي المسجد ويشهد الصلوات ويعود المرضى ويقضي الحقوق ، ثم ترك الجلوس في المسجد وكان يصلي في منزله وترك اتباع الجنائز فكان يمازج على ذلك ، وكان يقول : ليس يقدر كل أحد يقول عذره ، وكان فقيه الحجاز وسيدها في وقته ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين و دفن بالبقيع .

ذبيحته ، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين ، فوجه الله أنبياءه وأوليائه<sup>(١)</sup> و قوله : « خلقت يدي استكبرت » اليد : القدرة ، كقوله : وأيدكم بنصره ، فمن زعم أن الله في شيء ، أو على شيء ، أو يحول من شيء إلى شيء ، أو يخلو منه شيء ، أو يشتغل به شيء ، فقد وصفه بصفة المخلوقين ؛ والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، قريب في بعده ، بعيد في قرب به ذلك الله ربنا لا إله غيره ، فمن أراد الله وأحببه بهذه الصفة فهو من الموحدين ، ومن أحببه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء .

٣ - لى : محمد بن محمد بن عاصم ، عن الكليني ، عن علان ،<sup>(٢)</sup> عن محمد بن الفرغ الرخجي<sup>(٣)</sup> قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم ، وهشام بن سالم في الصورة . فكتب عليه السلام : دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال المشاهان .

يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علي بن محمد رفعه عن الرخجي مثله .

بيان : لاريب في جلالة قدر المشاهين وبراءتهما عن هذين القولين ، وقد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه في براءة ساحتهما عما نسب إليهما في كتاب الشافي ، مستدلاً عليها بدلائل شافية ، ولعل المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشيعية إلى زراة وغيره من أكابر المحدثين ، أولعدم فهم كلامهما ؛ فقد قيل : إنهما قالا بجسم لا لأجسام ، وبصورة لا كالصور ، فعمل مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذات ، وبالصورة الماهية ، وإن أخطأ في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى .

(١) لأن العباد يتوجهون بهم إلى الله تعالى والله تعالى يخاطب العباد ويواجههم بهم عليهم السلام .  
(٢) الظاهر أنه هو علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني ، استاذ محمد بن يعقوب الكليني وخاله . قال النجاشي : يكنى أبا الحسن ثقة ، عين . أقول : علان بالعين المهملة المفتوحة ثم اللام المشددة . وحكى عن الشهيد الثاني رحمه الله في تعليقه على الخلاصة أن علان مخفف اللام .  
(٣) بالراء المهملة المضمومة والغاء المعجمة المفتوحة والجيم والياء نسبة إما إلى « رنج » كورة ومدينة من نواحي كابل ، وقد يشدد الغاء ، أو إلى الرخبة أو الرخجية بتشديد الغاء فيها ، قرية على نحو فراسخ من بلكوازي .

قال المحقق الدواني: المشبهة منهم من قال: إنه جسم حقيقة، ثم أفتروا فقال بعضهم: إنه مركب من لحم ودم. وقال بعضهم: هو نور متلائي، كالسبيكة المبيضاء، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. ومنهم من قال: إنه على صورة إنسان؛ فمنهم من يقول: إنه شاب أمرد جعد ققط؛<sup>(١)</sup> ومنهم من قال: إنه شيخ أشمط الرأس واللحية؛<sup>(٢)</sup> ومنهم من قال: هو في جهة الفوق مماس للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات، وتطأ العرش تحته أطيط الرجل الجديد تحت الراكب الثقيل، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع؛ ومنهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماس له، وبعده عنه بمسافة متناهية، وقيل: بمسافة غير متناهية، ولم يستنكف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصوراً بين حاصرين؛ ومنهم من تستر بالكفة<sup>(٣)</sup> فقال: هو جسم لا كالأجسام وله حيز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها، وهكذا ينفي جميع خواص الجسم عنه حتى لا يبقى إلا اسم الجسم؛ وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية. انتهى.

وقال الشهرستاني: حكى الكعبي عن هشام بن الحكم أنه قال: هو جسم ذو أبعاد، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه. ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحر كته فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر. وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال: إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عنه شيء.

وقال هشام بن سالم: إنه تعالى على صورة إنسان، أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلأأ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء،<sup>(٤)</sup> وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولادم.

(١) الجعد من الشعر: خلاف الاسترسال. وقط الشعر: كان قصيراً جعداً فهو ققط.

(٢) شمط شمطاً: خالط بياض رأسه سواد فهو [أشمط].

(٣) الكفة - بضم الكاف - حاشية الشيء، وكفة القميص ما استدار حول الذيل. وفي نسخة: «البلغة» ولم نجد له معنى.

(٤) الوفرة: ما سال من الشعر على الأذنين.

ثم قال : وغلا هشام بن الحكم في حق علي عليه السلام حتى قال : إنه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول ، لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهره من التشبيه ، وذلك أنه ألزم العلاف فقال : إنك تقول : إن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم ويباينها في أن علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا تقول : هو جسم لا كالأجسام ؟ وصورة لا كالصور ، وله قدر لا كالأقدار ، إلى غير ذلك . انتهى .

أقول : فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواية الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم ، أو أنهم لما ألزموهم في الاحتجاج بأشياء إسكاناً لهم نسبوها إليهم ، والأئمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إما للتبري عنهم إبقاءً عليهم ، أو لمصلحة آخر . ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد : ليس هذا القول الذي تقول ما قال الهشامان بل قولهما مبين لذلك . ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام والأخذ بقولهم ، فقد قيل : إن هشام بن الحكم كان قبل أن يلقي الصادق عليه السلام على رأي جهم بن صفوان ، فلما تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق ، ويؤيده ما ذكره الكراجكي في كنز الفوائد في الرد على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال : وأما هو الاتنا هشاماً رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ، ورجوعه عنه ، وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه ؛ وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام إلى المدينة فحجبه ، وقيل له : إنه أمرنا أن لا نوصلك إليه مادمت قائلاً بالجسم ، فقال : والله ما قلت به إلا لأنني ظننت أنه وفاق لقول إمامي ، فأما إذا أنكره علي فأنا نني تائب إلى الله منه ؛ فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعاه به خير وحفظ .

٤ - عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام : إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه .

٥ - وروي عنه أيضاً أنه قال : سبحانه من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لا يحد ولا يحس ، ولا يدركه الأبصار ، ولا يحيط به شيء ، ولا هو جسم ولا صورة ولا بدي تخليط ولا تحديد .

٦ - شى : عن جابر الجعفي قال : قال محمد بن علي عليه السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله ، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مصلى ، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجل عن أوهام المتوهمين ، واحتجب عن عين الناظرين ، ولا يزول مع الزاملين ، ولا يأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم .

٧ - شى : عن هشام المشرقي <sup>(١)</sup> ، عن أبي الحسن الخراساني قال : إن الله - كما وصف نفسه - أحد صمد نور ، ثم قال : بل يدها مبسوطتان . فقلت له : أفله يدان هكذا ؟ - وأشارت يدي إلى يده - فقال : لو كان هكذا كان مخلوقاً .

٨ - ج : في سؤال الزنديق برواية هشام ، عن الصادق عليه السلام : لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان . الخبر .

٩ - ج : قال الرضا عليه السلام : إن النبي عليه السلام قال : قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبّهني بخلقي ، ولا على ديني من استعمل القياس في ديني .

يد ، ن ، لى : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الريان بن الصلت ، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن أبيه ، عن آباءه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام : قال الله جل جلاله مثله .

١٠ - يد ، لى : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الصقر بن دلف <sup>(٢)</sup> قال : سألت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام عن التوحيد وقلت له : إني أقول بقول هشام بن الحكم ، فغضب عليه السلام ثم قال : مالكم و تقول هشام ؟ إنه ليس منا من زعم أن الله

(١) ضبطه الأكثر بالقاف وجزم المحقق الداماد أنه بالفاء .

(٢) الوجود في التوحيد المطبوع والبحار : الصقر بن دلف ؛ والوجود في التراجم : الصقر ابن أبي دلف . وضبط الصقر بالصاد المهملة المفتوحة والقاف الساكنة ، ودلف بالdal المهملة واللام المفتوحتين والفاء .

جسمي ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن دلف إن الجسم محدث ، والله محدثه و  
مجسده .

١١ - كش : علي بن محمد ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن يزيد ، عن الحسين بن بشار ،  
عن يونس بن بهمن<sup>(١)</sup> قال : قال لي يونس : اكتب إلى أبي الحسن عليه السلام فاسأله عن آدم  
هل فيه من جوهرية الله شيء ، قال : فكتبت إليه ، فأجاب : هذه المسألة مسألة رجل على  
غير السنة . فقلت ليونس ؛ فقال : لا يسمع ذا أصحابنا فيبرؤون منك ، قال : قلت ليونس :  
يتبرؤون مني أو منك ؟ .

١٢ - كش : طاهر بن عيسى<sup>(٢)</sup> ، عن جعفر بن أحمد ، عن الشجاع<sup>(٣)</sup> ، عن ابن  
يزيد ، عن الحسين بن بشار ، عن الوشاء ، عن يونس بن بهمن قال : قال يونس بن عبد  
الرحمن : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام سألته عن آدم هل كان فيه من جوهرية الرب  
شيء ؟ فكتب إلي جواب كتابي : ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنة ، زنديق .  
بيان : الكلام في يونس وما نسب إليه أيضاً كما مر في الهشامين . وقال الشهرستاني :  
إنه زعم أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب وهو من مشبهة الشيعة . انتهى .

١٣ - لي : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن علي بن مهزيار قال :  
كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم ، ومن  
يقول : بقول يونس - يعني ابن عبد الرحمن - ؟ فكتب عليه السلام لا تصلوا خلفهم ولا تعطوهم من  
الزكاة وابرؤوا منهم ، برأ الله منهم .

(١) بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الميم بعدهانون . حكى عن الغضائري أنه قال :  
يونس بن بهمن قال خطابي كوفي يضع الحديث روى عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) أوردته الشيخ في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام قال : طاهر بن عيسى الوراق  
يكنى أبا محمد من أهل كش ، صاحب كتب ، روى عنه الكشي ، وروى هو عن جعفر بن أحمد الغضائري ،  
عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب . انتهى . أقول : ليس في كتب التراجم ما يلحق الرجل ورواه  
جعفر بن أحمد الغضائري بالموثقين .

(٣) قال التفرشي في نقد الرجال : اسمه علي بن الشجاع كما يظهر من الكشي ، ويحتمل أن يطلق  
على الحسن بن الطيب أيضاً ، ويظهر من النجاشي - عند ترجمة محمد بن إبراهيم بن جعفر - أنه يطلق  
على محمد بن علي أيضاً . انتهى .



١٤ - لى : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبي هاشم الجعفري قال : سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجعلوك . و به قد روك و التقدير على غير ما به وصفوك ، وإني بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء ، إلهي ولن يدركوك ، وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك ، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك ، بل سوّوك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك ، واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك ، تعاليت ربّي عما به المشبهون نعتوك .

بيان : و به أي وبالجهل . قوله : والتقدير على غير ما به وصفوك أي التقدير بما قدروا به من المقادير الجسمانية ينا في ما وصفوك به من الربوبية ، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أي ينبغي ويجب توصيفك على غير ما وصفوك به من الجسم و الصورة . والمندوحة : السعة أي في التفكير في خلقك و الاستدلال به على عظمتك و تقدّسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكروا في ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك . أو المعنى : أن التفكير في الخلق يكفي في أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء .

يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن بعض أصحابنا <sup>(١)</sup> قال : مرّ أبو الحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ، ثم قال : إلهي بدت قدرتك . وذكر نحوه .

١٥ - شا : جاءت الرواية أن علي بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه ففرع لذلك وارتاع له ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ودفن صوته يناجي ربه ، فقال في مناجاته له : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجعلوك وقد روك بالتقدير على غير ما به أنت شبهوك . إلى آخر ما مرّ .

١٦ - ن : ابن المتوكل ، عن علي بن إبراهيم ، عن الصقرين دلف ، <sup>(٢)</sup> عن ياسر

(١) لعله هو أبو هاشم الجعفري ، والظاهر اتحاد الخبر مع ما تقدم .

(٢) قد مر ذيل الخبر العاشر أن الموجود في التراجم الصقرين أبي دلف .

الخادم قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر .

١٧ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علان ، عن سهل ، عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال : كتبت إلى الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - : أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول : جسم ، ومنهم من يقول : صورة ، فكتب عليه السلام بخطه : سبحان من لا يحد ولا يوصف ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم أوقال : البصير .

١٨ - يد ، ن : الفاهي - في مسجد الكوفة - عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن إبراهيم ابن هاشم ، عن علي بن معبد ، <sup>(١)</sup> عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام ، فقال : يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال : فليقولوا : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه والجبر إذا . فقلت له : إنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه . قال : فليقولوا في آبائي الأئمة عليهم السلام : إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم . ثم قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى ، فمن أحبهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برنا ، ومن برهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردنا ، ومن ردهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدقهم فقد كذبنا ، ومن كذبهم فقد صدقنا ، ومن أعطاهم فقد حرّمنا ، ومن حرّمهم فقد أعطانا . يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً .

ج : عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله .

١٩ - ج : الحسن بن عبدالرحمن الحماني قال : قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إن هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم سميع بصير ، قادر متكلم ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً . فقال : قاتله الله أما علم أن الجسم محدود والكلام غير المتكلم ؟ معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول ، لا جسم ولا صورة ولا تحديد ، وكل شيء سواه مخلوق ، وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشيبته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان .

يد : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن العباس ، عن الحسين ابن عبدالرحمن الحماني مثله .<sup>(٣)</sup>

بيان : قوله : ليس كمثله شيء يومي إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية ، بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام ، ويحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شيء من الأجسام بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام ، فعلى الأول نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى بأن الجسم إنما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والحدديد فكيف يطلق عليه تعالى ؟ .

و قوله : يجري مجرى واحد إشارة إلى عينية الصفات وكون الذات قائمة مقامها فنفي عليه السلام كون الكلام كذلك ، ثم نبه على بطلان ما يوهوم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء ، فلفظة «كن» في الآية الكريمة كناية عن تسخيرها للأشياء و انقيادها له ، من غير توقف على التكلم بها . ثم نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطوط بال ، أو تردد في نفس . ويحتمل أن يكون المقصود بمانسب إلى هشام كون الصفات كلها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقية ، فنفاه عليه السلام بآيات المغايرة أو لا ثم بيان أن كل شيء سواه مخلوق ، والأول أظهر ؛ ولفظة «تكون» يمكن أن تقر أعلى المعلوم وعلى المجهول من باب التعميل .

٢٠ - ج : عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال : لا أقول : إنه قائم فأزيله عن مكان ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيء من

(١) الموجود في التوحيد المطبوع : الحسن بن الحسين بن عبيد الله .

الأركان و الجوارح ، ولا أحده بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال عزّ وجلّ : إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، بمشيئته من غير تردّد في نفس ، صمداً فرداً لم يحتاج إلى شريك يدبّر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

بيان : فأزيله عن مكانه أي فأقول : إنّهُ يجوز أن يزول ويتحرّك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسمًا محتاجاً تبدّل الأحوال عليه . أو المعنى : أن القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه ، وشغل بعضه ببعضه ، مع أنّ نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولا يشتغل به مكان . وقوله : في شيء من الأركان أي شيء من الأعضاء والجوارح ، ويحتمل أن يكون "في" بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمّية . وقوله ﷺ : بلفظ شقّ فم أي بكلمة تخرج من فلق الفم عند تكلمه بها .

٢١ - فس : محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عليّ بن العباس ، عن جعفر بن محمد ، عن الحسن بن اسيد ،<sup>(١)</sup> عن يعقوب بن جعفر قال : سمعت موسى بن جعفر صلوات الله عليه يقول : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمد ﷺ أنّه لا إله إلا هو الحي القيوم ، ويسمّى بهذه الأسماء<sup>(٢)</sup> الرحمن الرحيم العزيز الجبار العليّ العظيم ، فتاهت هنالك عقولهم ، واستخفّت حلومهم ، فضربوا له الأمثال ، وجعلوا له أنداداً ، وشبّهوه بالأمثال ، ومثّلوه أشباهاً ، وجعلوه يزول ويحول ، فتاهوا في بحر عميق لا يدرون ما غوره ولا يدركون كمّية بعده .<sup>(٣)</sup>

٢٢ - ب : ابن عيسى ، عن البرزنيّ قال : قلت له : جعلت فداك هم يقولون في الصفة فقال لي - هو ابتداءً - : إنّ رسول الله ﷺ لمّا أُسري به أوقفه جبرئيل ﷺ موقفاً لم يطأه أحد قطّ فمضى النبيّ ﷺ فأراه الله من نور عظمتها ما أحبّ . فوقفت على

(١) أقول : الصحيح كما في نسخة من «فس» الحسن بن أسد ، وفي نسخة أخرى منه الحسين بن اسيد ، ولعل كلمة «اسيد» تصحيف لاسد ، أورد الشيخ في رجاله الحسن بن اسد البصري في أصحاب الرضا عليه السلام ، والحسين بن أسد في أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام ، وحكى عن ابن الفاضليّ تضعيف الحسن ، واحتمل الميرزا وغيره اتحادهما .

(٢) وفي نسخة : وسى بهذه الاسماء .

(٣) وفي نسخة : ولا يدركون كنه بعده .

التشبيه فقال : سبحان الله ! دع ذا لا يفتح عليك منه أمر عظيم .  
بيان : فقال لي هو ابتداء أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه ، فوقفته على التشبيه أي فذكرت له ما يقولون في التشبيه فأجابه عليه السلام بتنزيهه تعالى عن ذلك ، ونهاه عن القول بذلك ، والتفكر فيه لئلا يفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر والخروج عن الدين .

٢٣ - يد : المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال :  
قام رجل إلى الرضا عليه السلام قال له : يا ابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا . فقال الرضا عليه السلام : إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس ، مائلاً عن المنهاج ، ظاعناً في الإعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل ، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير روية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه ، <sup>(١)</sup> ومتدان في بعده لا بنظير ، لا يمثل بخليقته ، ولا يجوز في قضيتته ، الخلق إلى ما علم منقادون ، وعلى ماسطر في المكنون من كتابه ماضون لا يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون ، فهو قريب غير ملتزق ، وبعيد غير متقص ، يحقق ولا يمثل ، ويوحّد ولا يبعّض ، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال . ثم قال عليه السلام - بعد كلام آخر تكلم به - : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه عن أبيه عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما عرف الله من شبهه بخلقه ، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده .

بيان : الظعن : السير ، والتقصي : البعد وبلوغ الغاية . يحقق على المجهول أي يثبت وجوده . ولا يمثل أي لا يوجد كنهه في الذهن .

٢٤ - ضه : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له رجل : أين المعبود ؟ فقال عليه السلام : لا يقال له : أين لأنّه أَيْنُ الأَيْنَةِ ، ولا يقال له : كيف لأنّه كَيْفُ الكَيْفِيَّةِ ولا يقال له : ماهو لأنّه خلق الماهية ، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمته ، <sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة : معروف بغير تشبيه ، وفي أخرى : معروف بغير تنبيه .

(٢) التيار : موج البحر الهائج .

وحصرت الأبواب عند ذكر أزلّيته ، و تحيّرت العقول في أفلاك ملكوته .  
٢٥ - وروي عنه أيضاً - عليه السلام - أنه قال : اتقوا أن تمشلوا بالربّ الذي لا مثل له  
أو تشبّهوه من خلقه ، أو تلقوا عليه الأوهام ، أو تعملوا فيه الفكر ، وتضربوا له الأمثال ،  
أو تنتعوه بنعوت المخلوقين فإن لمن فعل ذلك ناراً .

٢٦ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن إبراهيم بن  
الحكم بن ظهير ، عن عبد الله بن جرير العبدي ، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه كان يقول :  
الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، ولا يقع عليه  
الوهم ، ولا تصفه الألسن ، فكل شيء حسسته الحواس ، أو حسسته الجواس <sup>(١)</sup> ، أو لمسته  
الأيدي فهو مخلوق ، والله هو العليّ حيث ما يبتغي وجود ، والحمد لله الذي كان قبل  
أن يكون ، كان لم يوجد لوصفه كان <sup>(٢)</sup> بل كان أزلاً كان كامناً <sup>(٣)</sup> لم يكن له مكوّن  
جل ثناؤه ، بل كوّن الأشياء قبل كونها فكانت كما كوّنّها ، علم ما كان وما هو كائن ،  
كان إذ لم يكن شيء ، ولم ينطق فيه ناطق ، فكان إذ لا كان .

بيان : نفى كان إمّا لا شعاره بالحدوث كما مرّ ، أو لعدم كونه زمانياً بناءً على  
أن الزمان يخصّ المتغيّرات . ويدلّ الخبر على حدوث العالم .

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن محمد بن جعفر البغدادي ، عن سهل ، عن أبي  
الحسن عليّ بن محمد عليه السلام أنه قال : إلهي تاهت أوهام المتوهّمين وقصر طرف الطارفين  
وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، أو  
الوقوع بالبلوغ إلى علوك ، فأنت الذي لا تتناهى ، ولم يقع عليك عيون بأشارة ولا  
عبارة ، هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداًني يا فرداني ، شمخت في العلو بعزّ الكبير ،  
وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر .

بيان : أو الوقوع أي عليك ، و يحتمل تعلّق قوله : بالبلوغ بالوقوع بأن تكون

(١) جس الاخبار والامور : بحث عنها . الجواس : هي الحواس الخمس .

(٢) وفي نسخة : كان لا يوجد لوصفه كان .

(٣) وفي نسخة : بل كان اولاً كان كامناً .

الباء ظرفية ، ويحتمل أيضاً تنازع الوقوع والبلوغ في قوله : إلى علوك . فأنت الذي لا تتناهى أي ليس لمعرفتك و معرفة صفاتك حدود تنتهي إليها ، أولعلمك و قدرتك و رحمتك وغيرها نهاية تقف عندها . والمراد بالعيون الجواسيس ؛ أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال ، و إذا حمل على العيون - جمع العين بمعنى الباصرة - فإسناد العبارة إليها مجازي ، ويحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله . لا تتناهى على اللف و النشر غير المرتب . وشمخ : علا و طال . والغور : القعر من كل شيء أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك و صفاتك بالوصول إلى غور الأفكار و نهايتها بسبب جبروت و عظمة ذاتية توجب الفخر .

٢٨ - يد : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن داود بن القاسم قال : سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن وصفه بالمكان فهو كافر ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب . ثم تلا هذه الآية : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

٢٩ - يد : الفامي ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن غير واحد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن أنكر قدرته فهو كافر .

٣٠ - يد : الفامي ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن ابن أبي عمير ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، إن الله تبارك و تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه . قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات : أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة ، ولا جهة محدثة إلا وهي تدل على حدوث من هي له ، فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هي له ، إذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلهما ، وقد قام الدليل على أن الله عز وجل قديم ، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من أخرى . ومن الدليل على أن الله تبارك و تعالى قديم : أنه لو كان حادثاً لوجب

أن يكون له محدث لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل ، ولكن القول في محدثه كالقول فيه ، وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول ، وهو محال ، فيصح أنه لا بد من صانع قديم ، وإذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه .

٣١ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ، عن إبراهيم ابن الحكم بن ظهير <sup>(١)</sup> ، عن عبدالله بن جوين العبدى <sup>(٢)</sup> ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه كان يقول : الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، ولا يقع عليه الوهم ، ولا تصفه الألسن ، وكل شيء حسسته الحواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق ؛ الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شيء غيره ، وكون الأشياء فكانت كما كونها ، وعلم ما كان وما هو كائن .

٣٢ - يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن القاسم <sup>(٣)</sup> ، عن جدّه ، عن يعقوب ابن جعفر قال : سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام - وهو يكلم راهباً من النصارى - فقال له في بعض ما ناظره : إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحدد بيد ، أو رجل ، أو حركة ، أو سكون ، أو يوصف بطول ، أو قصر ، أو تبلغه الأوهام ، أو تحيط بصفته العقول ، أنزل مواعظه ووعدته وعيده ، أمر بلا شفة ولا لسان ، وأمكن كما شاء أن يقول : كن فكان خيراً كما أراد في اللوح .

٣٣ - يد : حمزة بن محمد العلوي ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ، ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال : إن الله عز وجل لا يشبهه شيء <sup>(٤)</sup> .

(١) ظهير وذان زبير ، أورد النجاشي ترجمته في ص ١١ من رجاله ، قال : إبراهيم بن الحكم ابن ظهير الغزاري ، أبو إسحاق صاحب التفسير عن السدي ، له كتب منها كتاب الملاحم وكتاب الخطب الخ ، أقول : ظاهره كون الرجل امامياً .

(٢) في نسخة من التوحيد «جون» بدلا من «جوين» . وتقدم الحديث باسناد آخر تحت رقم ٢٦ ، وفيه : عبدالله بن جرير العبدى . والرجل ليس مذكوراً في كتب رجالنا .

(٣) هو قاسم بن يحيى وجده الحسن بن راشد .

(٤) يأتي الحديث باسناد آخر مفصلاً تحت رقم ٣٧ .



بيان : الموفق : هو الذي أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة ؛ والمستوي من قولهم : أوفقت الإبل : إذا اصطفت واستوت . وقيل : إنه تصحيف الريق أي ذال البهجة والبهاء وقيل : هو تصحيف الموقف - بتقديم القاف - بمعنى المزين ، فإن الوقف سوار من عاج ، ووقفت يديها بالحناء نقطتها ، ويحتمل أن يكون تصحيف المونق .<sup>(١)</sup>

٣٤ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن سهل ، عن حمزة بن محمد قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب عليه السلام : سبحان من ليس كمثله شيء لاجسم ولا صورة .

يد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن بعض أصحابه مثله .

يد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن حمزة بن محمد إلى قوله : شيء .

أقول : رواه الكراخي عن الحسين بن عبيد الله الواسطي ، عن التلعكبري ، عن الكليني ، عن محمد بن الحسن ، عن سهل .

٣٥ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن علي بن أبي حمزة<sup>(٢)</sup> قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جلّ وعزّ جسم صمدي نوري ، معرفته ضرورة ، يمن بها على من يشاء من خلقه . فقال عليه السلام : سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،<sup>(٣)</sup> لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس ، ولا يدركه الحواس ، ولا يحيط به شيء لاجسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد .

بيان : معرفته ضرورة أي تقذف في القلب من غير اكتساب ، أو تحصل بالروية تعالى الله عن ذلك . وقد يؤول كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا غيرها ، وبالصمدي ما لا يكون خالياً في ذاته عن شيء فيستعد أن يدخل هوفيه ، أو مشتتاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه ، وبالنوري ما يكون صافياً عن ظلم المواد و قابليّاتها بل عن الماهية المغائرة للوجود وقابليّاتها له .

(١) المونق : الحسن المعجب .

(٢) هو البطائي الوافقي الضعيف ، وقد ورد أحاديث كثير في ذمه .

(٣) وفي نسخة : وهو السميع العليم .

٣٦ - يد : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، و الحسين بن علي ، عن صالح بن أبي حماد ، <sup>(١)</sup> عن بكر بن صالح ، <sup>(٢)</sup> عن الحسين بن سعيد ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن محمد بن زياد قال : سمعت يونس بن ظبيان <sup>(٣)</sup> يقول : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً ؛ يزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيان : جسم ، وفعل الجسم ، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل ، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل . فقال أبو عبد الله عليه السلام : ويله ! أما علم أن الجسم محدود متناه ، والصورة محدودة متناهية ، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان ، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً . قال : قلت : فما أقول ؟ قال عليه السلام : لا جسم ولا صورة ، وهو مجسم الأجسام ، ومصور الصور لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص ؛ لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولابن المنشيء والمنشأ ، لكن هو المنشئ ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه ، إذ كان لا يشبهه شيء ، ولا يشبهه هو شيئاً .

إيضاح : استدلل عليه السلام على نفي جسميته تعالى بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهية إليها ، لاستحالة لاتناهي الأبعاد ، وكل محتمل للحد قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحد ، فله حقيقة كلبية غير متشخصة بذاتها ولا موجودة بذاتها

(١) قال النجاشي في ص ١٤٠ من رجاله : صالح بن أبي حماد أبو الخير الرازي ، واسم أبي الخير زاذويه ، لقي أبا الحسن العسكري عليه السلام وكان أمره ملبساً ، يعرف وينكر الخاقول : و حكى عن ابن النضاري تضعيفه .

(٢) ضعفه النجاشي وابن النضاري والعلامة وغيرهم .

(٣) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة . يونس ظبيان - بالطاء المعجمة المفتوحة ، والياء المنقطعة تحتها نقطة ، قبل الياء والنون أخيراً - قال أبو عمر والكنشي : قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه : الكذابون الشهودون : أبو الخطاب ، ويونس بن ظبيان ، ويزيد الصائغ ، ومحمد بن سنان ، وأبو سينة أشهرهم ؛ وقال النجاشي : أنه مولى ، ضعيف جداً ، لا يلتفت إلى ما واه ، كل كتبه تغليط ؛ قال ابن النضاري : يونس بن ظبيان كوفي غال كذاب وضاع للحديث ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، فانا لا نعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ المظلماء فيه .

أوهو مركب من أجزاء حال كل واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً ، أو بأن كل قابل للحدّ والنهاية قابل للزيادة والنقصان لا يتأبى عنهما في حدّ ذاته ، وإن استقرّ على حدّ معين فإنما استقرّ عليه من جهة جاعل . ثم استدلّ عليه بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنًا وأرفع قدراً من الموجد ، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما ، وإلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّة دون الآخر ؟ وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس ؟ ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمثابرة فيما يوجب الاحتياج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة أخرى . قوله : فرق بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين من صورّه ؛ ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم .

٣٧ - يد : علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن البرنطي ، عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي ، وحكيت له قول هشام بن الحكم : إنّه جسم فقال : إن الله لا يشبهه شيء ؛ أي فحش أو خفاء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم ، أو صورة ، أو بخلقة ، أو بتحديد وأعضاء ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ييان : الخفاء : الفحش في القول ، ويحتمل أن يكون التردد من الراوي .

٣٨ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، عن محمد بن علي القاساني قال : كتبت إليه عليه السلام : أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد . قال : فكتب عليه السلام : سبحانه من لا يحد ولا يوصف ولا يشبهه شيء ، وليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

٣٩ - يد : ما جيلويه ، عن محمد العطّار ، عن الأشعري ، عن عمران بن موسى ، عن الحسن بن جريش الرازي ، عن بعض أصحابنا ، عن الطيّب - يعني علي بن محمد - وعن أبي جعفر عليه السلام أنهما قالوا : من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلّوا وراءه .

٤٠ - نص : أبو المفضل الشيباني ، عن أحمد بن مطوق بن سوار ، عن المغيرة بن محمد بن المهلب ، عن عبد الغفار بن كثير ، عن إبراهيم بن حميد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال . قدم يهودي على رسول الله ﷺ - يقال له : نعل - فقال : يا محمد إنني سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أنت أحببتي عنها أسلمت على يدك

قال : سل يا أبا عمارة . فقال : يا محمد صف لي ربك ، فقال ﷺ : إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الإحاطة به ، جل عما يصفه الواصفون ، نأى في قرب ، وقرب في نأيه كيف الكيفية فلا يقال له : كيف ، وأين الأين فلا يقال له : أين ، هو منقطع الكيفية والأينونية ، فهو لا حد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعمته ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قال : صدقت يا محمد أخبرني عن قولك : إنه واحد لاشييه له ، أليس الله واحد والإنسان واحد ؟ فوحدانيته اشبهت وحدانية الإنسان . فقال ﷺ : الله واحد وأحد المعنى ، والإنسان واحد ثنوي المعنى ، جسم وعرض ، و بدن و روح ، فإثما التشبيه في المعاني لا غير ، قال : صدقت يا محمد .

٤١ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن الأشعري ، عن محمد بن عيسى ، عن هشام بن إبراهيم العباسي قال : قلت له - يعني أبا الحسن ﷺ - : جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة ، قال : ومن هو ؟ قلت : الحسن بن سهل قال : وفي أي شيء المسألة ؟ قلت : في التوحيد ، قال : وأي شيء ، من التوحيد ؟ قال : يسألك عن الله جسم أو لا جسم ؟ فقال لي : إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : إثبات بتشبيهه ، ومذهب النفي ، ومذهب إثبات بلا تشبيهه ، فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز ، ومذهب النفي لا يجوز ، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيهه .

٤٢ - يد : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل الإنسان وقال آخر إنه في صورة أمر د جعد قطط ، فخر أبو عبد الله ﷺ ساجداً ثم رفع رأسه فقال : سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ، ولا تدركه الأبصار ، ولا يحيط به علم ، لم يلد لأن الولد يشبه أباه ، ولم يولد فيشبه من كان قبله ، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد ، تعالى عن صفة من سواء علواً كبيراً .

بيان : الجعد : ضد السبط ، قال الجزري في صفة شعره ﷺ : ليس بالسبط

ولا الجعد القلط ؛ السبط من الشعر : المنبسط المسترسل ، والقطط : الشديدة الجعودة .  
 ٤٣ - كش : محمد بن مسعود ، عن علي بن محمد القمي ، عن البرقي ، عن محمد بن موسى  
 ابن عيسى ،<sup>(١)</sup> عن اسكيب بن أحمد الكيسانى ،<sup>(٢)</sup> عن عبد الملك بن هشام الخياط<sup>(٣)</sup> قال :  
 قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام أسألك جعلني الله فداك ؟ قال : سل يا جبلي ، عما ذاتسألني ؟  
 فقلت : جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن الله عز وجل صورة ، وأن آدم خلق على مثال  
 الرب ، فيصف هذا ويصف هذا - وأومات إلى جانبي وشعر رأسي - وزعم يونس مولى  
 آل يقطين وهشام بن الحكم أن الله شيء لا كالأشياء ، وأن الأشياء بائنة منه ، وأنه  
 بائن من الأشياء ، وزعم أن إثبات الشيء أن يقال : جسم ، فهو جسم لا كالأجسام ، شيء  
 لا كالأشياء ، ثابت موجود غير مفقود ولا معدوم ، خارج عن الحدين : حد الإبطال ،  
 وحد التشبيه ، فبأي القولين أقول ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : أراد هذا الإثبات ، و  
 هذا شبه ربه تعالى بمخلوق ، تعالى الله الذي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا نظير ،  
 ولا هو بصفة المخلوقين ، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم ، وقل بما قال مولى آل يقطين  
 وصاحبه . قال : فقلت : يعطى الزكاة من خالف هشاماً في التوحيد ؟ فقال برأسه : لا .  
 بيان : أراد هذا الإثبات أي يونس وهشام بن الحكم ، ولعله عليه السلام إنما صوب  
 قولهما في المعنى لافي إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى ، ويظهر مما زعمنا من أن إثبات الشيء  
 أن يقال جسم ، أن مرادهم بالجسم أعم من المعنى المصطلح كما مر .

(١) الظاهر هو أبو جعفر السان الهمداني الذي قال النجاشي في حقه : ضعفه القميون بالفلو  
 وكان ابن الوليد يقول : إنه كان يضع الحديث والله أعلم . أقول : حكى عن ابن الغضائري أيضاً  
 تضعيفه وأنه يروى عن الضعفاء ، ويجوز أن يخرج شاهداً ، تكلم القميون فيه بالرد . واستثنوا من  
 نوادر الحكمة ما رواه .

(٢) لم نجد له ذكراً في التراجم ، والموجود في الكشي : اسكيب بن عبدك الكيسانى .

(٣) لم نجد له ذكراً في التراجم ، نعم قال صاحب تنقيح المقال : عبد الملك بن هشام الحنط  
 الجبلي روى عنه الكشي مستنداً عنه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رواية تأتي في هشام بن سالم  
 يظهر منها كونه من الشيعة المتدينين ، بل يستشم من مجموع الرواية كونه مورد لطف الرضا عليه  
 السلام فلاحظ وتدبر . انتهى . أقول : وأنت ترى أن الرواية خالية عما ذكره رحمه الله .

٤٤ - يد : ما جيلويه ، عن عمه ، عن محمد بن علي الصيرفي ، عن علي بن حماد ، عن المفضل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لا يقدر قدرته ولا يقدر العباد على صفته ، ولا يبلغون كنه علمه ، ولا مبلغ عظمته ، وليس شيء غيره ، وهو نور ليس فيه ظلمة ، وصدق ليس فيه كذب ، وعدل ليس فيه جور ، وحق ليس فيه باطل ، كذلك لم يزل ولا يزال أبداً بدين ، وكذلك كان إذ لم تكن أرض ولا سماء ، ولا ليل ولا نهار ، ولا شمس ولا قمر ، ولا نجوم ولا سحب ، ولا مطر ولا رياح ؛ ثم إن الله تبارك وتعالى أحب أن يخلق خلقاً يعظمون عظمته ، ويكبرون كبريائه ، ويجلون جلاله ، فقال : كونا ظليين ، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى .

قال الصدوق رحمه الله : معنى قوله : هو نور أي هومنيروهاد ، ومعنى قوله : كونا ظليين الروح المقدس والملك المقرب ، والمراد به أن الله كان ولا شيء معه فأراد أن يخلق أنبياءه وحججه وشهاداءه فخلق قبلهم الروح المقدس ، وهو الذي يؤيد الله عز وجل به أنبياءه وشهاداءه وحججه صلوات الله عليهم ، وهو الذي يحرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه ، ويسدّ دهم ويوقّهم ويمدّهم بالخواطر الصادقة ، ثم خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عز وجل وقال لهما : كونا ظليين ظليين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهادائي ، فكانا كما قال الله عز وجل ظليين ظليين لأنبيائه ورسله وحججه وشهادائه ، يعينهم بهما ، وينصرهم على أيديهما ، ويحرسهم بهما ، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل : إنه ظل الله في أرضه لعباده ، يأوي إليه المظلوم ، ويأمن به الخائف الوجل ، ويأمن به السبل ، وينتصر به الضعيف من القوي<sup>(١)</sup> ، وهذا هو سلطان الله وحجته التي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة<sup>(٢)</sup> .

(١) وفي نسخة : وينتصر به الضعيف من القوي .

(٢) ما ذكره الصدوق رحمه الله وما أورده المصنف في البيان لا ينطبق شيء منها على فقرات الرواية ، والذي يظهر من الروايات الواردة في هذا اللسان أن المراد بقوله : ليس شيء غيره : أنه الشيء بحقيقة الشئية والوجود كما يؤيد الفقرات التالية ، والمراد بالظليين : العالمين العلوي والسفلي وهو المعنى المناسب لقوله : ليس شيء غيره . ط

بيان : قوله عليه السلام : وليس شيء غيره أي كذلك ، أو كان كذلك حين لا شيء غيره ، ويحتمل اتصاله بما بعده أي هو متصف بتلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لا شيء غيره . وقوله عليه السلام : كونا ظلمين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين ، فإن الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي ، أو إلى الملائكة وأرواح البشر ، أو إلى نور محمد وعلي صلوات الله عليهما ، أو نور محمد ونور أهل بيته عليهم السلام ، ويؤيده ما سيأتي في باب بدء خلق أرواح الأئمة عليهم السلام عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان الله ولا شيء غيره ، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمتته ، فأوقفنا أظلمة خضراء بين يديه ، حيث لاسماء ولأرض ولامكان ، ولاليل ولانهار ولاشمس ولاقمر . الخبر . وعن صفوان ، عن الصادق عليه السلام قال : لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة ، فقال عز وجل ، هذان نوران لي مطيعان ، فخلق الله من ذلك النور محمداً وعلياً والأصفياء من ولده عليهم السلام . وعن الثمالى قال : دخلت حباة الوالبيسة <sup>(١)</sup> على أبي جعفر عليه السلام فقالت : أخبرني يا ابن رسول الله أي شيء كنتم في الأظلمة ؟ فقال عليه السلام : كننا نوراً بين يدي الله قبل خلق خلقه . الخبر .

ويحتمل أن يكون المراد بهما مادتي السماء والأرض .

٤٥ - فس : أبي ، عن البرنطي ، عن الرضا عليه السلام قال : قال لي : يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد ؟ فقلت : جعلت فداك قلنا نحن بالصورة للحديث الذي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة شاب ، فقال هشام ابن الحكم بالنفي بالجسم . فقال : يا أحمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى خرق له في الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى ، وأردتم أنتم التشبيه ، دع هذا يا أحمد لا يفتح عليك منه أمر عظيم . بيان : بالنفي أي نفي الصورة مع القول بالجسم ، والمراد بالحجب إما الحجب المعنوية وبالرؤية الرؤية القلبية ، أو الحجب الصورية ، فالمراد بنور العظمة آثار عظمتته برؤية عجائب خلقه .

(١) الحباة بفتح الحاء وتخفيف الباء .

٤٦ - سن : محمد بن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفري قال : أخبرني الأشعث بن حاتم أنه سأل الرضا عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال : ألا تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : اقرأ : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . فقرأت فقال : وما الأبصار ؟ قلت : أبصار العين قال : لا إنما عنى الأوهام ، لا تدرك الأوهام كيفيته وهو يدرك كل فهم .  
سن : محمد بن عيسى ، عن أبي هاشم ، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه ، إلا أنه قال :  
الأبصار هنا أوهام العباد ، والأوهام أكثر من الأبصار . وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام .

بيان : كون الأوهام أكثر لأن البصر في الشخص متحد ، وله واهمة ومتفكرة و متخيّلة وعاقلة ، وكثيراً ما يسلب عن الشخص البصر وتكون له تلك القوى ، ويحتمل أن يكون المراد بها أكثرية مدركاتها فإنها تدرك ما لا يدركه البصر أيضاً .

٤٧ - شئ : عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : سمعته يقول : لا يوصف الله بمحكم وحيه ، عظم ربنا عن الصفة ، وكيف يوصف من لا يحد ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير .

بيان : أي دل محكم الآيات على أنه لا يوصف كقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » .  
وقوله : « لا تدركه الأبصار » .

أقول : قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، و باب النهي عن التفكير ، و سيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد ، و باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصاري ، و باب الرؤية .





## ﴿باب ١٤﴾

﴿نفى الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى﴾

﴿وتأويل الايات والاخبار في ذلك﴾

١ - لى : السنانيّ، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن عمّه النوفليّ، عن عليّ بن سالم عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ؛ بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٢ - شا ، ج : روي أن بعض أبحار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة رسول الله على الأمة ؟ <sup>(١)</sup> فقال : نعم ، فقال : إننا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم ، فخبّرني عن الله أين هو ؟ في السماء هو أم في الأرض ؟ فقال له أبو بكر : في السماء على العرش ، قال اليهودي : فأرى الأرض خالية منه ، فأراه على هذا القول في مكان دون مكان ؛ فقال له أبو بكر : هذا كلام الزنادقة ، اعزب عني وإلا قتلتك ؛ فولّى الرجل متعجباً يستهزئ بالاسلام ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به وإننا نقول : إن الله عز وجلّ أين أين فلا أين له ، وجلّ من أن يحويه مكان ، وهو في كل مكان بغير مماسّة ولا مجاورة ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى ، وإنني أخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم ، يصدق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به ؟ قال اليهودي : نعم ، قال : ألسن تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً . إذ جاءه ملك من المشرق فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجلّ ، ثم جاءه ملك من المغرب فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجلّ ، ثم جاءه ملك آخر ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : قد جئتكم من السماء السابعة من عند الله عز وجلّ ، وجاءه ملك آخر فقال : من أين جئت ؟ قال : قد جئتكم من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجلّ ، فقال موسى عليه السلام : سبحان

(١) في نسخة : أنت خليفة رسول هذه الأمة .

من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان ؛ فقال اليهودي : أشهد أن هذا هو الحق المبين ، وأنتك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

بيان : عزب عنه يعزب ويعزب أي بعد وغاب ، وفسر عليه السلام قوله : وهو في كل مكان بما ذكره بعده ليظهر أن المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير .

٣ - شا ، ج : روى الشعبي أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : والذي احتجب بسبع طباق ؛ فعلاه بالدرّة ، <sup>(١)</sup> ثم قال له : يا ويلك إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء سبجان الذي لا يحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ فقال الرجل : أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لال تحلف بالله فيلزمك الكفارة <sup>(٢)</sup> وإنما حلفت بغيره .

٤ - ج : في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : معنى قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » فإنما خاطب نبينا عليه السلام هل ينظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعابنهم ، أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك ؟ يعني بذلك أمر ربك ، والآية هي العذاب في دار الدنيا كما عذب الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، وقال : « أولم يروا أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماه إتياناً ، و قوله : « الرحمن على العرش استوى » يعني استوى تدبيره وعلا أمره ، وقوله : « وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » فإنما أراد بذلك استيلاء أمثاله بالقدره التي ركبها فيهم على جميع خلقه ، وأن فعلهم فعله . الخبر .

يد : في هذا الخبر : وقال في آية أخرى : « فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا » يعني أرسل عليهم عذاباً ، وكذلك إتيانه بنيانهم ؛ وقال الله عز وجل : « فأني الله بنيانهم من القواعد » فإن تيانه بنيانهم من القواعد إرسال العذاب .

(١) الدرّة بكسر الدال وتشديد الراء : السوط .

(٢) في شا : فيلزمك الكفارة كفارة العنت .

تبيان : قال البيضاوي : هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين . إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب . أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب ، أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله : «أو يأتي بعض آيات ربك» يعني أشرط الساعة .<sup>(١)</sup>  
أقول : لعلمه ﷺ فسر إتيان الرب بالقيامة ، وإتيان أمره تعالى بقيامها ، وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا ، وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت ، أو الأعم منه ومن غيره .

وقال الطبرسي رحمه الله أولم يروا أننا نأتي الأرض أي نقصدها . ننقصها من أطرافها اختلف في معناه على أقوال : أحدها : أولم يروهؤلاء الكفار أننا ننقص أطراف الأرض بأمانة أهلها . وثانيها : ننقصها بذهاب علماءها وفقهاءها وخيار أهلها . وثالثها : أن المراد نقصد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فننقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين ، يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك . ورابعها : أن معناه أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة ، والموت بعد الحياة ، والنقصان بعد الزيادة انتهى .  
و أمّا ما ذكره شيخنا أخيراً في الخبر الأول فالظاهر تعلقه بالثلاثة الأخيرة ، فالمراد بالأولى نفوذ أمره تعالى في السماء والأرض ، وخلق الملائكة والحجيج فيهما ، وإنفاذهم أمره تعالى فيهما ، وبالثانية كون الملائكة والحجيج معهم شاهدين عليهم ، وكذا الثالثة .

٥ - ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال : ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ؛ فقال : إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل ، إنما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد عنه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه ، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم ؛ أمّا قول الواسفين : إنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فإِنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به فمن ظن بالله الظنون

(١) أشرط الساعة : علامها .

فقد هلك وأهلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقولوا له على حد من نقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرك ، أو زوال أو استئزال ، أو نهوض أو قعود فإن الله عز وجل عن صفة الواسفين و نعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

يد : الدقائق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن عياش ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري مثله . وزاد في آخره : وتوكل على العزيز الرحيم السدي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين .

بيان : إنما منظره أي نظره وعلمه وإحاطته ، بأن يكون مصدراً ميمياً ، أو ما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء أي لا يختلف اطلاعه على الأشياء بالقرب والبعد لأن القرب والبعد إنما يجريان في المكان بالنسبة إلى المكان ، وهو سبحانه متعال عن المكان . والطول : الفضل والإعلاء .

قوله : فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أي النزول المكاني إنما يتصور في المتحيز ، وكل متحيز موصوف بالتقدير ، وكل متقد رمتصف بالنقص عما هو أزيد منه ، و بالزيادة على ما هو نقص منه ، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذاتي ينافي ذلك ، لاستلزامه التجزي والانشاء المستلزمين للإمكان ؛ وأيضاً كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأن المتحرك إما جسم أو متعلق بالجسم ، والجسم المتحرك لا بد له من محرك لأنه ليس يتحرك بجسميته ، والمتعلق بالجسم لا بد له في تحركه من جسم يتحرك به ، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرك ، وعن التغير بغير ، وعن التعلق بجسم يتحرك به ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسرية ، وبالثاني ما يشمل الإرادية والطبيعية ، بأن يكون المراد بقوله : من يتحرك به ما يتحرك به من طبيعة أو نفس .

وقوله : من أن تقولوا من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له وتوصيفه على حد فتحدّثونه بنقص أو زيادة ؛ ويحتمل أن يكون من قفايقفو أي أن تتبّعوا له في البحث عن صفاته تتبّعاً على حدّ تحدّثونه بنقص أو زيادة . وقوله : حين تقوم أي إلى التهجّد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلّها وتقلبك في الساجدين أي تردّدك وحرّكك فيما بين المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود .

٦- ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال سأل رجل - يقال له : عبد الغفار السلمي -  
أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى »  
فقال : أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلياً إلى الأرض ، وأرى مجداً عليه السلام رأى ربه  
بقلبه ونسب إلى بصره وكيف هذا ؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام : دنى فتدلى ، فإنه لم يدل  
عن موضع ، ولم يتدل ببदन . فقال عبد الغفار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : دنى  
فتدلى فلم يتدل عن مجلسه إلا قد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه . فقال  
أبو إبراهيم عليه السلام : إن هذه لغة في قریش إذا أراد الرجل منهم أن يقول : « قد سمعت »  
يقول : قد تدلّيت ، وإنما التدلّي : الفهم .

بيان : التدلّي : القرب ، والنزول من علو ، والامتداد إلى جهة السفلى ، ويكون  
من التدلّل بمعنى الغنج ؛ وما ذكره عليه السلام أن المراد به الفهم فهو على المجاز لأن من يريد  
فهم شيء يتدلّى إلى القائل ليسمعه ويفهمه . ثم أعلم أنه قد اختلف في تفسير هذه الآية  
على وجوه :

الاول : أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام ، فالمعنى : وهو أي جبرئيل  
بالأفق الأعلى « أفق السماء » ثم دنى من النبي صلى الله عليه وآله فتدلى أي تعلّق به ، وهو تمثيل  
لعروجه بالرسول صلى الله عليه وآله ، أو تدلّى من الأفق الأعلى فدنى من الرسول ، فيكون إشعاراً  
بأنه عرج به غير منفصل عن محله وتقريراً لشدة قوته ، وقيل : المعنى : قرب فاشتدّ قرب به ،  
فكان البعد بينهما قاب قوسين أي قدرهما أو أدنى ، والمقصود تمثيل ملكة الاتصال و  
تحقيق استماعه لما وحي إليه بنفي البعد الملبّس .

الثاني : أن تكون الضمائر راجعة إلى محمد صلى الله عليه وآله أي ثم دنى محمد من الخلق والأمة ،  
وصار كواحد منهم فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فالحاصل أنه صلى الله عليه وآله استوى  
وكمل فدنى من الخلق بعد علوه وتدلّى إليهم وبلغ الرسالة .

الثالث : أن تكون الضمائر راجعة إلى الله تعالى ، فيكون دنوه كناية عن رفع  
مكاته ، وتدلّيه عن جذبه بشرائه إلى جناب القدس ، والحاصل أنه مؤوّل بالدنو  
المعنوي ، والتقرّب والمعرفة واللطف ، على ما يؤوّل حديث « من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت

إليه ذراعاً» وقيل: الدنو منه ﷺ، وهو كناية عن عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد، والتدلي منه تعالى كناية عن غاية لطفه ورحمته.

٧- ثي، يد، ن: الدقاق، عن الصوفي، عن الروياني، عن عبد العظيم الحسني، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا ﷺ: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله ﷺ؟ أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فقال ﷺ: لعن الله المجرفين للكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله ﷺ: كذلك إنما قال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ياطالب الخير أقبل، ياطالب الشر أقصر؛ فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء. (١) حدّثني بذلك أبي، عن جدي، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ.

ج: مرسلًا مثله.

بيان: الظاهر أن مراده ﷺ تحريفهم لفظ الخبر، ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً.  
ع: السناني والدقاق والمكتب والوراق، عن الأسدي مثله.

٨- ثي: السناني، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك. قلت: فلم أسرى نبيّه محمد ﷺ إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعته وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عز وجل: «ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى» قال: ذاك رسول الله ﷺ دنى من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى عليه ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى.

(١) الملكوت: الملك العظيم، العز والسلطان. والملكوت السماوي: هو محلّ القديسين في السماء.

٩ - فس : أبي ، عن حماد ، عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الرب تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أول الليل ، وفي كل ليلة في الثلث الأخير ، وأمامه ملك ينادي : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟ اللهم أعط كل منفق خلفاً<sup>(١)</sup> وكل ممسك تلفاً ؛ فإذا طلع الفجر عاد الرب إلى عرشه فيقسم الأرزاق بين العباد . ثم قال للفضيل بن يسار : يا فضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » إلى قوله : « أكثرهم بهم مؤمنون » .  
بيان : نزوله تعالى كناية عن تنزله عن عرش العظمة والجلال ، وأنه مع غناؤه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطفاً وتكرماً ، وعوده إلى عرشه عن توجهه تعالى إلى شؤون آخر يفعله المملوك إذا تمكنوا على عرشهم .  
قوله عليه السلام : نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه .

١٠ - ع : المكتب والوراق والهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي عمران ، وصالح بن السندي ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : لأي علة عرج الله بنبيه عليه السلام إلى السماء ، ومنها إلى سدره المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان ؟ فقال عليه السلام : إن الله لا يوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنّه عز وجل أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سمواته ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه من عجائب عظمتها ما يخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون ، سبحانه الله وتعالى عما يصفون .  
يد : علي بن الحسين بن الصلت ، عن محمد بن أحمد بن علي بن الصلت ، عن عمه عبد الله ابن الصلت ، عن يونس مثله .

١١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عيينة<sup>(٢)</sup> عن حبيب السجستاني قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل : « ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى » فقال لي : يا حبيب لا تقرأ هكذا

(١) الخلف : البدل والعوض .

(٢) لم نجد له ذكر في التراجم .

اقرأ : ثم دنى فتدانا فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إلى عبده يعني رسول الله ﷺ ما أوحى ؛ يا حبيب إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عز وجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان علي ﷺ معه فلمّا غشيم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي ، قال : فلمّا هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيمهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكة ، وخسأت أبصارهما ،<sup>(١)</sup> قال : ففرعا لذلك فرعاً شديداً ، قال : فمضى رسول الله ﷺ حتى ارتفع من الوادي ، وتبعه علي ﷺ فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء فإذا هو برمتين على رأسه ، قال : فتناولهما رسول الله ﷺ فأوحى الله عز وجل إلى محمد : يا محمد إنها من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب ﷺ ، قال : فأكل رسول الله ﷺ إحداهما ، وأكل علي ﷺ الأخرى ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ ما أوحى . قال أبو جعفر ﷺ : يا حبيب ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، يعني عندها وفا به جبرئيل حين صعد إلى السماء ، قال : فلمّا انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها و قال : يا محمد إن هذا موقفي الذي وضعتني الله عز وجل فيه ، ولن أقدر على أن أتقدمه ، ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة ، فوقف عندها ؛ قال : فتقدم رسول الله ﷺ إلى السدرة وتحلف جبرئيل ﷺ ، قال أبو جعفر ﷺ : إنما سميت سدرة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة ، والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض ، قال : فينتهون بها إلى محل السدرة ، قال : فنظر رسول الله ﷺ فرأى أغصانها تحت العرش وحوله ، قال : فتجلّى لمحمد ﷺ نور الجبار عز وجل ، فلمّا غشي محمد ﷺ النور شخص ببصره ، وارتعدت فرائضه ، قال : فشدّ الله عز وجل لمحمد قلبه وقوى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى ، وذلك قول الله عز وجل : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » قال يعني الموافاة ، قال : فرأى محمد ﷺ ما رأى ببصره من آيات ربه الكبرى ، يعني أكبر الآيات .

قال أبو جعفر ﷺ : وإن غلط السدرة بمسيرة مائة عام من أيام الدنيا ، وإن

(١) خساً البصر : كل وأعيأ .



الورقة منها تغطّي أهل الدنيا ، وإنّ لله عزّ وجلّ ملائكة وكلهم نبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولا نخلة إلّا ومعها من الله عزّ وجلّ ملك يحفظها وما كان فيها ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلها السباع وهوامّ الأرض إذا كان فيها ثمرها ، قال : و إنما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت لمكان الملائكة الموكلين بها ، قال : ولذلك يكون الشجر والنخل إنساً إذا كان فيه حمله ، <sup>(١)</sup> لأنّ الملائكة تحضره .

إيضاح : القطف بالكسر : اسم للثمار المقطوعة من أصولها . وشخص البصر : فتحه بحيث لا يطرف . والفريضة : ودج العنق واللحمة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد .  
١٢ - فسي : قوله : وهو بالأفق الأعلى يعني رسول الله ﷺ ، ثمّ دنى يعني رسول الله ﷺ من ربه عزّ وجلّ فتدلّى ، قال : إنّما أنزلت ثمّ دنى فتدانا فكان قاب قوسين ، قال : كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية أو أدنى ، <sup>(٢)</sup> قال : بل أدنى من ذلك ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، قال : وحي المشافهة .

تبيين : قال الجوهري تقول : بينهما قاب قوس ، وقب قوس ، وقاد قوس ، وقيد قوس أي قدر قوس ، والقاب ما بين المقبض والسية ، ولكلّ قوس قابان . وقال بعضهم في قوله تعالى : «فكان قاب قوسين» أراد قابي قوس فغلبه .

١٣ - ل : في مسائل اليهودي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له : فربك يحمل أو يُحمل ؟ قال : إنّ ربّي عزّ وجلّ يحمل كل شيء بقدرته ، ولا يحمله شيء . قال : فكيف قوله عزّ وجلّ : «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» ؟ قال : يا يهودي ألم تعلم أنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، فكل شيء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كل شيء . الخبر .

١٤ - يد ، ن : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاري ، عن الهروي قال : سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»

(١) وفي نسخة : ولذلك يكون للشجر والنخل إنساً إذا كان فيه حمله .

(٢) سية القوس بكسر السين : ما عطف من طرفيها .

فقال : إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض ، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل ، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنه على كل شيء قدير ، ثم رفع العرش بقدرته ونقله ، وجعله فوق السماوات السبع ، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه ، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنّه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقها منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ به حدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة ، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنّه عنى عن العرش وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم ، تعالى عن صفة خلقه علواً كبيراً .

١٥ - يد ، مع ، ن : المعاذي ، عن أحمد الهمداني <sup>(١)</sup> ، عن علي بن فضال <sup>(٢)</sup> ، عن أبيه قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» فقال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده ، ولكنّه يعني أنّهم عن ثواب ربّهم محجوبون .

قال : وسألته عن قول الله عز وجل «وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً» فقال : إن الله عز وجل لا يوصف بالمجيب والذهاب ، تعالى عن الانتقال ، إنّما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفّاً صفّاً .

(١) هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ ، المكنى بأبي العباس ، المعروف بابن عقدة ، كان كوفياً زدياً جارودياً ثقة ، تقدم ترجمته مفصلاً .

(٢) هو علي بن الحسن بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ربعي الفياض أبو الحسن كان فقيه أصحابنا بالكوفة ، ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث والسموع قوله فيه ، سمع منه شيئاً كثيراً ولم يشر له على زلة فيه ولا ما يشينه ، وقل ما روى عن ضعيف ، وكان فطحيّاً ، ولم يرو عن أبيه شيئاً ، وقال : كنت أقابله - وسني ثمان عشرة سنة - بكتبه ، ولا أفهم إذ ذاك الروايات ، ولا أستحل أن أدويها عنه ، و روى عن أخويه عن أبيهما ، و ذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة أخرجها أبو جعفر بن بابويه ، وقال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام ، ولا يعرف الكوفيون هذه النسخة ، ولا رويت من غير هذا الطريق . قاله النجاشي وعدله كتباً كثيرة .

قال : وسألته عن قول الله عز وجل : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » قال : يقول : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام ، وهكذا نزلت . قال : وسألته عن قول الله عز وجل : « سخر الله منهم » وعن قول الله : « يستهزي بهم » وعن قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله » وعن قول الله عز وجل : « يخادعون الله وهو خادعهم » . فقال : إن الله عز وجل لا يسخر ولا يستهزي ، ولا يمكر ولا يخادع ، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ج : مرسل عنه عليه السلام .

بيان : قال الزمخشري في الآية الأولى : كونهم محجوبين عنه ، تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم . وقال الرازي في الآية الثانية : اعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال لأن كل ما كان كذلك كان جسماً ، والجسم مستحيل أن يكون أزلياً ، فلا بد فيه من التأويل ، وهو أن هذا من باب حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ؛ ثم ذلك المضاف ما هو؟ فيه وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربك للمحاسبة والمجازاة . وثانيها : وجاء قهر ربك كما يقال : جاء تنابؤاً مية أي قهرهم . وثالثها : وجاء جلائل آيات ربك ، لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات . و رابعها : و جاء ظهوره ، وذلك لأن معرفة الله تصير ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق ، فقال : و جاء ربك أي زالت الشبه و ارتفعت الشكوك . وخامسها : أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت جماله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها . وسادسها : أن الرب المربي فعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي عليه السلام جداً ، فكان هو المراد من قوله : وجاء ربك . وقال الطبرسي رحمه الله في الآية الثالثة : أي هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ أَوْ عَذَابُ اللَّهِ ، وَمَا تَوَعَّدُهُمْ بِهِ عَلَى مَعصِيَتِهِ فِي سِتْرٍ مِنَ السَّحَابِ ، وَ قِيلَ : قَطَعَ مِنَ السَّحَابِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : قَتَلَ الْأَمِيرُ فَلَانًا وَضْرِبَهُ وَأَعْطَاهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقُولْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، بَلْ فَعَلَ بِأَمْرِهِ فَأُسْنَدَ إِلَيْهِ لِأَمْرِهِ بِهِ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ مَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ جَلَامِلُ آيَاتِ اللَّهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ نَفْسَهُ تَفْخِيمًا لِلآيَاتِ كَمَا يُقَالُ : دَخَلَ الْأَمِيرُ الْبَلَدَ وَيُرَادُ بِذَلِكَ جُنْدُهُ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْغَمَامَ لِيَكُونَ أَهْوَلُ ، فَإِنَّ الْأَهْوَالَ تُشَبِّهُ بِظُلُلِ الْغَمَامِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : «وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلُلِ» وَقَالَ الرَّجَّازُ : مَعْنَاهُ : يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحِسَابِ ، كَمَا قَالَ : «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» أَيَّ أَتَاهُمْ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ ؛ وَالْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ . وَقَدْ يُقَالُ : أَتَى وَجَاءَ فِيمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ ، وَالذَّهَابُ يُقَالُ : أَتَانِي وَعِيدُ فَلَانٍ ، وَجَاءَنِي كَلَامُ فَلَانٍ ، وَأَتَانِي حَدِيثُهُ ، وَلَا يُرَادُ بِهِ الْإِتْيَانُ الْحَقِيقِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : وَقُرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَلَامِكَةُ بِالْجَرِّ ، قَالَ : وَقِيلَ : مَعْنَى الْآيَةِ : إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ أَوْ بِجَلَامِلِ آيَاتِهِ وَبِالْمَلَامِكَةِ . انْتَهَى . أَقُولُ : عَلَى قِرَائَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ .

١٦ - ج : عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي جَوَابِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي سَأَلَ عَنْ مُعْجَزَاتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَعَرَجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ فِي أَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَدَنَا بِالْعِلْمِ فَتَدَلَّنِي ، فَدَلَّنِي لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ رُفْرُ أَخْضَرٍ وَغَشَى النُّورَ بَصَرَهُ فَرَأَى عِظَمَةَ رَبِّهِ بِفُؤَادِهِ وَلَمْ يَرَهَا بَعِينَهُ فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَوْ أَدْنَى . الْخَبَرُ .

بَيَانُ : الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : بَيْنَهَا رَاجِعٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَرَجُوعُهُ إِلَى الْعِظَمَةِ بَعِيدٌ .  
١٧ - يَد ، ع : ابْنُ عَصَامٍ ، عَنِ الْكَلِينِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلْوَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبِي سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا أَخْبَرْنِي عَنْ جَدِّنا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كَيْفَ لَمْ يَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ عَنْ أَمَّتِهِ حَتَّى قَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ

فاسأل التخفيف ، <sup>(١)</sup> فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ يَا بَنِيَّ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَقْتَرِحُ <sup>(٢)</sup> عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَرِاجِعُهُ فِي شَيْءٍ يَأْمُرُهُ بِهِ ، فَلَمَّا سَأَلَهُ مُوسَى ﷺ ذَلِكَ فَكَانَ شَفِيعاً لِأُمَّتِهِ إِلَيْهِ لَمْ يَجْزَلْهُ رَدَّ شَفَاعَةَ أَخِيهِ مُوسَى فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ إِلَى أَنْ رَدَّهَا إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ .

قال : قلت له : يَا أَبَةَ فَلَمْ لَا يَرْجِعْ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ <sup>(٣)</sup> وَيَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ عَنْ خَمْسِ صَلَوَاتٍ وَقَدْ سَأَلَهُ مُوسَى ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ وَيَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ ؛ فَقَالَ يَا بَنِيَّ أَرَادَ ﷻ أَنْ يَحْصَلَ لِأُمَّتِهِ التَّخْفِيفُ مَعَ أَجْرِ خَمْسِينَ صَلَاةً يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا » أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷻ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : إِنَّهَا خَمْسٌ بِخَمْسِينَ ، مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا نَابِظُ اللَّامِ لِلْعَبِيدِ قال : فقلت له : يَا أَبَةَ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَا يُوَصَفُ بِمَكَانٍ ؛ قَالَ : تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

قلت : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ؛ فَقَالَ : مَعْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ : إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ، وَمَعْنَى قَوْلِ مُوسَى ﷺ : وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَرِّقُوا إِلَى اللَّهِ » يَعْنِي حَبِّجُوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، يَا بَنِيَّ إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ حَبَّجَ بَيْتَ اللَّهِ فَقَدْ قَصَدَ إِلَى اللَّهِ ، وَالْمَسَاجِدُ بِيُوتُ اللَّهِ فَمَنْ سَعَى إِلَيْهَا فَقَدْ سَعَى إِلَى اللَّهِ وَقَصَدَ إِلَيْهِ ، وَالْمُصَلِّيُّ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ فَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَأَهْلُ مَوْقِفٍ عَرَفَاتٍ هُمْ وَقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَقَاعاً فِي سَمَاوَاتِهِ فَمَنْ عَرَجَ بِهِ إِلَى بَقْعَةٍ مِنْهَا فَقَدْ عَرَجَ بِهِ إِلَيْهِ ، أَلَا تَسْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ » وَيَقُولُ فِي قِصَّةِ عِيسَى ﷺ : « بَلَّ رُفْعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ » وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » .

بيان : الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات والتجوزات في لسان أهل الشرع والعرف .

(١) وفي نسخة : فاسأله التخفيف .

(٢) اقترح عليه كذا أو بكذا : تحكم وسأله إياه بالعنف ومن غير روية .

(٣) وفي نسخة : فلم لم يرجع إلى ربه عز وجل .

١٨ - يد : ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المغيرة رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تعالى خلو من خلقه ، وخلق خلقه خلومنه ، و كل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل .

يد : حمزة العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن علي بن عطية ، عن خثيمة ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بزيادة .

١٩ - يد : حمزة العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولأدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » فقال : هو واحد أحدي الذات ، بائن من خلقه ، وبذاك وصف نفسه ، وهو بكل شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم بالذات لأن الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواية .

بيان : ما يكون من نجوى ثلاثة أي ما يقع من تناجي ثلاثة ، ويجوز أن يقدر مضاف ، أو يؤول نجوى بمتناجين ، ويجعل ثلاثة صفة لها . إلا وهو رابعهم أي إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشاركهم في الإطلاع عليها . ولا خمسة أي ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين إيماء لخصوص الواقعة ، أولاً أن الله وتر يحب الوتر ، والثلاثة أول الأوتار ، أولاً التشاور لا بد له من اثنين يكونان كاملتنازعين وثالث يتوسط بينهما .

ثم أعلم أنه لما كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار عد الجميع حدين والفوق والتحت حدين فصارت أربعة ، والمعنى : أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأن الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكن ، وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكن كالممكن .

٢٠ - يد : العطّار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن الحسن بن عليّ الخزّاز ، عن  
مثنّى الحنّباط ، عن أبي جعفر - أظنّه محمد بن النعمان - قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن  
قول الله عزّ وجلّ : «وهو الله في السماوات وفي الأرض» قال : كذلك هو في كل مكان .  
قلت : بذاته ؟ قال : ويحك إنّ الأماكن أقدار ، فإذا قلت : في مكان بذاته لمكان تقول  
في أقدار وغير ذلك ، ولكن هو بائن من خلقه ، محيط بما خلق علماً وقدره وإحاطة  
وسلطاناً ، وليس علمه بما في الأرض باقلاً ممّا في السماء ، لا يبعد منه شيء ، والأشياء  
له سواء علماً وقدره وسلطاناً وملكاً وإحاطة .

تفسير : قال البيضاوي : «وهو الله» الضمير لله ، والله خبره ؛ في السماوات وفي الأرض  
متعلّق باسم الله ، والمعنى : هو المستحقّ للعبادة فيهما لا غير كقوله : «هو الذي في السماء إله  
وفي الأرض إله» أو بقوله : «يعلم سرّكم وجهركم» والعجالة خبر ثانٍ أو هي الخبر ، والله  
بدل ، ويكفي لصحّة الظرفيّة كون المعلوم فيهما ، كقولك : رميت الصيد في الحرم - إذا كنت  
خارجه والصيد فيه - أو ظرف مستقرّ وقع خبراً بمعنى أنّه تعالى لكمال علمه بما فيهما  
كأنه فيهما . ويعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير له .

٢١ - يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال :  
قال أبو شاذان الديصاني : إنّ في القرآن آية هي قوّة لنا . قلت : وما هي ؟ فقال : «وهو  
الذي في السماء إله وفي الأرض إله» فلم أدر بما أجيبه ، فحججت فخبّرت أبا عبد الله  
عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ؟  
فإنّه يقول : فلان ، فقل : ما اسمك بالبصرة ؟ فإنّه يقول : فلان ، فقل كذلك الله ربّنا  
في السماء إله وفي الأرض إله ، وفي البحار إله ، وفي كل مكان إله . قال : فقدمت فأثبت  
أباً شاذان فخبّرتّه فقال : هذه نقلت من الحجاز .

بيان : لعلّ هذا الديصاني لما كان قائلاً بالهين : نور ملكه السماء ، وظلمة ملكها  
الأرض ، أوّل الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله : وفي الأرض إله جملة تامّة معطوفة  
على مجموع الجملة السابقة أي وفي الأرض إله آخر ، ويظهر من بعض الأخبار أنّه كان

من الدهريين فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية<sup>(١)</sup> من كونه بنفسه حاصلاً في السماء والأرض فيوافق مذهبوا إليه من كون المبدء الطبيعة فإنها حاصلة في الأجرام السماوية والأجسام الأرضية معاً ، فأجاب عيسى عليه السلام بأن المراد أنه تعالى مسمى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض ؛ والأكثر على أن الظرف متعلق بالإله ، لأنه بمعنى المعبود ، أو مضمن معناه كقولك : هو حاتم في البلد .

٢٢ - يد : القطآن والدقاق معاً ، عن ابن زكريا القطآن ، عن ابن حبيب ، عن محمد بن عبيد الله ، عن علي بن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أسود ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عيسى عليه السلام قال : كان لرسول الله ﷺ صديقان يهوديان قد آمنّا بموسى رسول الله وأتيا محمد ﷺ وسما منه ، وقد كانا قراء التوراة وصحف إبراهيم عليه السلام ، وعلمنا علم الكتب الأولى فلمّا قبض الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أقبلّا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقالّا : إنه لم يمت نبي قط إلا وله خليفة يقوم بالأمر في أمته من بعده ، قريب القرابة إليه من أهل بيته ، عظيم القدر ،<sup>(٢)</sup> جليل الشأن . فقال أحدهما لصاحبه : هل تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبي ؟ قال الآخر : لا أعلمه إلا بالصفة التي أجدها في التوراة هو الأصلي<sup>(٣)</sup> المصفر فإنه كان أقرب القوم من رسول الله ﷺ ، فلمّا دخلا المدينة وسألا عن الخليفة أُرشدا إلى أبي بكر ، فلمّا نظرا إليه قالّا : ليس هذا صاحبنا ، ثمّ قالّا له : ما قرابتك من رسول الله ﷺ ؟ قال : إنني رجل من عشيرته ، وهو زوج ابنتي عائشة قالّا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالّا : ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربك ؟ قال : فوق سبع سماوات ! قالّا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالّا : دلّنا على من هو أعلم منك ، فإنك أنت لست بالرجل الذي نجد في التوراة أنه وصي هذا النبي وخليفته . قال : فتغيّظ من قولهما ، وهمّ بهما ،<sup>(٤)</sup> ثمّ أُرشدتهما إلى عمر ، وذلك أنه عرف من عمر أنّهما إن

(١) أو يكون استدلاله بظاهرها على وقوع التناقض في القرآن فيكون صادراً من غير حكيم فيكون فيها قوة له من إنكاره الصانع وبطلان الشرائع .

(٢) وفي نسخة : عظيم الخطر .

(٣) الاصلع : من سقط شعر مقدم رأسه .

(٤) أي عزم على قتلها .



استقبلاه بشيء بطش بهما ، <sup>(١)</sup> فلمّا أتياه قالا : ما قرابتك من هذا النبي ؟ قال : أنا من عشيرته ، وهو زوج ابنتي حفصة . قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالا : ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة ، ثمّ قالا له : فأين ربك ؟ قال : فوق سبع سموات ! قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالا : دلّنا على من هو أعلم منك فأرشدهما إلى عليّ عليه السلام فلمّا جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه : إنّ الرجل الذي صفته في التوراة ، إنّّه وصيّ هذا النبي ، وخليفته وزوج ابنته ، وأبوالسبطين والقائم بالحق من بعده .

ثمّ قالا لعليّ عليه السلام : أيّها الرجل ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : هو أخي وأنا وارثه ووصيّه ، وأوّل من آمن به ، وأنا زوج ابنته .  
قالا : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة فأين ربك عز وجل ؟ .

قال لهما عليّ عليه السلام : إن شئتما أنباتكما بالذي كان على عهد نبيكما موسى عليه السلام ، وإن شئتما أنباتكما بالذي كان على عهد نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله . قالا : أنبئنا بالذي كان على عهد نبيّنا موسى عليه السلام .

قال عليّ عليه السلام : أقبل أربعة أملاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، وملك من السماء ، وملك من الأرض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال النازل من السماء للخارج من الأرض : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي ؛ وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء : من أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من عند ربّي فهذا ما كان على عهد نبيكما موسى عليه السلام .

وأما ما كان على عهد نبيّنا فذلك قوله في محكم كتابه : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا » . الآية .

(١) أي فتك بهما وأخذهما بصولة وشدة .

قال اليهوديان : فما منع صاحبك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهله ؟ فوالذي أنزل التوراة على موسى إنك لأنت الخليفة حقاً ، نجدصفتك في كتبنا ونقرؤه في كناسنا ، وإنك لأنت أحق بهذا الأمر وأولى به ممن قد غلبك عليه . فقال علي عليه السلام : قدما وأخيراً وحسابهما على الله عز وجل يوقفان ويسألان .

٢٣ - يد : العطار ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان ؟

فقال : وملك إنما يقال لشيء لم يكن فكان : «متى كان» إن ربي تبارك وتعالى كان لم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لكانه مكاناً .<sup>(١)</sup> الخبر .

٢٤ - يد : وروي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام : أين كان ربنا قبل أن يخلق سماءاً وأرضاً ؟ فقال عليه السلام : «أين» سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

٢٥ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ،<sup>(٢)</sup> عن ابن محبوب ، عن صالح بن حمزة ، عن أبان ، عن أسد ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لو كان عز وجل على شيء لكان محمولاً ،<sup>(٣)</sup> ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً .<sup>(٤)</sup>

(١) كذا فيما عدا من النسخ ، وفي التوحيد المطبوع : ولا ابتدع لكونه مكاناً . وفي نسخة أخرى منه : ولا ابتدع لكانه مكاناً .

(٢) بضم الهمزة وإسكان الواو وفتح الراء المهملة ، كذا في الخلاصة . وأورد النجاشي وغيره ترجمته في كتبهم ، قال النجاشي في ص ٢٣١ من رجاله : محمد بن أورمة أبو جعفر القمي ذكره القميون وغزوا عليه ودموه بالفلو ، حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه ، وحكى جماعة من شيوخ القميين ، عن ابن الوليد أنه قال : محمد بن أورمة طعن عليه بالفلو ، فكل ما كان في كتبه مما وجد في كتاب الحسين بن سعيد وغيره فقل به ، وما تفرد به فلا تعتمد به ، وقال بعض أصحابنا : إنه رأى توقيعات أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل قم في معنى محمد بن أورمة وبراهنه مما قذف به ، وكتبه صحاح إلا كتاباً ينسب إليه ترجمته تفسير الباطن فإنه مختلط .

(٣) ولازمه جسميته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(٤) يأتي الحديث بطريق آخر عن المفضل تحت الرقم ٣٩ .

بيان : لكان محمولاً أي محتاجاً إلى ما يحمله . قوله عليه السلام : محصوراً أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء ، ومحويّاً به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود وأجزاء .

٢٦ - يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن حماد بن عمرو ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كذب من زعم أن الله عز وجل في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء . قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الله عز وجل لا في مكان أن الأماكن كلها حادثة ، وقد قام الدليل على أن الله عز وجل قديم سابق للأماكن ، وليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنياً عنه ، ولا أن يتغير عمّال يزل موجوداً عليه ، فصح اليوم أنه لا في مكان كما أنه لم يزل كذلك ؛ وتصديق ذلك ما حدثنا به القطّان ، عن ابن زكريّا القطّان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن سليمان المروزي ، عن سليمان بن مهران قال : قلت لجعفر بن محمد عليه السلام هل يجوز أن نقول : إن الله عز وجل في مكان ؟ فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك إنه لو كان في مكان لكان محدثاً لأن الكائن في مكان محتاج إلى المكان ، و الاحتياج من صفات الحدث ، لا من صفات القديم .

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن عليّ بن عباس ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال : إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان ، وهو الآن كما كان ، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ، ولا يحل في مكان ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، لا إله إلا هو الكبير المتعال .<sup>(١)</sup>

(١) من غرر الأحاديث ؛ وكون الخلق محجوباً بأنفسهم نظير قول الرضا عليه السلام في خطبته الإتيية تحت رقم ٣ من باب جوامع التوحيد : « حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرهما » الخطبة . معناه استعالة المانية بالاحاطة إذ لا يمكن ذلك إلا بارتفاع الحجاب ومع ارتفاع الحجاب الذي هو نفس الخلق لا يبقى موضوع الخلق هذا . وهذا الكلام إذا انضم إلى قول أمير المؤمنين .

بيان : قوله : غير خلقه أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه إلا عجز المخلوق عن الإحاطة به . وقوله : محجوب إمّا نعت لحجاب ، أو خبر مبتدئ محذوف ، فعلى الأوّل فهو إمّا بمعنى حاجب إذ كثيراً ما يجيء صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى : «حجاباً مستوراً» أو بمعناه ويكون المراد أنه ليس له تعالى حجاب مستور ، بل حجاب ظاهر وهو تجرّده وتقدّسه وعلوّه عن أن يصل إليه عقل أو وهم ، ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجبّة التي أقامه بينه وبين خلقه فهو ظاهر غير مخفيّ ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنه لم يحتجب بحجاب مخفيّ فكيف الظاهر . وأمّا على الثاني فالظرف متعلّق بقوله : محجوب أي هو محجوب بغير حجاب ، وهنا احتمال ثالث وهو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللام ، وإجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر ، وهي إمّا تأكيد للأوّل أو الأوّل إشارة إلى الاحتجاب عن الحواسّ والثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام .

٢٨ - يد : محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسيّ ، عن أحمد بن محمد النشويّ ، عن أحمد ابن محمد الصفديّ ، عن محمد بن يعقوب العسكريّ وأخيه معاذ معاً ، عن محمد بن سنان الحنظليّ عن عبد الله بن عاصم ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرّمانيّ ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبي ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم أرشد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابها ، فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى ، فدعا عليّ عليه السلام بنار وخطب فأضرمه فلمّا اشتعلت قال عليّ عليه السلام : أين وجه هذه النار ؟ قال النصرانيّ : هي وجه من جميع حدودها . قال عليّ عليه السلام هذه النار مدبّرة مصنوعة لا تعرف وجهها ، وخالقها لا يشبهها ؛ ولله المشرق والمغرب

\* عليه السلام في خطبته الاتية تحت رقم ٣٤ من باب جوامع التوحيد : «حجب بعضهم بعض ليعلم أن لاحجاب بينه وبين خلقه غير خلقه» الخطبة أفاد أن العباد لو انصرفوا عن الاشتغال بأنفسهم واتباع هواهم وتوجهوا إلى ربهم لاشرفت عليهم أنوار العظمة الإلهية ، وهذا هو الذي يعبر عنه برؤية القلب كما مرّ في عدة من الأخبار في باب نفي الرؤية ط

فأينما تولّوا فثمّ وجه الله ، لا يخفى على ربّنا خافية . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٢٩ - يد : الأشعري ، عن عليّ بن مهزيب ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا ، عن أبيه ، عن آباءه ، عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن موسى بن عمران لما ناجى ربّه قال : يا ربّ أبعد أنت منّي فأزديك ، أم قريب فأزجيك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أنا جليس من ذكرني فقال موسى : يا ربّ إني أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها . فقال : يا موسى اذكرني على كل حال .

٣٠ - يد : محمد بن إبراهيم الفارسي ، عن أبي سعيد الرمحي ، عن محمد بن عيسى الواسطي ، عن محمد بن زكريّا المكيّ قال : أخبرني منيف - مولى جعفر بن محمد - قال : حدّثني سيدي جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : كان الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام <sup>(١)</sup> يصلي فمرّ بين يديه رجل فنهأ بعض جلسائه فلمّا انصرف من صلاته قال له : لم نهيت الرجل ؟ قال : يا ابن رسول الله حطّ فيما بينك وبين المحراب . فقال : ويحك إن الله عزّ وجلّ أقرب إليّ من أن يحطّ فيما بيني وبينه أحد .

٣١ - يد : المظفر العاوي ، عن ابن العياشي ، عن أبيه ، عن الحسين بن اشكيب ، <sup>(٢)</sup> عن هارون بن عقبة ، عن أسد بن سعيد ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال الباقر عليه السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عزّ وجلّ ، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر <sup>(٣)</sup> فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذ مصلّي ، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجلّ عن أوهام المتوهّمين ، واحتجب عن أعين الناظرين ، لا يزول مع الزائلين ، ولا يافل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم .

(١) وفي نسخة : كان الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام .

(٢) بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة أو السين المهملة ، والكاف والياء المشددة من تحت والباء الموحدة .

(٣) وفي نسخة : على صخرة .

٣٢ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن عيش ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال : لا أقول : إنه قائم فإزيله عن مكانه ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحده بلفظ شق فم ، ولكن كما قال تبارك وتعالى : كن فيكون بمشيئته ، من غير تردد في نفس ، فرد صمد لم يحتج إلى شريك يكون له في ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

ج : عن يعقوب مثله .

٣٣ - يد : السناني ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبي بصير ؛ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٣٤ - يد : محمد بن إبراهيم بن إسحاق العزائمي ، عن أحمد بن محمد بن ربيع ، (١) عن عبد العزيز بن إسحاق ، عن جعفر بن محمد الحسني ، عن محمد بن علي بن خلف ، عن بشر ابن الحسن ، عن عبد القدوس ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث الأعور ، عن علي ابن أبي طالب عليه السلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل مولاه ظهره يقول : لا والذي احتجب بالسبع ؛ فضرب علي عليه السلام ظهره ثم قال : من الذي احتجب بالسبع ؛ قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : أخطأت نكلتك أمك ، إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب لأنه معهم أينما كانوا .

قال : ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين ؛ قال : أن تعلم أن الله معك حيث كنت ؛ قال : أطعم المساكين ؛ قال : لا إنما حلفت بغير ربك .

٣٥ - يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم - في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام - قال : سأله عن قوله : « الرحمن على العرش استوى »

(١) في نسخة من التوحيد : عن أحمد بن محمد بن ربيع .

قال أبو عبد الله عليه السلام : بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن يكون العرش حاوياً له ، ولا أن العرش محتازله ، ولكننا نقول : هو حامل العرش ، وممسك العرش ؛ ونقول من ذلك ما قال : «وسع كرسيه السموات والأرض» فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته ، ونفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً له ، وأن يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق ، بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل . وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلها .

قال السائل : إنّه ينزل إلى السماء الدنيا ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : نقول ذلك ، لأن الروايات قد صححت به والأخبار . قال السائل : وإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحوّله عن العرش انتقال ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملاحة والسأمة وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال ، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال ، ولا يجري عليه الحدوث ، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان خلاصه المكان الأول ولكنه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنما يكشف عن عظمتة ، ويرى أوليائه نفسه حيث شاء ، ويكشف ما شاء من قدرته ، ومنظره في القرب والبعد سواء .

ثم قال : قال مصنف هذا الكتاب : قوله عليه السلام : إنّه على العرش إنّه ليس بمعنى التمكن فيه ، ولكنه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال : فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا ، ليس بمعنى التمكن فيه والاستقرار عليه ، ولكن ذلك بمعنى التمكن منه والقدرة عليه ، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة ، ولكنه على معنى

إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأن العرش هو المكان الذي ينتهي إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه ، وقد يجعل الله عز وجل السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش . وقوله : يري أوليائه نفسه فأنه يعني بإظهار بدائع فطرته ، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوة وقدره وخيلاً ورجلاً : قد أظهر نفسه ، وعلى ذلك دل الكلام ومجاز اللفظ . أقول : من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ وليس في الاحتجاج أيضاً .

٣٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وابن هاشم ، عن الحسن بن علي ، عن داود بن عليّ البغدادي<sup>(١)</sup> ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الأعلى - مولى آل سام - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتى رسول الله ﷺ يهودي يقال له : سبخت<sup>(٢)</sup> فقال له : يا محمد جئت أسألك عن ربك فإن أحببتي عما أسألك عنه وإلا رجعت . فقال له : سل عما شئت . فقال : أين ربك ؟ فقال : هو في كل مكان ،<sup>(٣)</sup> وليس هو في شيء من المكان بمحدود . قال : فكيف هو ؟ فقال : وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق ؟ والله لا يوصف بخلقه . قال : فمن يعلم أنك نبي ؟ قال : فما بقي حوله حيجر ولا مدر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبين : يا شيخ إنّه رسول الله .<sup>(٤)</sup>

(١) بالياء الشئ كما هو المحكى عن الإيضاح أو بالياء الموحدة نسبة إلى يعقوباً قرية من قرى البغداد على ما حكى عن الشهيد الثاني رحمه الله ، وهو داود بن علي الهاشمي المترجم في ص ١١٥ من رجال النجاشي بقوله : داود بن علي البغدادي الهاشمي أبو علي بن داود ، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وقيل : روى عن الرضا عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعة ، منهم عيسى بن عبد الله العمري .

(٢) اختلفت النسخ في ضبطه ففي بعضها « سبخت » بالياء الموحدة ثم الحاء المهملة ، وفي بعض آخر بالياء والفاء المعجمة ، وفي البحار المطبوع شجت « شبت خل » وضبط بضم السين والباء وسكون الحاء المهملة ، وبضم السين وسكون الباء وفتح الحاء ، وبضم السين وسكون الباء وضم الفاء المعجمة ، وعلى أي حال كان رجلاً من ملوك فارس ، وكان ذرباً ، كما يأتي في حديث آخر .

(٣) في حديث آخر له : فقال : هو في كل مكان موجود بآياته .

(٤) وفي نسخة : يا سبخت إنه رسول الله .



فقال سبحت : بالله ما رأيت كالיום أبين ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ﷺ .

٣٧ - ص : الصدوق ، عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أحمد بن محمد بن رميح ، عن أحمد بن جعفر ، عن أحمد بن علي ، عن محمد بن علي الخزاعي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم مثله .  
ير : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي مثله .

٣٨ - يد : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن حماد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كذب من زعم أن الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء .

٣٩ - يد : ماجيلويه ، عن عمه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء فقد أشرك . ثم قال : من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً .<sup>(١)</sup>

٤٠ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر ، عن ابن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء فقد كفر . قلت : فسر لي . قال : أعني بالحواية من الشيء له ، أو بما مساك له ، أو من شيء سبقه .

٤١ - وفي رواية أخرى قال : من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً ، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً .  
بيان : قوله : بالحواية من الشيء له تفسير لقوله : في شيء ، وقوله : أو بما مساك له تفسير لقوله : على شيء ، وقوله : أو من شيء سبقه تفسير لقوله : من شيء .

٤٢ - يد : الطالقاني ، عن أحمد الهمداني ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصغدني ، عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معاً ، عن محمد بن سنان الحنظلي ، عن عبد الله بن

(١) تقدم الحديث عن المفضل بطريق آخر تحت الرقم ٢٥ .

عاصم ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرماني ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثم أُرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله فأجابه فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن الرب أين هو وأين كان ؟ قال علي عليه السلام : لا يوصف الرب جل جلاله بمكان ، هو كما كان ، وكان كما هو ، لم يكن في مكان ، ولم يزل من مكان إلى مكان ، ولا أحاط به مكان ، بل كان لم يزل بلاحد ولا كيف . قال : صدقت ، فأخبرني عن الرب أفى الدنيا هو أو في الآخرة ؟ قال علي عليه السلام : لم يزل ربنا قبل الدنيا هو مدبر الدنيا ، وعالم بالآخرة ، فأما أن يحيط به الدنيا والآخرة فلا ، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة . قال : صدقت يرحمك الله .

ثم قال : أخبرني عن ربك أيحمل أو يُحمل ؟ فقال علي عليه السلام : إن ربنا جل جلاله يَحمِل ولا يُحمِل . قال النصراني : وكيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ؟ فقال علي عليه السلام : إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر ، وربك عز وجل مالكه لأنه عليه ككون الشيء على الشيء ، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه . قال النصراني : صدقت رحمك الله . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٤٥ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن جذعان بن نصر ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقي ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : « وكان عرشه على الماء » فقال لي : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : إن العرش كان على الماء والرب فوقه . فقال : فقد كذبوا ، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوقين ، وألزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه . قلت : يبين لي جعلت فداك . فقال : إن الله عز وجل حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر ، فلما أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم : من ربكم ؟ فكان أول من نطق رسول الله وأmir المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا : أنت ربنا فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة علمي وديني وأمنامي في خلقي ، و

هم المسؤولون ، ثم قيل لبني آدم : أقرؤا لله بالربوبية ، ولمؤلاء النفر بالطاعة . فقالوا : ربنا أقرنا . فقال للملائكة اشهدوا . فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبل و كنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . ياداد ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق .

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد : إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل : «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار» ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله : استوى على العرش أي ثم نقل العرش إلى فوق السماوات وهو مستولى عليه ومالك له ، فقوله عز وجل : «ثم» إنما هو لدفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ، ونقله للاستواء ، ولا يجوز أن يكون معنى قوله : استوى «استولى» لأن الاستيلاء لله تعالى<sup>(١)</sup> على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث ، بل كان لم يزل مالكا لكل شيء ومستوليا على كل شيء ، وإنما ذكر عز وجل الاستواء بعد قوله : «ثم» وهو يعني الرفع مجازاً ، وهو كقوله : «ولنبؤنكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» فذكر «نعلم» مع قوله : «حتى» وهو عز وجل يعني : حتى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك ؛ لأن حتى لا يقع إلا على فعل حادث وعلم الله عز وجل بالأشياء لا يكون حادثاً ؛ وكذلك ذكر قوله عز وجل : «استوى على العرش» بعد قوله «ثم» وهو يعني بذلك : ثم رفع العرش لاستيلائه عليه ؛ ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن ، لأن الله لا يجوز أن يكون جسماً ولا ذابدن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة : لان استيلاء الله تعالى .

(٢) قال السيد الرضى قدس الله روحه في كتابه تلخيص البيان بعد قوله تعالى : «ثم استوى على العرش» : وهذه استعارة ، لان حقيقة الاستواء إنما توصف بها الاجسام التي تعلو وتهبط وتبيل وتمتد والامراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان ، لا بحلول القرار والمكان ، كما يقال : استوى فلان الملك على سرير مملكته بمعنى استولى على تدبير الملك ، وملك مقعد الامر والنهي ، وبحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه ، ولا مكان عال يشار إليه ، وإنما المراد نفاذ امره في مملكته ، واستيلاء سلطانه على رعيته .

فان قيل : فالله سبحانه مستول على كل شيء بقره وغلبته ونفاذ امره وقدرته ، فما معنى اختصاصه

٤٣ - سن : أبي ، عمن ذكره قال : اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت ، فقالوا : إن هذا الرجل عالم - يعنون به علي بن أبي طالب عليه السلام - فانطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقبل له : هو في القصر ؛ فانتظروه حتى خرج ، فقال له رأس الجالوت : يا أمير المؤمنين جئنا نسألك . قال : سل يا يهودي عما بدالك . قال : أسألك عن ربنا متى كان ؟ فقال : كان بلا كينونة ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف ، كان ليس له قبل ، هو قبل القبل بلا قبل ، ولا غاية ولا منتهى غاية ، ولا غاية إليها ، انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كل غاية قال : فقال رأس الجالوت لليهود : امضوا بنا <sup>(١)</sup> فهذا أعلم مما يقال فيه <sup>(٢)</sup> .  
بيان : ولا غاية إليها أي ينتهي إليها .

٤٤ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام - وسئل عن معنى قول الله : « على العرش استوى » - فقال : استولى على هادق وجل .  
ج : عن الحسن مثله .

٤٥ - يد ، مع : ابن المتوكّل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال : سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » قال : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .  
٤٦ - فس : محمد بن أبي عبد الله ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن محمد بن هارث أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .  
يد : ماجيلويه ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، مثله .

• العرش بالذکرهنا ؛ قيل ، كما ثبت أنه تعالى رب لكل شيء ، وقد قال في صفة نفسه : « رب العرش العظيم » وقال : « رب العرش الكريم » .

فان قيل : فما معنى قولنا : عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه ؛ قيل : كما يقال : بيت الله وإن لم يرد كونه فيه ، والعرش تطوف به الملائكة تعبداً ، كما أن البيت في الأرض تطوف به الخلائق تعبداً .

(١) وفي نسخة : مروا بنا

(٢) وفي الرواية دلالة على كونه تعالى هو المطلوب المطلق لكل شيء .

يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن سهل ، عن الخشّاب رفعه عن ابي عبد الله عليه السلام مثله .

٤٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الرحمن ابن الحجاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «الرحمن على العرش استوى» فقال : استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، استوى من كلّ شيء .

بيان : اعلم أنّ الاستواء يطلق على معان : الأوّل : الاستقرار والتمكّن على الشيء الثاني : قصد الشيء والإقبال إليه . الثالث : الاستيلاء على الشيء . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق      من غير سيف و دم مہراق

الرابع : الاعتدال يقال : سوّيت الشيء فاستوى . الخامس : المساواة في النسبة .

فأمّا المعنى الأوّل فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقلية والنقلية من استحالة كونه تعالى مكانياً ، فمن المفسّرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك ؛ وقد روي أنّه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال : الاستواء : الإقبال على الشيء ، ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عزّ وجلّ : «ثمّ استوى إلى السماء» . والأكثر من حملوها على الثالث أي استولى عليه وملكه و دبّره ، قال الزمخشري : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلّا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على السرير ، يريدون ملكه ، وإن لم يقعد على السرير البتّة . وإنّما عبروا عن حصول الملك بذلك ، لأنّه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال : فلان ملك ، ونحو قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة بمعنى أنّه جواد أو بخيل ، لا فرد ، بين العبارتين إلّا فيما قلت ، حتّى أن من لم يبسط يده قطّ بالنوال أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه : يده مبسوطة ؛ لأنّه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم : «جواد» انتهى . ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى : على العرش

حاليّة، وسيأتي توجيهه ولكنّه بعيد. وأمّا المعنى الخامس فهو الظاهر تماماً من الأخبار.

فاعلم أنّ العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذي أحاط بسائر الجسمانيّات، وقد يطلق على جميع المخلوقات، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الأخبار الكثيرة،<sup>(١)</sup> وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم.

فإذا عرفت هذا فإمّا أن يكون عَلِيٌّ فسر العرش بمجموع الأشياء، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بعلى، كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف؛ فالمعنى: استوت نسبته إلى كل شيء حال كونه مستولياً عليها؛ أو فسّره بالعلم ويكون متعلّق الاستواء مقدّراً أي تساوت نسبته من كل شيء حال كونه متمكّناً على عرش العلم، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى وإنّها بالعلم والإحاطة، أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسّر بها أيضاً في بعض الأخبار أي استوى من كل شيء مع كونه في غاية العظمة وتمكّناً على عرش التقدّس والجلالة؛ والحاصل أنّ علوّ قدره ليس مانعاً من دنوّه بالحفظ والتربية والإحاطة وكذا العكس، وعلى التقادير فقله: استوى خبر، وقوله: على العرش حال، ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير، ولا يبعد على الاحتمال الأوّل جعل قوله: على العرش متعلّقاً بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى، ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله: على العرش خبراً، وقوله: استوى حالاً عن العرش لكنّه بعيد. وعلى التقادير يمكن أن يقال: إنّ النكتة في إيراد الرحمن بيان أنّ رحانيّته توجب استواء نسبته إيجاباً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيميّة فإنّها تقتضي إفاضة الهدايا الخاصّة على المؤمنين فقط، وكذا كثير من أسمائه الحسنی تخصّ جماعة كما سيأتي تحقيقها. ويؤيد بعض الوجوه التي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب العقائد حيث قال: اعتقدنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق، والعرش

(١) قال الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه التبيين ذيل قوله تعالى: «ثم استوى على العرش» في سورة يونس: قيل: إنّ العرش المذكور ههنا هو السماوات والأرض، لأنهن من بناءه، والعرش: البناء، ومنه قوله: «يعرشون» أي يبنون، وأما العرش العظيم الذي تعبد الله الملائكة بالعفوف والإعظام وعناه بقوله: «الذين يعملون العرش ومن حوله» فهو غير هذا.

في وجه آخر هو العلم ، وسئل عن الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقال : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء انتهى . وإنما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأنفهام .  
 أقول : قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، وباب نفي الجسم والصورة ، وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصاري ، وباب العرش والكرسي ، وباب جوامع التوحيد .



إلى هنا تم الجزء الثالث من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة  
 المزدانة بتعاليق نفيسة قيّمة وفوائد جمة ثمينة ؛ ويساوي  
 هذا المجلّد مع ١٠٤ صفحة من ثاني أجزاء الطبع  
 الكمباني ويحوي ٢٧٦ حديثاً في ١٤ باباً  
 والله الموفق للخير  
 والرشاد  
 جادي الثانية ١٣٧٦ هـ

## فهرست مافی هذا الجزء

الموضوع	الصفحة
باب ١ ثواب الموحدين والعارفين ، وبيان وجوب المعرفة وعلمته ، وبيان ماهو حق معرفته تعالى ؛ وفيه ٣٩ حديثاً .	١
باب ٢ علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه ؛ وفيه حديثان .	١٥
باب ٣ إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته ؛ وفيه ٢٩ حديثاً .	١٦
باب ٤ توحيد المفضل .	٥٧
باب ٥ حديث الإلهيلجية .	١٥٢
باب ٦ التوحيد ونفي الشريك ، ومعنى الواحد والآخر والصمد ، وتفسير سورة التوحيد ؛ وفيه ٢٥ حديثاً .	١٩٨
باب ٧ عبادة الأصنام والكواكب والأشجار والنيرين وعلة حدودها وعقاب من عبدها أو قرب إليها قرباناً ؛ وفيه ١٢ حديثاً .	٢٤٤
باب ٨ نفي الولد والصاحبة ؛ وفيه ٣ أحاديث .	٢٥٤
باب ٩ النهي عن التفكر في ذات الله تعالى ، والخوض في مسائل التوحيد ، وإطلاق القول بأنه شيء ؛ وفيه ٣٢ حديثاً .	٢٥٧
باب ١٠ أدنى ما يجزي من المعرفة في التوحيد ، وأنه لا يعرف الله إلا به ؛ وفيه ٩ أحاديث .	٢٦٧
باب ١١ الدين الحنيف والفطرة وصيغة الله والتعريف في الميثاق ؛ وفيه ٢٢ حديثاً .	٢٧٦
باب ١٢ إثبات قدمه تعالى وامتناع الزوال عليه ؛ وفيه ٧ أحاديث .	٢٨٣
باب ١٣ نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد ، وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والأفهام ؛ وفيه ٤٧ حديثاً .	٢٨٧
باب ١٤ نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ، وتأويل الآيات والأخبار في ذلك ؛ وفيه ٤٧ حديثاً .	٣٠٩



## \*(رموز الكتاب)\*

لد : للبلد الامين .	ع : لعلل الشرائع .	ب : لقرب الاسناد .
لى : لامالى الصدوق .	عا : لدعائم الاسلام .	بشا : لبشارة المصطفى .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .	عد : للمقائد .	تم : لفلاح السائل .
ما : لامالى الطوسي .	عدة : للعمدة .	ثو : لثواب الاعمال .
محصى : للتمحيص .	عم : لاعلام الورى .	ج : للاحتجاج .
مد : للعمدة .	عين : للعيون والمحاسن .	جا : لمجالس المفيد .
مص : لمصباح الشريعة .	غر : للزرو والدرر .	جش : لفهرست النجاشي .
مصبا : للمصباحين .	غط : لغيبة الشيخ .	جع : لجامع الاخبار .
مع : لمعاني الاخبار .	غو : لغوالي اللثالي .	جم : لجمال الاسبوع .
مكا : لمكارم الاخلاق .	في : لتحف العقول .	جنة : للجنة .
مل : لكامل الزيارة .	فتح : لفتح الابواب .	حة : لفرحة الفرى .
منها : للمنهاج .	فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	ختص : لكتاب الاختصاص .
مريج : لمهيج الدعوات .	فس : لتفسير على بن ابراهيم .	خص : لمنتخب البصائر .
ن : لعيون اخبار الرضا (ع) .	فض : لكتاب الروضة .	د : للعدد .
نبه : لتنبية الخاطر .	ق : للكتاب العتيق الفروى .	سر : للسرائر .
نجم : لكتاب النجوم .	قب : لمناقب ابن شهر آشوب .	سن : للمحاسن .
نص : للكفاية .	قبس : لقبس المصباح .	شا : للإرشاد .
نريج : لنهج البلاغة .	قضا : لتضاء الحقوق .	شف : لكشف اليقين .
نى : لغيبة النعماني .	قل : لاقبال الاعمال .	شى : لتفسير العياشى .
هد : للهداية .	قية : للدروع .	ص : لقصص الانبياء .
يب : للتهديب .	ك : لاكمال الدين .	صا : للاستبصار .
يج : للخرائج .	كا : للكافي .	صبا : لمصباح الزائر .
يد : للتوحيد .	كش : لرجال الكشى .	صح : لمصحفة الرضا (ع) .
ير : لبصائر الدرجات .	كشف : لكشف النعمة .	ضا : لفقه الرضا (ع) .
يف : للطرائف .	كف : لمصباح الكفعمي .	ضوء : لضوء الشهاب .
يل : للفضائل .	كنز : لكنز جامع الفوائد و	ضه : لروضة الواعظين .
ين : لكتايب الحسين بن سعيد	تاويل الايات الظاهرة	ط : للصراف المستقيم .
او لكتابه والنوادر .	معا .	طا : لامان الاخطار .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	ل : للخصال .	طب : لطب الائمة .























